علي سليم

الرقص الجماعي

دار البشائر

الخطاب الاسماعيلي
في التجديد الفكري الاسلامي المعاصر

حقوق الطبع محفوظة
١٩٩٤

دار الينابيع
«للطباعة والنشر والتوزيع»
دمشق ص.ب 6348
☎ 3324914

للتوزيع في لبنان:
دار الفارابي
بيروت - ص.ب: 11/3181
☎ 305520

للتوزيع في مصر
دار النهر
20- ش الطوبجي - خلف مرور الجيزة
- ت - فاكس 3489018

- تصميم الغلاف: الفنانة أليسا زيلينوفا
- الإخراج الفني: مي مكارم

الخطاب الإسماعيلي

في التجديد الفكري الإسلامي المعاصر

تأليف : علي نوح

إشراف: الدكتور علي زيعور

كلمة شكر

جديرة حقاً بالتبجيل، لجنة المناقشة التي شملت أساتذة وأعلاماً من رجال الفكر والتربية، وهم السادة: د. سعاد الحكيم د. غادة المقدّم وكل الشكر والامتنان. للباحث الكبير، والعلامة القدير، والرائد المعلم، وصاحب القلم الأُستاذ الدكتور علي زيعور.

حيث ساهم بسجاله المميز مع الداعية الاسماعيلي / مصطفى غالب / بمادة غنية رفدت هذا الفكر فكان لها فضل عظيم في بحثي هذا.

وبكل محبة واخلاص أقدر جهود رجال المجلس الاسماعيلي في السلمية الذين قدموا لي ما أريده لمادة بحثي وأخص منهم الأخوين الكريمين محمد الدالي أمين سر المجلس، ومنذر الهازجي أمين مكتبة المجلس.

وأخيراً فائق الشكر والامتنان للأخ الدكتور عارف تامر على حسن استقباله لي في منزله أكثر من مرة، وحسن حواره وحديثه.

علـــــــي

((مقدمـة))

د. عارف تامر

الأديب الاستاذ ((علي نوح)) صديق عزيزاعرفته منذ مدة ليست بعيدة، وعرفت فيه التربية الأصيلة والتهذيب والخلق الرفيع والـذكاء.

وعندما قدّم لي مخطوطة اطروحته ((الماجستير)) التي أعدها عن ((الاسماعيليـة)) وطلب مني كتابة مقدمة موجزة عنها فكرت طويلا.وأخيراً لم ينفعني الاعتـذار وكان الرضوخ للأمر الواقـع.

في الحقيقة: لا ادري ماذا أقول وأنا أمام باحث جديد في الاسماعيليـة أو ضيـف عزيزيدرز إلى ساحة هذه الفرقة الاسلامية متقلداً قلمه وقرطاسه، ومتزوداً بحب المعرفة ورغبة الاطلاع والكشف عن الحقيقة، والدخول إلى عالم عسير المسالك سبق أن ضلّ في أرجائه، وتاه في ربوعه العديد العديد من الباحثين الكبار فكيف الصغـار؟

قلت للأخ علي وأنا أحاوره والقي عليه درساً اسماعيلياً مفيداً توخيت أن يستفيد منه في المستقبل القريب، اذا لم يكن اليوم.

إن الواجب العلمي يقضي على كل من يتصدى لبحث الفكر الاسماعيلي أو فلسفة الاسماعيلية أن يبادر قبل كل شيء إلى قراءة المؤلفات الفقهية الكثيرة، والكتب التي وضعت بعدها واعتبرت المدخل الى الفلسفـة.وبعـد ذلك كتب الـدراسات العليا المخصصة لـدعـاة الجزائر وهي التي وضع موادها وأشرف على تأليفها الحجج والأبواب وربما بعض الأئمة، وأخيراً المصنفات التي تتناول علم ما وراء الطبيعة أو الآلهيات، ويتفرع منها نظام العقـول الابداعية ودرجاتهم ومهماتهم وأدوارهـم وخصائصهـم، ومعنى ((اللـيس والأيس)) أي النفي والاثبات والباري المبدع الذي تنزع عنه الاسماعيلية كل الصفات وتجرده من كل الحواس وتبعد عنه كل صورة.وتعريه من أي اسم أو نعت، وتنهي عن الخوض في ذكره أو تصويره أو تخييله. ويضاف إلى كل هذا دراسة موضوع الموجود الأول الذي هو العقل الأول أو السابق في الوجود الذي وجد ابداعاً وهو جوهر بسيـط الحق البـاري عليـه اسما

((معينا)) ومنه انبثقت العقول الاخرى فيضا.أما العقل الثاني فهو النفس أو المنبعث الأول، ثم تأتي بعده الحدود العلوية وقد فاضت بالتسلسل وكان آخرها ((العقل الفعّال)) المولج بعوالمالطبيعة.ولابد من الانتقال بالترتيب إلى عالم الأجرام، أي الأفلاك والكواكب، ثم عالم الأجسام الطبيعية التي هي دون فلك القمر. وهي عالمي الجسم والدين. فهذه العوالم تكون تحت ارادة قانون القسطاط والميزان، وتنطبق عليها النظرية الفلسفية المسماة ((عالم المثل)) التي يدعونا إليها داع من دعاة الاسماعيلية البارزين هو ((المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي)) ويحذرنا من الوقوع في الأخطاء عند المقابلة والقياس والمماثلة كقوله:

((اقصد حمى ممثوله دون المثل: ذا ابر النحل وهذا كالعسل)) ومهما يكن من أمر... فلا بد للباحث في الاسماعيلية أيضاً من المرور بعالم ((الأدوار والأكوار)) ويبتديء من عهد آدم، وينتهي بعهد القائم المنتظر ويسمى بالدور الكبير، وتتخلله الأدوار الصغيرة بين كل ناطق وناطق وهنا يظهر جلياً عدد النطقاء وصلاحياتهم وترتيب دعوتهم وعدد الأئمة المستقرين والمستودعين ومهماتهم وخصائصهم وكيف تقع الفترات وأوقات الستر والظهور في الأدوار ولابد هنا من مراعاة ودراسة ظهورات الأئمة ودرجاتهم وصلاحياتهم بدقة تجنباً للأخطاء فكل هذا يخضع إلى قانون ونظام وترتيب ثابت غير قابل للتغيير، وقائم على أسس من الأصالة والحقيقة والتجرد.

فصاحب هذه الدراسة لابد له أن يعلم: أن النبوة عند الاسماعيلية هي أولى الاعتقادات بل هي القاعدة الاساسية في نظامهم الفكري الذي يقوم على الخلق الأبداع والكون والبشر والنبوة والامامة والقيامة والبعث.

ومجموع كل هذا يسمى ((الحقائق)) وعلم الأبتداء والأنتهاء أو علم المبدأ والمعاد ثم التنزيل والتأويل الذي معناه الظاهر والباطن والعلموالعمل.

يقول السجستاني في الاقليد الثالث والستين من كتاب ((المقاليد)) ((أن الوقوف على الحقائق في الشرائع لا يسقط الأعمال، اذ أنها – أي الأعمال الشرعية – من الدين وتاركها تارك للدين، والدين عند الله الاسلام))

هذا ... ويجب أن يكون معلوماً أن الإسماعيلية وضعوا الأمور في مواضعها عندما أخذوا من فلاسفة الاغريق ما وافق عقيدتهم وكان هدفهم التوفيق بين الدين والفلسفة.

ويتفرع من هذا الباب الحفاظ على الشريعة وعدم التفريط أو الاخلال بأي جزءأجزائها.

فالرسول الناطق هو رئيس الدور وصاحب الوحي والكتاب ومقيم الشريعة، وباسطتعاليمها بحسب الكتاب المنزل. اما الامام فهو الحارسللشريعةوالقيّم على تنفيذ نصوصها وصاحب التفسير والتأويل لما أغمض من موادها، والمعادي لكل من يغيّر أو يبدّل نصوصها وأحكامها.

فالتغيير والتبديل كما يستدل من تسلسل النطقاء والأئمة وأحكام ظهوراتهم وصلاحياتهم هو من اختصاص النطقاء لأنهم أصحاب الدور الأول والوحيوالكتاب.

أماّ حصر هذا الحق بالامام فلا تؤيده الوقائع ولاتقره الأعراف الاسماعيلية ، والأعتقاد به يقرب الى الاذهان قصة ((الغلو))وهو كلام مرفوض أصلاً و لا علاقة له بالدعوة الاسماعيلية. اذ أننا لم نسمع أو نقرأ أن اماما منذ عهد آدم حتى اليوم أقدم على تغيير الشريعة أو حذف حرفاً منها، وهذه أقوالهم امامنا وكتب دعاتهم المصدقة وبياناتهم الواضحة وكلها جاءت تؤيد ما نقوله دون زيادة أو نقصان.

وعلى الباحث أن يقف موقفاً صحيحاً من مبدأ تصنيف الدعاة ومؤلفات كل منهم. فالكرماني ليس كالرازي، والقاضي النعمان ليس كالسجستاني، وكتاب ((راحة العقل)) يختلف عن كتاب ((دعائم الاسلام)) او الينابيع .فالأول له طلاّب، والثاني له طلاّب وبين الفريقين مسافات وفترات.

وفي الجملة فالاسماعيلية مدرسة قائمة بذاتها وهي ذات صفوف ودرجات وترتيب ونظام وقواعد، أو كل دعوة قام على تأسيس بنائها دعاة افذاذ نهلوا من ينابيع الحضارات والعلوم حتى ارتووا ثم جاءوا فخلعوا عليها الثوب الاسلامي البراق ،والشعار العربي المقدس.وكما سبق وقلنا فأنهم ببحوثهم ودراساتهم اعطوا نطقاء الأدوار حقهم ودرجاتهم وصلاحياتهم وهكذا فعلوا بالنسبة للأئمة فقد أعطوهم ولم يفرطوا بل لم يتركوا شيئاً من الصلاحيات ويكفي أن يكونوا حصروا فيهم مهمة الحفاظ على الشرائع بعد غياب النطقاء، فهم لم يغيروا أو يبدلوا بالنظر للمسؤوليات الملقاة على عاتقهم وهي مسؤوليات مقدسة كالنعلم.

ويجب أن لا يخفى علينا أن اجتهادات كثيرة حدثت، ومراحل عديدة مّرت واختلافات في النصوص وفي تأويلها وقعت، ولكن ظلت الأهداف والأصل بمنجاة من كل اجتهاد أو تغيير ظهر ويظهر على مسرح التحرر الفكري والتطور الزمني وحاجات العصر الذي يتشدق به بعض المخالفين

ان الحديث عن الاسماعيلية قد يطول ويتشعب.وإن صفحات قليلة لا تكفي لأعطاء الموضوع حقه وكم يهمني ويثلج صدري الوصول إلى الحقيقة، وإبعاد تعصب القرون المظلمة الموروث.

من صميم قلبي أهنيء الصديق ((علي نوح)) بما توصل إليه من معلومات قيمة عن الاسماعيلية جاءت موثقة ومرتبة في اطروحته القيمة.واذ أدعو له بالنجاح والتوفيق.

اتمنى عليه أن يستمر في أندفاعه واجتهاده بما عرف عنه من تحرر وموضوعية ومراعاة للظروف وأحكام المكان والزمان.

المحتوى

مقدمة..

تقديم....واشكالية بحث

الفصل الاول:

اشكالية تجديد الخطاب الديني ومسوغاته

الفصل الثاني:

الجذور التاريخانية للحركة الاسماعيلية

الفصل الثالث

مفهوم الدين في الفكر

الاسماعيلي غير الخطاب الاسماعيلي

الفصل الرابع:

صورة الامام عند الشيعة الاثنى عشرية

ائمة الظاهر في الفكر الاسماعيلي

الفصل الخامس:

صورة امام الزمان الاسماعيلي في

الخطاب الاسماعيلي

الفصل السادس:

خاتمة

واقع وافاق التجديد في الخطاب الاسماعيلي .

الفصل السابع:

مناقشة التفسيرات.

العربية الاسلامية الراهنة للاسماعيلية

المصادر

تقديم ـــ واشكالية بحث

البحث في القضايا الدينية عامة، من البحوث التي تحمل اشكاليات عديدة، لا سيما اذا أخذنا - في اعتبارنا أن البيئة العربية اجمالاً هي بيئة متدينة والبحث في الدين، والفكر الديني، انما يمثل البحث في العمق الوجداني والتاريخي للانسان في هذه المنطقة وهذا ما يجعل الباحث عرضة لمهاترات بعض الشخصيات الأصولية أحياناً أو الوصولية أحياناً أخرى (= تلك الشخصيات التي تنظر للدين كمطية بهدف تحقيق مصالحها).

البحث في تاريخ فرقة دينية معينة يحمل الكثير من التأويل والتفسير بل والتساؤل. وسيكون هناك المؤيد ، والمعارض ، والباحث سوف يجد نفسه في نهاية بحثه عرضة للنقد، بين المدح والذم، والقبول والرفض، والحكم عليه بالموضوعية أو الفئوية، وهذا يعني أنه على مفترق طرق، مهما حاول الحياد، والعلمية، والموضوعية، وبذلك يكون الباحث ضحية خيارين أحلاهما مرّ.

ولهذا أقول: أن الحديث في تاريخ فرقة دينية وعقيدتها (= جماعة) يتطلب من الباحث الكثير من الجهد الفكري، ومن الزمن الذي يمضيه في معرفة هذه الفرقة، ومعايشة عناصرها حتى يصبح قريباً من عقليتها، وربما يقع بذلك ضحية هوى، أو مسح عقائدي (= عقلي) مما ينسيه شخصيته وكيانه ويقدم آراء الآخرين وأفكارهم دون أن يدري، وسوف يدافع عنهما زاعما انها افكاره وتصوراته .اذن الباحث في الفكر الديني عموماً أمام مجموعة من الاشكاليات، وكيف سيكون الحال اذا كان البحث يتعلق بالاسماعيلية (= الجماعة الاسماعيلية)؟ وهنا سيكون الباحث أمام صعوبات واشكالات شائكة، ومرد هذه الصعوبات، والاشكاليات ينبع من الأمور التالية:

– معظم التراث الفكري للاسماعيلية لم يتّم تدوينه، على اعتبار أن الحركة الاسماعيلية مثلت حركة سرية، وربما تقع الوثائق، والمخطوطات بيد الأعداء، مما يؤدي لكشف أسرارها، ومخططاتها، ويسهل القضاء عليها.

– الاسماعيلية لم تدون تراثها كونها تنظر لنفسها على أنها ستعيش حاضرها، وتعمل لمستقبلها، وبذلك يكون ماضيها صورة ماضويه تراثية، يعيش في متحف التاريخ والآثار، وهي اذ تنظر للأمور بهذا المنظار فانما تهدف لبناء عقيدتها حول شخصية إمام الزمان

الحاضر (= صاحب الزمان)، وبذلك تبعد عن نفسها نزعة الجمودية، والسلفوية ، التي تقع بها الفرق (= الجماعات)الأخرى.

– الاسماعيلية كحركة دينية (= سياسية) كانت و ما زالت على قيد الحياة، وعناصرها تنتشر في كافة أنحاء العالم، وهي تملك النفوذ المادي، والثقافي ------ وخطل الباحث في تفسير بعض الأمور، والذي ربما يكون غير متعمد، ولاسيما أن الباحث يهدف للنظرة العلمية والموضوعية، سوف يجعل الباحث يتهم بالفقوبه. وبذلك يجد الباحث نفسه أنه يتعامل مع قضية بالغة الحساسية، وهي أقرب إلى حد السيف وهذا ما يدفع الباحث لزيادة العودة للمصادر والتأكيد عليها مع احتفاظه بحرية التفكير والمناقشة.

– على اعتبار أن الاسماعيلية لم تترك تراثاً كاملاً ومفصلاً عن تاريخها في المكتبات العامة، وظلت تعيش في بيوت التقية، وعلى اعتبار أنها حركة معارضة سياسية للسلطوية الحاكمة (= الاسلام السلطوي) آنذاك (= العصر الوسيط) ، لهذا يجد الباحث نفسه أمام كم هائل من المؤلفات السلطوية التي تتحدث عن الاسماعيلية، والتي أخذت في تشويه حقيقتها مما جعلها تنعتها بأبشع النعوت، كي تشوه صورتها، وتحكم عليها بالإدانة والرفض الديني والخلقي، وبذلك تمنح لنفسها مشروعية ملاحقتها والقضاء عليها، ولهذا يجد الباحث نفسه مدفوعاً للتوجه نحو بيوت التقيه هذه، والدخول إليها، ثم معرفة أسرارها، كي يكون موضوعياً فيما يذهب إليه من دراسة وتحليل.

– التوظيف السياسي للكتابات الحديثة، وخاصة في الفكر العربي،سواء عن الاسماعيلية أو غيرها، وطمس العديد من الحقائق العلمية والموضوعية، وهذا ما يجعل الباحث يجد نفسه أمام خطاب سياسي مسيس ابعد ما يكون عن العلمية والموضوعية.

– عودة الباحث للمؤلفات التراثية تجعله يقف أمام خطاب انفعالي ، ديني، وربما سيجد نفسه أمام خطاب أقرب إلى لغة الحرب منه للعقل والعقلانية، حيث الشتم والنعت للأخرين بالسلبية ، مما يفقد هذه المؤلفات النظرة الموضوعية.

وأخيراً أقول: ان الاسماعيلية وعلى اعتبارها دائمة التغيير والتجديد، فهذا ما يتطلب من الباحث في الفكر الاسماعيلي المزيد من الجهود الفكرية، وهذا ما دفعني لدراسة موضوع بحثي عبر القنوات التالية، بهدف المزيد من الموضوعية،وهي:

١– التراث الاسماعيلي عبر العصور، وعلاقة هذا الفكر بالفكر الديني (=السياسي) المعارض على اعتبار أن الاسماعيلية قد تلتقي أو تتشابه مع غيرها من الجماعات الاسلامية،

وهذا بدوره ما دفعني لكتابة بعض البحوث عن جماعات أخرى، عندما وجدت الحاجة لذلك (= الامام عند الشيعة الاثنى عشرية).

٢ – ارشادات إمام الزمان الحاضر (= صاحب العصر) على اعتباره يمثل مصدراً ومحوراً للتشريع الديني (= السياسي)، وربما يصدر ارشاداته التي لا علاقة لها بالتراث الاسماعيلي أو تناقض ارشادات سابقة له، لاسيما أنه يعتبر نفسه، وتعتبره جماعته، أنه إمام عصره، وهو مسؤول عن عصرهذا.

٣ – الخطاب الديني الاسماعيلي، ويتمثل بمجموعة من المحاضرات الثقافية ، يفصح أصحابها بطريقة غير مباشرة عن تمسكهم بعقيدتهم الدينية من ناحية،وتمسكهم بامام عصرهم من ناحية ثانية .

وأملي أن يسد بحثي هذا، والذي هو باكورتي البحثية جانبا هاما،في العقيدة الاسماعلية، وزايةمن زوايا المكتبة العربية،هي بأمس الحاجة إليه، وللقارىء العربي أيضا.

علي نوح

الفصل الأول

اشكالية تجديد الخطاب الديني ومسوغاته

- مقدمة.
- الاجتهادانية بوابة التجديد والتغيير.
- إشكالية الاجتهادانية وآفاقها
- خاتمة

مقدمة

بادئذي بدء ، لابدّمن الإعتراف ، أن قضية التجديد الديني تطرح علينا السؤال التالي: ما المقصود بالدين أولاً؟ والإجابة على هذا السؤال، ومن خلال العودة إلى المدلول اللغوي نجد: (الدين يتضمن الخضوع والذل. يقال دنته فدان.أي فدل. ويقال: أي يعبد الله ويطيعه ويخضع له. فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له)(١) وتاريخ الدين هو هامش قديم، في حياة الشعوب ، وربما امتدّ إلى بواكيره الأولى إلى مرحلة المشاعية بل إلى مرحلة وجود الانسان الأول. (٢). ويذهب بعض الباحثين إلى ربط ظهور الدين بعجز الانسان وضعفه في تفسير ظواهر الطبيعة، أو التصدي لها. (٣) ويذهب بعضهم الآخر للتأكيد بعدم وجود الإنسان، أو الجماعة، بدون الدين، وبذلك يكون الدين والآنسان، هما صنوان لا ينفصلان على حد تعبيرهؤلاء.ويبرز في مقدمة هؤلاء برغسون الفرنسي ت ١٩٤١) بقوله: (لقد وجدّت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكن لم توجد قط جماعات بدون ديانة)(٤)

ثم يذهب رينان الفرنسي ت ١٨٩٢ م، إلى أبعد من ذلك .عندما يؤكد ديمومة الدين بقوله (أنه من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه، وان تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ولكن يستحيل ان يمنحني التدين بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي، الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضايق الدنيئة في الحياة الأرضية)(٥)ويقرأ الإنسان في القرآن، سورة الذاريات، آية ٥٦ (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) اذن، الدين، والتدين، هما محورا حياة الانسان، منذ القديم وحتى اليوم، وهذا بدوره ما يدفع الإنسان

---

١ – راجع المعجم الوسيط، دار أمواج، بيروت، ط١٩٨٦، ص٣٠٧.

٢ – راجع: مجموعة من الباحثين، ماهي المادة التاريخية، دار التقدم موسكو، ط١٩٨٦، ص٧٨

٣ – راجع: كرافيتن، ماهي المادية الديالكتية، ترجمة: الياس شاهين، دار التقدم، موسكو ط١٩٨٦، ص٨٢.

٤ – نقلا عن يوسف القرضاوي، العبادة في الاسلام، ص١٦.

٥ – المصدر السابق، ص١٦٧.

لطرح السؤال التالي: كيف يكتسب الإنسان الدين أو التدين؟ بالوراثة أم بالتربية؟ وبهذا الخصوص نجد ومن خلال الواقع والدراسات المتخصصة بهذا الشأن: أن قضية الدين أو التدين يكتسبها الإنسان من خلال التربية، وبذلك تبرز مهمة الأسرة بالدرجة الاولى (٦)والدين الذي عاش طويلاً في حياة الانسان، منذ أقدم القرون وحتى اليوم، تحول إلى نظرة شاملة فيها، السياسي، والاجتماعي والاقتصادي، والأخلاقي. وأصبح الانسان يجد لكل قضية يمكن أن يطرحها إجابة دينية.(٧) بل وربما تحول إلى وسيلة للتعامل بين الناس في حياتهم الإجتماعيةعبر هذا السياق، يتحول الجمود الديني، إلى جمود اجتماعي، وسياسي وفكري. والتجديدالديني يصبح تجديداً اجتماعياً، وسياسياً وفكرياًمما يبرز أهميةالتجديد الديني، قديماً وحديثاً.لكن ما يلفت انتباه الباحث بخصوص هذه المسألة، اشكالية تفاوت الموقف الاسلامي من هذه القضية ، فإذا كان بعضهم مع التجديد، فأن بعضهم الآخر يرفض ذلك، وربما يقبله فريق ثالث بنسبة معينة.ثم يبرز تناقض أخر، ويتمثل في رفض طريقة التجديد رفضامطلقاً، وتأكيد موقفهم بنصوص دينية.

وإذا كانت بعض الجماعات الإسلامية قد أوكلت مهمة الاجتهاد لعلماء الأمة، نجد جماعة ثانية أوكلت المهمة للفقيه ، وثالثة لإمام الزمان (= صاحب العصر). والسؤال الذي يطرح نفسه هو: التجديد مسألة ضرورية من ضروريات الحياة، ولكن ماذا سيكون مصير الدين بنتيجة ذلك؟ وهنا أيضاً يجد الباحث أن هذه القضية راحت تطرح علينا، في وقتنا الراهن مفارقة هي على غاية الأهمية والصعوبة، والخطورة، تتمثل بالتصور التالي:(٩)

١ – إما الحفاظ على الاسلام وخسارة العصر، بسبب التفاوت بين عصر الاسلامو العصر.

٢ – إما كسب العصر وخسارة الاسلام. وبذلك نجد أنفسنا كمعاصرين، أمام معضلة، وهي بحاجة لحل ومخرج، وعندئذ نحل اشكالية الاسلام والعصر ، تلك المشكلة التي أصبحت موضع اهتمام الخطابالعربي المعاصر.

٦–راجع:محمدعبدالله دراز،الدين، دارالقلم،الكويت،ط٣ ١٩٧٤،ص١١٢٠ أيضا:مهدي فضل الله،فلسفة ديكارت ومنهجه، دارالطليعة،بيروت،ط٢ ١٩٨٦،ص١١٧٠

٧–راجع:محمدعبدالله دراز،الدين،ص١٥٨٠

٨–المصدرالسابق،ص١٦٧٠

٩–راجع:أحمدكمال أبوالمجد،ندوةالحوارالقومي الديني،مجلةالمستقبل العربي،مركز دراسات الوحدةالعربية،العدد١٢٠،بيروت١٩٨٩،ص٢٠

لقد حاول بعض الباحثين العرب منذ ١٩٦٧ م، تلمس حقيقة العقل العربي، وعبر تحليل آلية هذا العقل، والمتمثل بطبيعة الخطاب الفكرلهذاالعقل.وربما كان الهدف من ذلك محاولة تقديم رؤية موضوعية وجادة للخروج من واقع الاجهاض الذي أصاب العقل العربي، وعبر كافة جوانبه، الاقتصادية، والسياسية، والفكرية وكان من نتيجة ذلك وصول بحوثهم لنتائج هي على غاية الأهمية حيث أبرزت هذه الدراسات استمرارية الايديولوجية الماضوية، وتحكمها بالحاضر، عبر صيغتها السلفوية، ومن خلال النماذج التالية:(١٠)

١ – الشيخ: وهو يمثل شخصية دينية، لا يهمه من الحاضر على حد تعبير بعض الباحثين إلاّ الدين، وعبر مظاهره الماضوية. (١١) . ورجل الدين اذ يرفض التجديد فإنما يهدف للحفاظ على مكاسبه المادية (= ثروته) (١٢) مما يجعله (= رجل الدين) على حدرأي بعض الباحثين المعاصرين لا يتردد في قوله: (ان سبب تخلفنا هو عدم إخلاص لرسالة السماء(١٣)

٢–رجل السياسة: وقد أخذ يحتل مكان رجل الدين، وهو لا يطمح إلا في استمرار سلطانه مما يجعله لا يهتم بالتجديد.

٣ – داعية التقنية: منهمك في عمله، وهو يتجاهل وبكل بساطة الواقع، وما يفرزه، مما يجعله يعيش على هامش المجتمع مع أنه يعتقد أنه تجاوزفي تفكيره الشيخ، والسياسي، والواقع وعندما ينتصر ويحقق حلمه، يجد نفسه وحيدا منفردا وربما مضطهدا(١٤).

اذن مسألة التغيير مسألة قاسية، وصعبة، ولن تكون بالتمني، بل في الفكر والعمل، حيث النظرية العلمية المتماسكة، والعمل الجاد المخلص، من خلال العمل المشترك،للفردوالجماعة.

١٠–ارجع:عبدالله العروي،الايديولوجيةالعربيةالمعاصرة،ترجمة:محمدعيتاني، دارالحقيقة بيروت ١٩٧٩ ،ص٣١٠

١١–مثل هذاالموقف يطرحه حسن صعب،على لسان أحدرجال الدين عندماسئل عن رأيه في الواقع العربي بعدعدوان حزيران عام١٩٦٧،أجاب الإسلام مازال بخير. راجع:حسن صعب،الاسلام وتحديات العصر،دارالقلم،بيروت،ط١٩٧٤،ص٥٠

١٢–راجع:خليل أحمدخليل،لبنان يساد،دارالفارابي،بيروت،ط١٩٧٢،ص١٦٠

١٣–راجع:عبدالله العروي،الايديولوجيةالعربية المعاصرة،ص٣٨٠

١٤–نفس المصدرالسابق ،ص٣٨٠

الاجتهادانية بوابة التجديد والتغيير

معنى التجديد وأسسه:

الباحث في الفكر العربي، لاسيما منذ عصر النهضة، وحتى يومنا هذا، سيجد الاستمرارية في الدعوة للتجديد، وكما يبدو، ومن خلال الواقع: إن المرحلة المعاصرة ليست لصالح التجديد والتنوير، والعقل العربي إذا استطاع أن يطرح في القرن الماضي بعض قضايا التراث والدين، فهو عاجز اليوم عن طرحها.(١٥) والخطاب العربي إذ يطرح التجديد، يهدف لبناء الحاضر والمستقبل، عبر تجاوز الماضي بل ووصل الجسور بين الحاضر والماضي، وبذلك يطوح بالدعوات التغريبية، والعدمية ، في بناء المشروع الثقافي النهضوي للعرب، لاسيما اذا أخذنا في اعتبارنا أن التجديد لا يمثل تمسكاً بالقديم، ولا هو رفض له، وانما هو إنجاز للحاضر عبر بوابة الماضي. (١٦)

فالخطاب العربي، ما زال منذ عصر النهضة، وحتى يومنا هذا ، يحاول تعليل واقع الجمود، ومن خلال:

١ – إن الجمود مرده الفكر الذي أصبح يمثل فكراً ماضوياً.

٢ – إن الجمود مرده رجال الدين، الذين لم يتمكنوا من مواكبة العصر

وبذلك يفصح الخطاب العربي لعصر النهضة عن وقوفه على مفترق طرق، أحياناً يلقي اللوم على رجال الدين، وأحياناً على الدين نفسه، ومثل هذا الواقع إذ نطرحه على المستوى الفلسفي نجده يفصح عن:

١ – اليس هذا الواقع المتخلف هو تعبيرا عن خطاب ثقافي متخلف؟ وهل يمكن للخطاب الثقافي (= الفكري) في بلد متخلف أن يسبق الواقع؟(١٧)

---

١٥ –راجع:عاطف العراقي بتقديمه لكتاب الامام محمدعبده،الاسلام دين العلم والمدينة، سينا للنشر،القاهرة،ط١٩٨٧،ص٥٠

١٦ –نفس المصدرالسابق،٠١١٠.

١٧ –بعض المثقفين العرب يجيب عن ذلك بالايجاب،لاسيمافي البلدان العالم الثالث.
راجع:طيب تيزيني،حول مشكلات الثورةوالثقافةفي البلدان العالم الثالث،داردمشق،دمشق ط١٩٧٣،ص٠٢٤٩

٢– أليس هذا الفكر المتخلف هو تعبير عن واقع متخلف؟ وعبر كافة المجالات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية.

ألسنا نعاني من حالة إجهاض تنموي شامل؟ وبذلك تكون قضية التجديد هي رهناً بتجديد متكامل وشمولي، على كافة المستوياتلاسيما أن النص الديني يفصح عن الحاجة للتجديد وصورة الدعوة هذه تأخذ شكلاً تأويليا من الدارس للنص الديني)= القرآن(،فالدارس للنص القرآني، يجد سورة الكهف) سورة مكية(، وفيها صورة لمجموعة نامت بمدّة زمنية) = حوالي ٣٠٠ سنة(، ولما استيقظت رأت كل شيء جديد، الناس، الشوارع، السلع، حتى نقودهم لم تعد هناك إمكانية لتداولها.(١٨)

إذن ، مثل هذا النص القرآني ، يضع الباحث وجهاً لوجه أمام حقيقة لا منازع فيها وهي: ان جمود الواقع والفكر لن يكتب له النجاح، وان التجديد هو الأساس (= الجوهر) في استمرار الحياة، وهذا لن يتّم إلا عَبر رؤية جديدة للقديم ، سواء أكان هذا القديم يمثل فكرا دينيا او اقتصاديا اوسياسياً.

وهذا الموقف في رؤية القديم ، وفق رؤية عصروية، يعكس لنا الخطاب العربي، سواء أكان هذا الخطاب يمثل خطاباً دينياً، أو فكرياً، ولهذا نجد:

١ – الإمام موسى الصدر، يعتبر أن تفسير النص الديني (= القرآن) يخضع لثقافة الانسان ومدى علمية أو عصروية، أو تقليدية صاحب التأويل (= التفسير)، بمعنى أن التفسير المعاصر للنص القرآني، أو التراثي يخضع لثقافة الإنسان.(١٩) .

٢–الباحث العربي المعاصر سمير أمين، يعتبر أن فهم الدين يرتبط بالإنسان وثقافته فالإنسان المتقدم يفهم دينه بطريقة متقدمة، والإنسان المتخلف يفهم دينه بطريقة متخلفة.(٢٠)

---

١٨ –ابن الأثير،الكامل في التاريخ،تحقيق:ابي الفداء عبدالله القاضي،دار الكتب العلمية، بيروت،ط١٩٨٧،ص٠٢٤

١٩–راجع:الإمام موسى الصدر،في تقديمه كتاب:هنري كوربان،تاريخ الفلسفة الإسلامية منشورات عويدات،بيروت،ط١٩٦٦،ص٠١٢

٢٠–راجع،سمير أمين،نحو نظرية للثقافة،معهد الإنماء،بيروت،ط١٩٨٩،٠١٥٠

والباحث في الفكر العربي، عتيقه وجديده ، عندما يحاول الربط بين هذا الحاضر والماضي، سوف يمد الجسور، وسوف يجد أن هذه الرؤية العصروية ، تجد جذورها التاريخية عبر مقولة الامام علي عن القرآن بقوله: (لا ينطق بلسان ولا-بد له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال) (٢١)

وبذلك يضع الباحث يده على حقيقة، وهي على غاية الأهمية: إن التجديد يرتبط بالإنسان وارادة الإنسان، سواء اكان هذا التجديد دينيا، أو ثقافياأواقتصادياً.وروح التجديد هي، ميزة إيجابية اذا وجدّت ، على مستوى الفرد أو المجتمع، لأنها تبرز قدرة الإنسان والمجتمع، على كشف إرهاصات جديدة في الواقع القائم، وتقديم المبادرات الطليعية، وتطبيقها مما يعني امكانية بروز المثل، وبذلك يتم تحطيم الأطر والمفاهيم الكلاسيكية، والتوجه نحو بداية طيبة للإبداع. (٢٢)

إذن التجديد تقدم ، وعصروية، بل هو قيم علمية، وثقافة، وهو واقع متقدم أيضاً. ودراسة الوضع العربي المعاصر ومن خلال الخطاب العربي المعاصر، تجعلنا نقف على حقيقة، بل على ضرورة الربط العضوي بين هذا الواقع المتخلف، والخطاب المتخلفأيضاً.(٢٣) عبر هذا الواقع يبرز عجز مدرس التربية الدينية عن تدريس الفكر الديني، وعجزه عن المعرفة بأصولاللغة العربية، وهذا مما يجعل الباحث يعود إلى طرح السؤالالتالي:

كيف سيكون هناك اجتهاد وتنوير ديني، أو لغوي، أمام صورة الواقع هذا؟ لاسيما اذا أخذنا في أعتبارنا أن مسألة الاجتهاد تحتاج لمعرفة لغوية ودينية كشرط أولي.

إذن ، تخلف الأطر العاملة في مجال الدين واللغة وغيرها من مجالات الحياة، تجعل الجمودية هي البديل عن الإجتهادانية يضاف لذلك عقبات الواقع التي راحت تطرح نفسها بشكل سافر ويأتي في مقدمتها التربية الإستهلاكية التي راحت تجتاح مجتمعنا.(٢٤)

٢١–راجع:ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة،دارالرشادالحديثة،بدون تاريخ،ص٣٠٢

٢٢–راجع:معجم علم الأخلاق،ترجمة:توفيق سلوم،دارالتقدم،موسكو،ط١٩٨٤،ص٢١٢.

٢٣–راجع:محمددياب،قضايا فكريةوثقافية،مكتبةالنهضةالمصرية،مصر،ط١٩٧٥، ص٥٤.

٢٤–نفس المصدر،ص٤٧.

وبذلك يفصح واقعنا المعاصر عن إشكالات فكرية، وواقعية، تقف سداً منيعاً أمام حركة الإجتهادانية والتجديد، والتغيير، مما يبرز الحاجة الملحة لمشروع تنموي شامل.

نماذج من عصور التجديد والاجتهادانية

في عهد عمر بن الخطاب ت ٢٣ هـ.

لم تكد تمضي سنوات على موت النبي، ويأتي عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب، إذ بالمجتمع العربسلامي يجد نفسه وجهاً لوجه، أمام مجموعة من المشاكل الاقتصادية، والاجتماعية، وهي تطرح نفسها بقوة، وتبرز الحاجة الماسة لوجود تشريعات جديدة تتمثل بحلول علمية وعملية لهذه المشاكل حيثنجد:

– أمام الفتوحات الكبيرة ، ومن خلالها برزت مشكلة توزيع الأرض المفتوحة، سواء في العراق أو غيرها ودار الحديث حول إمكانية تطبيق النص، وهلسيكون ذلك لخير المجتمع والأرض لو العكس؟ (٢٥) ولمام توسع الدولة، وزيادة عدد أفرادها، سواء من عناصر الجيش أو غيرهم، وكيف يمكن ضبط أمورهم المادية والمعاشية، برزت أهمية وجود القوانين والتشريعات، التي تنظم أمور الجند، بل أمور الدولة بشكل عام، وهل تترك الأمور للعشوائيةأم لا بّد من وجود القوانين الناظمة لذلك؟ ثم ماذا فعلتالدولةآنذاكلحسمالمشكلة؟(٢٦) – ومع بروز المجاعات بنتيجة القحط، بسبب قلة الأمطار (= عام الرمادة)، ثم استفحال أمر المجاعة وانتشار السرقات، يضاف لذلك وجود النص الواضح والصريح بقطع يد السارق، وهو معروف من عمر وقادة المسلمين آنذاك ورغم تمسكهم بالاسلام فكراً وسلوكاً، يجد الباحث توقيف العمل بهذا النص لا سيما أن عمراً

٢٥–لقدأدرك عمروأعوانه آنذاك خطورةتوزيع الأراضي على الفلاحين،مماجعلهيتركهابيد أصحابها. راجع:محمدعلي نصرالله،تطورنظام ملكيةالأراضي الاسلام،دارالحداثة،بيروت، ط١٩٨٠،ص٧٩.

٢٦–لقدأدرك عمرأهمية الاستفادة من تجارب الفرس بهذاالمجال،فامربالاستفادةمن تجربة الفرس القانونية. راجع:محمدعمارةوآخرون،المسلمون والعصر،كتاب العربي،العدد١٤، الكويت لعام١٩٨٧،ص٦٥.

وقادة المسلمين، قد وجدُوا أنفسهم أمام قضية اجتماعية، ليست فردية مما دفعهم إلى العمل بالقاعدة الفقهية: (= الضرورات تبيح المحظورات) (٢٧) إذن، تلك هي بعض المشكلات التي طرحت نفسها على الحكومة العربسلامية آنذاك، وفي عهدها الراشدي، أي منذ بواكيرها الأولى، وتلك هي القضايا وغيرها من القضايا التي مثلت بداية معالم الطريق نحو الاحتهادانية.

في عهـــد الامـــام علي ت ٤٠ هـ :

وأما عن موقف الامام علي من الإجتهاد، فهو واضح وصريح، حيث جعل الإجتهاد (= التجديد) يمثل شعاراً من شعاراته. (٢٨) وكان لهذا الشعار الثمار الإيجابية على أتباعه في القرن الرابع الهجري، حيث أقفل باب الاجتهاد، وظل أتباع الامام علي على خط امامهم من حيث الاطلاع والاجتهاد مما أتاح لهم أن يبدعوا في مرحلة ساد فيها الجمود على الفكر العربسلامي عامة. (٢٩)

اذن، الإمام علي هو ابن المدرسة الإسلامية، ونتاج تربية البيت المحمدي، لم يكن يوماً ضد الاجتهادانية (= التجديد) وهذا يفصح عن السؤال التالي: اذا كان الإمام علي لم يقف في وجه الاجتهادانية وإغلاق بابها فما مبرر اقفالها فيما بعد؟ لا سيما اذا أخذنا في اعتبارنا أن (عليا) كان ينظر للإجتهادانية على أنها الحل العلمي والعملي لقضايا الناس الاجتماعية والاقتصادية. (٣٠) مما يجعل من الاجتهادانية ضرورة ملحة.

٢٧–صبحي الصالح،معالم الشريعة الاسلامية،دارالعلم،بيروت،ط١٩٨٢،١،ص١٦٥

٢٨–راجع:عبدالكريم الجندي،الإمام جعفرالصادق،المجلس الأعلى للشؤن الاسلامية،١٩٧٧، ص ٢٩٠.

٢٩–نفس المصدرالسابق،ص٢٩.

٣٠–راجع:ميثم الجاني،علي بن أبي طالب،دارالأهالي،دمشق،ط١٩٨٩،١،ص٥٠.

ولهذا نجد الامام علي يتسلم مهمة القضاء، والإفتاء، في عهد أبي بكر، وعهد عمر ويصدر مجموعة من التشريعات والقوانين بما يتناسب وروح العصر، والحاجة الاجتماعية آنذاك. وبذلك يبرز رأيه الواضح والصريح في العديد من القضايا.

– فهو يفتي بضرورة دفع دية الطفل الذي أجهضته أمه نتيجة فزعها من مثولها أمام عمر. (٣١) رغم راي عثمان بن عفان المناقض.

– ثم يفتي بمنع رجم الزانية في عهد عمر، رغم إقرارها بفعلة الزاني لأن الواقعة تمت بنتيجة الضرورة. (٣٢)

في عصر النهضة (= القـــرن التـــاسع عشر):

ان عودة الباحث للتراث النهضوي، يوضح لنا موقف رواد النهضة الواضح والصريح من قضية الاجتهادانية لاسيما رجال الفكر الديني منهم، حيث نجد:

– الشيخ جمال الدين الأفغاني ت ١٨٩٧ م يدعو للاجتهادانية، ويستنكر إغلاق باب الاجتهاد بقوله: (ما معنى باب الاجتهاد مسدود؟ وبأي نص سد باب الاجتهاد؟ أو أي إمام قال لا ينبغي لأحد من المسلمين بعدي أن يجد و يجتهد لتوسيع مفهومه منهما، والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية، وحاجيات الزمن وأحكامه؟) (٣٣)

وكذلك الشيخ محمد عبده ١٩٠٥، تجده يكتب بحماس طولا عن أهمية الاجتهادانية وفوائدها ثم يعلل أسباب توقف الاجتهاد للأسباب التالية:

١–سيادة التمذهب الديني والسياسي لمفكرين.

٢–اقلاع الإنسان عن البحث والاطلاع والإكتفاء بالقليل من الثقافة، وهذا بدوره ما جعل هؤلاء يميلون إلى توجيه تهمة الهرطقة والإلحاد لكل مجتهد. (٣٤)

٣١–راجع: عبد الكريم الجندي، الأمام جعفر الصادق، ص ٢٥.

٣٢–إن حاجة المرأة، ثم حاجة مواشيها للماء مع إصرار صاحب الماء أن لا يمنعها الماء إلا إذا منحته نفسها دفعها لمثل ذلك العمل، لما طرحت القضية على الإمام علي كان رأيه واضحاً بقوله: (فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم)

٣٣–راجع: محمد باشا المخزومي، خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني، دار الحقيقة، بيروت، ط ١٩٨٠، ص ١٦٦.

٣٤–راجع: الشيخ محمد عبده، الإسلام دين العلم والمدينة، ص ١٥٢، ١٧١.

هذا السياق نجد القدماء كالطبري ت ٣١٠هـ وغيره، فقد اقدموا على وضع تفاسير عديدة للقرآن، ورغم أختلاف هؤلاء في التفسير لم يقل أحد أنهم كفروا وخرجوا عن نطاق الدين بل أن التقدم العلمي، وتقدم الإنسان بشكل عام سوف يفسح له المجال لوضع رؤية جديدة لكل هذه الأمور، وهذا ما دفع الشيخ الأفغاني للقول: (نعم أن أولئك الفحول من الأئمة ورجال الأمة اجتهدوا، وأحسنوا (جزاهم الله عن الأمة خيرا) لكن لا يصح أن نعتقد أنهم أحاطوا بكل أسرار القرآن، أو تمكنوا من تدوينها في كتبهم، والحقيقة أنهم مع ما وصلنا من علمهم الباهر، و تحقيقهم، واجتهادهم – ان هو بالنسبة إلى ما حواه القرآن من العلوم، والحديث الصحيح من السنن، والتوضيح إلا كقطرة، أو ثانية من بحر) (٣٥) إذن، الفكر النهضوي كان مع الإجتهادائية، وعبر قنواته العديدة، لا سيما الديني الذي هو موضع بحثنا.

اشكالية الاجتهادانية وآفاقها

لاأحد يشك أن الحياة في تبدل مستمر، ومثل هذا التغيير سيؤدي بالضرورة إلى تغير الأحكام وفق الزمان والمكان، وهذا بدوره ما يدفع الباحث للسؤال التالي: كيف تعامل المسلمون العرب مع هذه المقولة؟ وبالإجابة على هذا السؤال نجد:

– أولاً: بعض الفرق الإسلامية رفضت وما تزال ترفض الاجتهاد (= أهل السنة) رغم اعترافهم بحاجة المجتمع لذلك، وحجتهم بذلك، أنه لما بدأ انحدار المجتمع الاسلامي نحو الانحطاط كان لا بدّ من إيقاف الإجتهاد. وربما اعتبر بعض الباحثين أن في ذلك فائدة للأمة والجماعة، لأن وقف الإجتهادائية على حد زعمهم سيؤدي لوقف التمادي في الانحدار والانحطاط وبذلك ترتبت النتائج التالية:

١ – نتائج ايجابية: وتتمثل في منع التعاون مع المستعمر (= منع إعطاء اي حكم جديد يستفيد منه)

٢ – نتائج سلبية: جعلت الجمود يسيطر على حياة المجتمع، وفكرة سيطرة تامة. وهذا بدوره ما جعل بعض الباحثين المعاصرين يطرحون موضوع التجديد الديني كخطوة نحو النهضة (٣٦)

٣٥–راجع: محمد باشا امخزومي، خاطرات جمال الدين الأفغاني، ص١٦٧.

٣٦–راجع: محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٣ ١٩٩٠، ص٥٧٢.

–ثانيا: بعض الفرق الإسلامية مازال الاجتهاد مفتوحاًبها، وهو عند الشيعة الاثنى عشرية مع ترك حرية الأفرادفي الأخذبهذا الإجتهادورفضه.(٣٧)وهذه الفرقة إذ جعلت الاجتهاد من حق الفقيه فانما مرد ذلك إلى غياب امام الزمان،وحاجة الأمة،أوالجماعة لمن يتولى أمرها.

– ثالثاً: بعض الفرق كانت وما زالت مع الاجتهاد، وجعلت ذلك من مهمة إمام الزمان أو (= صاحب العصر) (= جماعة الإسماعيلية)، وبذلك نجد:

١ – استمرار الإمام منذ القديم وحتى يومنا هذا.

٢ – إمام الزمان هو مصدر التشريع (= الاجتهادانية).

إذن، هناك تباين في رؤية المسلمين لقضية الإجتهاد (= التجديد)، ومثل هذه القضية تطرح نفسها على مستويات عدة، بعضها ديني، وبعضها فلسفي، وهذا بدوره ما يعاود ليطرح علينا من جديد السؤال التالي:

إذا كانت الأمة وبعد مدة زمنية قصيرة من موت النبي (= عصر عمر) قد وجدت نفسها بأمس الحاجة للتجديد والتغيير، فماذا سنقول عن واقعنا المعاصر بعد انقضاء ١٤٠٠ سنة على الإسلام الأول؟وهكذا نجد أنالحياة في تجديد مستمر، بل هي (= الحياة) على حد تعبير الفيلسوف اليوناني القديم هرقليطس ٥٤٠ – ٤٧٥ ق.م بقوله: (أنت لا تنزل النهر الواحد مرتين، فان مياها جديدة تجري من حولك ابداً) (٣٨) عبرهذاالتجديدفي الحياة، تبرز ضرورةتجديد الأحكام بما يتوافق والتطور التاريخي من ناحية وما يخدم الحقيقة الموضوعية القائلة (= التراجع عن الخطأ خير من التمادي فيه) من ناحية ثانية. اذن، الإجتهادانية هادفة، وهدفها رفع الضيق عن الناس، وحتى لا يتحول الدين إلى مشقة وارهاق. وهذا ما يجد الباحثتأكيدهفي القرآن، سورة الحج، آية ٧٨ (وما جعل عليكم في الدينمنحرج)، الحديث النبوي (إذا حكم الحاكمواجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد) (٣٩)

٣٧–أذكربهذاالسياق أن الفلاحين في العراق عندماتم توزيع الأراضي عليهم بموجب قوانين الاصلاح الزراعي أقدمواعلى أخذهارغم معارضة الفقهاء لقوانين الاصلاح الزراعي.

٣٨–راجع:يوسف كرم،تاريخ الفلسفةاليونانية،لجنةالتأليف والترجمةوالنشر،القاهرة ١٩٧٠،ص١٧٠

٣٩–راجع:صبحي الصالح،معالم الشريعةالإسلامية،ص١٢٠

ويروى عن حياة النبي أنه لما أرسل الصحابي الجليل معاذ بن جبل قاضياً إلى اليمن، سأله: (كيف تصنع اذا عرض لك قضاء) قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: (فإن لم يكن في كتاب الله؟) قال: فبسنة رسول الله قال: (فان لم يكن في سنة رسول الله؟) قال: أجتهد رأيي لا آلو (أي لا أقصر) فقال الرسول الكريم حينئذ) الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله) (٤٠)

ويُروى عن الإمام علي بن أبي طالب أنه قال: (لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضياً إلى اليمن قلت: يارسول الله: كيف أقضي بين الناس وأنا حديث السن، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على صدري وقال: اللهم أهد قلبه وثبت لسانه فما شككت بعد ذلك في قضاء بين اثنين) (٤١) ثم من من المسلمين أو العرب، لم يسمع، عن اجتهادات عمر، وعلي. إذن، الإجتهادانية في الدين قضية مشروعة في النص، والحديث، وحياة الصحابة، والأئمة لكن هل كل الفرق الاسلامية توافق على هذا الرأي؟ ثم ما هي رؤية أولئك الذين يعارضون مثل هذا الرأي؟ ومثل هذه التساؤلات سوف يتم الإجابة عنها في سياق البحث.

اذن، هناك فرق اسلامية تعارض الإجتهادانية، والقياس، وحجتهم بذلك مدعمة في النص والحديث وهؤلاء يرون.

١–القرآن كامل، سورة الأنعام ، آية ٣٨ (ما فرطنا في الكتاب من شيء)

٢ – ايضا، سورة المائدة، آية ٣ (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً.

٣ – في القرآن دعوة للتمسك به، سورة الأعراف، آية ٢ (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم)

٤ – في القرآن، نجد مطالبة النبي ليحكم كما ورد فيه، سورة النساء، آية ١٠٤ (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله).

٤٠–نفس المصدر،ص٠١٢

٤١–راجع:الشهرستاني،الملل والنحل،تحقيق:محمدسيدكيلاني،دارالمعرفة،ط١٩٨٢، ص٠١/٢٠١

٥ – وفي الحديث النبوي: (تركت فيهم أمرين لن يضلوا ما أن تمسكوا بهما، كتاب الله، وسنتي، وأني أخاف على أمتي من بعدي من أعمال ثلاث: من حكم جائر، وزلة عالم، وهوى متبع) (٤٢)

٦– وفي الحديث النبوي: (افترقت بنو اسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية، وسائرها في النار. قيل يا رسول الله: من الفرقة الناجية؟ قال: أهل السنة والجماعة.قيل ماالسنة والجماعة. قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي)(٤٣) ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله يقول معه في حياته في دين الله بالرأي ولا القياس ولا النظر ولا باستحسان.

٧ – وفي حديث آخر، تأخذ الأمور صورة أوضح عندما نجد: (ستفترق أمتي بضع فرق أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور بآرائهم فيحللون الحرام ، ويحرمونالحلال)(٤٤)

امام هذا الحشد الهائل للسور القرآنية، والأحاديث النبوية، سوف يقف الانسان العادي ، موقف المرتبك ، وهو يسأل بقوله: ما هو المطلوب؟ وما العمل؟ وهنا يجد الباحث في التراث الإجابة من خلال:

– أصحاب الرأي يطرحون علينا الجواب من خلال النص القرآني، سورة النحل، أية ٤٣ (فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وأهل الذكر في هذا المكان على حد تعبير بعض الجماعات الاسلامية (= الاسماعيلية) هم الائمة بعد النبي. (٤٥)والحاكمية لا تصح إلا لله بعد النبي، وهم أوصياء أمناء على هذه الرسالة، وتبرز صورة الحاكمية في صورالنص القرآني ، صورة الشورى، آية ١٠ : (وما أختلفتم فيه من شيءفحكمه إلى الله).

– أيضاً سورة النساء، آية ٥٨ : (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول).

عبر هذا السياق يقودنا أصحاب هذا التفكير (= الجماعة الاسماعلية)للنتائج التالية:

١ – الفرقة الناجية منه المسلمين هي التي اتبعت الإمام بعد النبي.

---

٤٢ – نقلاعن النعمان بن محمد١٣٥٠،اختلاف أصول المذهب،تحقيق:مصطفىغالب،دار الأندلس،بيروت،ط١٩٨٣،ص٨٥٠

٤٣ – نفس المصدر،ص١٣٠٠

٤٤ – نفس المصدر،ص١٧١٠

٤٥ – المصدر السابق،ص٢٠٨٠

٢ – النبي لم يعتمد يوماً رأيه أو القياس، ودليلهم ما ورد في القرآن، سورة الأعراف، آية ٢٠٣ (قل انما أتبعُ ما يوحي إليّ من ربّي).

٣ – أول من اعتمد القياس (ابليس) عندما قاس النار بالطين، وهذا ما توجب عليه غضب الإله عليه ووصوله الى ما وصل اليه من انحدارٍ ولعنةٍ في الدين. وإذا كان الرسول قد اعتمد القياس يوما فانما بهدف شرح الدين وتوضيحه للمسلمين. (٤٦)

٤ – الدين كامل، وهذا ما يجعل كل رأي أو قياس، إنما هو من باب البدعة، وهدا ما يقود للحديث النبوي: (اتّبِعُوا ولَا تبتدعُوا، فكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالةٍ في النار) (٤٧) . وهكذا يتوصل الباحث في التراث الإسلامي إلى نتيجة هي غاية الأهمية وملخصها: قد تختلف الفرق الاسلامية في موقفها الكلامي من قضايا الرأي والقياس، ولكنها في الجوهر، والمضمون والواقع بحاجة، للرأي، والقياس والإجتهاد. وهذا بدوره ما يجعل الباحث يقف أمام الضرورات التربوية، والثقافية، والإجتماعية، لعملية الإجتهاد (=التحديد). فالتجديد يطرح نفسه، على المستوى التربوي، حيث يراه بعض الباحثين التربويين يتمحور عبر المفاهيم التالية:

١– المفهوم الدائري: وهو ينظر لعملية التجديد من خلال المحاور التالية:

١ – محور النمو السريع الذي يرتبط بتجديد قوى الإنتاج.

٢ – محور النمو السريع الذي يرتبط بتغير القيادات السياسية، ومحاولة القيادة الجديدة صنع الجديد.

٣ – محور النمو السريع المتكامل، ويتكامل عبر مشروع ثقافي. وبذلك تكون عملية التجديد هنا مرحلية، وهي تزول بزوال السبب، أو العلة. (٤٨)

٤٦–يروي أن النبي سألته الخثعمية، فقالت: يارسول الله أن أبي قد أدركته فريضة الحج وهو شيخ كبير لا يثبت على البر رجلا، فأحج عنه؟ قال: نعم أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه ألم يجز ذلك؟ قالت: نعم قال: فدين الله أولى: فشبه النبي (صلعم) قضاء الحج الذي هو حق الله بقضايا الدين الذي هو حق العباد وقاس به، المصدر السابق، ١٧٧.

٤٧–نفس المصدر، ص٣٨.

٤٨–راجع: منير المرسي سرحان، في اجتماعيات التربية، دار النهضة، بيروت، ط١٩٨١، ص١٥٤.

٢–المفهوم التطوري: وقد أخذ به العديد من الباحثين (= هيغل، ماركس، دارون، سبنسر) حيث بنى هذا المفهوم رؤيته على تقدم التاريخ والإنسان بصورة مستمرة، وأن المستقبل للأفضل، وأن المستقبل هو الأمل.

٣ – المفهوم الهادف: ويتم تحقيق التقدم به عن طريق الأذكياء (= النخبة) ومن أبرز اصحاب هذا الاتجاه المربي الامريكي المشهور جون ديوي ت١٩٥٢، ملخص هذه النظرية التغيير يجب أن يكون شمولياً حيث نجد:

– الظواهر الاجتماعية مرتبط بعضها بالآخر.

– الظواهر الاجتماعية تؤدي وظائف مختلفة ، فالزواج ينتج عنه مراسيم الزواج، وعقد الزواج وعلاقات قرابة جديدة.

– الظاهره الاجتماعية نتيجة نظام ثقافي وظيفي (= الفقر لا يمكن فصله عن الجهل)

– الإنسان محور التغيير. الا أن عملية التجديد قد تعترضها صعوبات ، ومن أهمها.

–التداخل بين الأجيال (= جيل قديم وأخر عصروي).

– النصية، والجمودية حيث التمسك بالمألوف، وما التمسك بالماضوية إلا نتيجة الخوف من الحاضر والمستقبل.

– المصلحة الخاصة، والممثلة بحرص الطبقة السائدة على مصالحها.

– العزلة الثقافية، حيث انعدام التفاعل مع ثقافات الشعوب الاخرى، لاسيما المتحضرة منها.(٤٩)

الا أن هاجس التجديد والتطوير، يدفع بالمثقف العربي إلى دراسة الواقع العربي، وتوظيف فكره بما يخدم تقدم مجتمعه، بل الإنسان. ومثل هذا الهاجس، يجعل الباحث في الواقع العربي والإسلامي يقف على قضية هي على غاية الأهمية في يومنا هذا وهي: أنه في ظل غياب الديمقراطية، وفي ظل تخلف الواقع، رحنا نشهد المزيد من المد الديني، على امتداد الساحة العربية، مع أن الباحث يجد أن قيم العصر، وما توصل إليه قد تجاوزت، التفكير بعقلية العصر الوسيط، وهل سيكون لصالح الإنسان المعاصر استمرار الإيمان بالجن؟ وأن عصا موسى شقت البحر؟ (٥٠)

---

٤٩ – نفس المصدر، ص١٦٣.

٥٠ – راجع: صادق جلال العظم، نقد الفكر الديني، دار الطليعة، بيروت، ط١٩٨٢، ص٣٦.

ألم يقدم علم الوراثة مجموعة من الإنجازات الوراثية لصالح الإنسان لم يعرفها إنسان العصر الوسيط؟ ونحن كمجتمعات نامية بأشد الحاجة لها. (٥١) اذن، نحن بأمس الحاجة للوصول إلى العصر، وتوظيف إبداعاته في مجالات الحياة اليومية بما يحقق التقدم والرفاهية لهذه الشعوب الضعيفة والمتخلفة. لكن وكما يبدو، و رغم الواقع المؤلم في واقعنا المعاصر لا نجد في هذا الواقع الا الدعوة للماضي والماضوية، وربما وجدت هذه الدعوة كل التشجيع من السلطان العربي، مما يجعل المواطن العربي، وفي العديد من الأقطار العربية ورغم غرقه في ماضويته لا يسمع الا أصوات العديد من رجال الدين، يتحدثون بالدين والفكر الديني وعبر وسائل الأعلام الرسمية، حتى أصبح يخيل للانسان العادي انه لم يعد لنا هاجساً الا الدين. (٥٢)

وربماوصلت درجة الحماس لدى بعض المواطنين للدفاع عن بعض رجال الدين، درجة تفوق الدفاع عن أنفسهم وبذلك تعزز موقف رجل الدين، من خلال تبني الإنسان العادي له، اضافة لتبني السلطان (٥٣)

---

٥١ – يتحدث علماء الوراثة في الغرب عن انتاج بقرة تنتج ١٥٠ طن، من اللبن في العام، وبذلك تزيد كمية المواد الغذائية، حيث المجتمع البشري المعاصر بحاجة ماسة لها. راجع: عبدالمحسن صالح، التراث العلمي ومستقبل الانسان، عالم المعرفة، العدد ٨٤، الكويت ١٩٨٤، ص ٩٢

ويتحدث علماء الوراثة والبيولوجيا في الدول الاشتراكية عن انتاج ماينوف عن ٣٠٠ صنف من النباتات المثمرة، وعلى ٤٠٠ صنف جديد من ذوات القرون و ٥٠ من الخليل و ٤٠٠ من الكلاب راجع: ف. كيللي. م. كوفالزون، المادية التاريخية، ص ١٠٤.

٥٢ – راجع: مصطفى النجاني، مجلة دراسات عربية، العدد ٢، بيروت لعام ١٩٩١، ص ٣٠

٥٣ – راجع: فؤاد زكريا، الحقيقة والوهم في الحركات الإسلامية المعاصرة، دار الفكر، القاهرة ط ٣ ١٩٨٨، ص ٢٧.

والجميع قد ابتعد عن المشاكل الحقيقية للإنسان في هذه البلدان وربما ساعدهم على ذلك، زيادة انتشار الأمية، والتي تتراوح في مجتمعنا العربي ما بين ٧٠ – ٩٠ بالمئة من السكان (٥٤) يضاف لذلك أنصاف الأميين، وهؤلاء جميعاً لهم الدور البارز في المساعدة على نشر الإستبداد، عبر عقليتهم المتخلفة، وبذلك يحتجب صوت العقل، وصوت الحوار الديمقراطي البناء أمام هذا الواقع، أخذ الخطاب الديني يطرح نفسه، ويجد التشجيع والإنتشار، وما حقيقة التمسك بهذا الخطاب الماضوي، دون تجديده، إنما هو افصاح عن الأمور التالية:

١ – هو رد على الفشل التنموي في المنطقة العربية، ومحاولة لرسم طريق الخلاص من هذا الواقع المؤلم، وبذلك يكون الخطاب الديني يمثل خطاباً تنموياً على حد تعبير أصحابه، وان كان بصورة ماضوية. (٥٥)

٢ – أزمة الغرب الرأسمالي، وأزمة المجتمعات الإشتراكية، في طريق تحقيق المزيد من التقدم مما يجعل هذه المجتمعات أشبه بالمجتمعات المأزومة.

اذن ، الخطاب الديني الماضوي، يجد مبرراته الداخلية والخارجية، ذلك بأن الاستبداد وغياب العقلانية، ومحاولة تغطية المزائم، والفشل التنموي، مما يدفع لتخدير الجماهير بالعبث في عمقها الوجداني، وتغييب حاضرها. وبذلك وصلنا إلى مرحلة سبق الكواكبي ت ١٩٠٢ ، أن صورها لنا أروع تصوير بقوله: (لم يكن ذلك كله الا بقصد الاستعانة بالدين او بأهله على ظلم المساكين (٥٦). وبذلك يكون الخطاب الديني المعاصر، هو خطاب مؤدلج، والهدف منه حرف وعي الجماهير عن الحقيقة، وما صورة الدين في هذا الخطاب إلاّ صورة إيهامية، لاسيما اذا أخذنا في اعتبارنا أن مجموعة بلدان ((الطريق الثالث)) قد تربط بين الدين والقومية أحياناً، وقد تأخذ بالدين أحياناً أخرى في ايديولوجيتها ، ولكنه بشكل أو بآخر، يظل الدين ركيزة أساسية في بنيانها السياسي. (٥٧)

---

٥٤ – راجع: عالم المعرفة، العدد ١٥٠، الكويت ١٩٩٠، ص ٢٣٨.

٥٥ - راجع مجموعة من الباحثين، الاستشراق والاسلام، ترجمة: فالح عبد الجبار، مركز الدراسات الاشتراكية في العالم العربي، ط١ ١٩٩١، ص ٢٣.

٥٦ – راجع: الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تحقيق: أسعد السحراتي، دار النفاش، بيروت ١٩٨٦، ص ٣٨.

٥٧ – راجع: ر. تولوتسيكا – وأخ. وفا، الشرق أفكار ومفكرون، دار الشيخ، دمشق، ط ١٩٨٨، ص ٦١.

وهذا ما يجعل الفكر الديني يجد كامل الدعم. (٥٨) وربما وصل عدد المساجد في يومنا هذا إلى نسبة لم يسجلها عصر الأسلام الأول. (٥٩) . لكن المفكر الإسلامي، ونتيجة لتفكره المستمر في الاسلام وكيفية نشره ومدى إمكانية تحقيق دولة اسلامية، يظل يرى أن الإسلام أمام تحديات، وأن الفكر الإسلامي هو فكر مضطهد حتى في أرضه، وأن الانسان المسلم يتعرض للعذاب والاضطهاد وبذلك تكون تحديات العصر للاسلام كما يلخصها مفكر إسلامي في أنها تمثل مجموعة تحديات الأمس من حيث تعذيب الإنسان المسلم، وتشويه تفكيره الاسلامي. (٦٠) وبذلك يجد الباحث أن مثل هذا الطرح، يدفع الباحث العلمي والموضوعي، في الواقع المعاصر لاسيما العربي إلى طرح التساؤلات التالية: ما هي القوى المضطهدة حقاً في واقعنا؟ وهل القوى الاسلامية وحدها هي المضطهدة؟ وهل قضية التشويه، والوصولية، والانتهازية، خاصة بالفكر الإسلامي، أم أنها قاسم مشترك في الفكر المعاصر عامة؟ وهل القوى السياسية الإسلامية وحدها هي قوى معارضة على الساحة العربية والدولية؟ اذن، نحن أمام حقيقة لابد من إقرارها هي أننا في مجتمع مأزوم.(٦١). مما يجعل الانسان يجد الاضطهاد والتشريد، وربما الموت، وعبر قنوات الموت العديدة (= السم، القهر، السجن، القتل بمسدس كاتم للصوت) وما حقيقة هذه الأزمة، إلا استمرارية الأزمة الأمس حيث المجتمع الاسلامي التاريخي، هو مجتمع قمعي، لا يعرف الحرية والديمقراطية، على حد تعبير حامد ربيع. (٦٢) .

---

٥٨ – وفق تحدي الاحصائيات تجد أن العامل المسلم يضيع ٥٤ بالمائة من دوامه الوظيفي خلال شهر رمضان تحت شعار أنه صائم. راجع: بوعلي ياسين، الثالوث المحرم، دار الطليعة بيروت، ط٢ ١٩٨٥، ص ١٤٥.

٥٩ – يبلغ عدد المساجد في احدى القرى المصرية والتي يبلغ عدد سكانها ٦٢٣٧ وفق احصاء ١٩٦٧ حوالي ٦ مساجد. راجع: كمال المنوفي، الثقافة السياسية للافلاحين المصريين دار ابن خلدون، بيروت ١٩٨٠ ص ٢٢٤.

٦٠ – راجع: نجيب السيد، مجلة الثقافة اللاسلامية، العدد ١٨ اصدار السفارة الايرانية بدمشق، ط ١٤٠٨هـ ، ص ١١٣، ومابعدها.

٦١ – مجلة الوحدة ، العدد ٤٦، ٤٧ ، المجلس القومي للثقافة العربية، لعام ١٩٨٨، ص ١١٣ : أيضاً مجلة الطريق اللبنانية ، العدد ١ ، لعام ١٩٩٠، ص ١٧ ، ١٨

٦٢ – راجع : حامد ربيع، التجديد الفكري للتراث الاسلامي، دار الحلبي، دمشق، ط ١٩٨٢ ص ٤٩

عبر هذا السياق يمكن القول: إن القوى الإسلامية، ليست وحدها من القوى المتواجدة على الساحة العربية، والى جانبها العديد من القوى، وربما تكون معاناة الأخرين من التعذيب والقتل، والتشريد تفوق معاناة القوى الاسلامية، وربما لم يأت الوقت الذي يعم فيه الحوار والنقاش، والعقلانية على كافة المستويات.

أمام صورة الواقع هذا، نجد الفكر العربي ، منذ عصر النهضة وحتى يومنا هذا، ما زال هاجسه الأساسي مسألة التحديث، بكل أنواعه، الاجتماعي والسياسي، والاقتصادي والفكري. والفكر العربي ، اذ يفصح عن مثل هذا الطرح يفصح عن واقع متخلف ، وعن ضرورة الخلاص منه، وهذا بدوره ما جعل المهتمون بالنهضة يطرحون العديد من المشروعات، وفي خضم هذه المشروعات يأتي تلمس رجل الدين النهضوي للنهضة، لكنه من خلال تربيته وثقافته لن يجد مشروعاً نهضوياً، إلا عبر رؤيته الدينية، وعلى اعتبار أن تاريخ هذا الفكر، هو تاريخ طويل، وثقافة الجماهير هي ثقافة دينية واسعة، أصبحنا نجد المشاريع الدينية ، في محاولة الخلاص من الواقع بدءاً من خطاب الشيخ الطهطاوي ت ١٨٧٣ م، وصولا إلى الشيخ الأفغاني ت ١٨٩٧ م، وحتى الشيخ محمد عبده ت ١٩٠٥م، إلى يومنا هذا، عبر كافة الحركات الدينية، والقوى السياسية والإسلامية. ولقد كان عدوان ١٩٦٧ على العرب، من أكبر الأحداث التي هزت الضمير العربي، مما جعله يبحث عن أسباب الهزيمة، وطرق الخلاص منها، وعندئذ أدرك أن معركته الحقيقية هي معركة الحضارة، وهذا بدوره ما جعل البحث عن طريق الخلاص يأخذ محورين أساسيين هما.(٦٣)

-المحور الأول: وجد في البعث الديني الوسيلة للخلاص من الواقع الفاسد.

- المحور الثاني: أخذ يبحث عن طريق جديد.

لكن زيادة تفاقم الواقع الإقتصادي، والإجتماعي ، في واقعنا جعل مسألة البعث الديني تستمر وتتفاقم، لدرجة أصبحنا لا نرى في حياتنا إلا الحديث في الدين، وكان الأزمة هي أزمة دين وليست أزمة واقع، مما يجعلنا نفهم الامور فهماً معكوساً على حد تعبير محمود اسماعيل (٦٤)

٦٣-راجع:عون الشريف،في معركةالتراث،دارالقلم،بيروت،ط١٩٨٠،ص٥٠

٦٤-راجع:المستقبل العربي،العدد٨٦،مركزالدراسات الوحدةالعربية،بيروت،ط١٩٨٦ ص١٥٠

يضاف لذلك أن استمرار هيمنة الفئات التقليدية من إقطاعية وعسكرية متجبرة؛ وهي فئات غير جديرة بتحمل المسؤولية وصنع التنمية وحتى تستمر في مواقفها نجدها تستنفر الجماهير بين الحين والآخر: نحو الدين، بحجة الحفاظ على الموروث والدفاع عن القيم على حد تعبير أحد الباحثين العرب المعاصرين. (٦٥) وبذلك ندور في حلقة مفرغة مع أن معركتنا الحقيقية هي معركة نهضة، معركة حضارة، معركة ضد التخلف، والجهل، والاستبداد، بكل أنواعه، هذا بدوره ما يدفعني للقول: إن مصطلح التجديد الديني إنما هو مصطلح يثير الإلتباس لدى العديد من الناس حتى على مستوى الأوساط الثقافية، وربما يطرح النقاش والحوار حول إمكانية التجديد أو استحالته وهل يحق للناس القيام بذلك؟ أم أن المسألة هي رهن بالإله؟ وبذلك أجد أن الحديث في هذا الموضوع انما هو نوع من السفسطة، ومن الأفضل عدم الخوض به لأنه لن يؤدي إلا للمزيد من الإجترار في قضية قديمة متجددة.

اذنالأفضل لنا أن نطرح السؤال ضمن الصيغة التالية:

لماذا التجديد اليوم؟ وما هي المسوغات لذلك؟ وهنا يجد الباحث أن الواقع العربي المعاصر، ومن خلال ما يشهده من مد ديني، على امتداد الساحة العربية، قد أخذ يطرح مثل هذه التساؤلات. لكن التساؤل يعود لطرح نفسه من جديد بالقول: ما هي أسباب هذا المد؟ وهل مرد ذلك الإخفاق النهضوي المعاصر؟ أم انعدام الديمقراطية؟ لكن البحث في الواقع المعاصر يجيب عن هذه التساؤلات في الإجابات التالية:

١ – مع زيادة الإخفاق النهضوي، ومع زيادة مشاكلنا الاجتماعية، ومع احتمال ظهور المجاعات من خلال انخفاض الإنتاج والانتاجية، في الوطن العربي، ومع زيادة نسبة البطالة، وتفاقم المشاكل الاجتماعية، والاقتصادية، لاسيما في عقد الثمانينيات، أصبحنا نسمع بمد ديني والذي يعكس نكوصا حقيقياً على كافة المستويات.

٢ – أمام زيادة الإستبداد السياسي، وسيادة النزعة العسكرية، في الحياة الاجتماعية والسياسية برز المد الديني. (٦٦)

٦٥–راجع:عبدالمنعم تليمة،مجلةالمستقبل،العدد٨٦،ص١٥١.

٦٦–راجع:فؤادزكريا،الحقيقةوالوهم في الحركات الاسلاميةالمعاصرة ،ص١١١

وربما وجدت الجماهير الشعبية في الخطاب الديني، خير وسيلة للتعبير عن مشاكلها، لاسيما اذا أُخذنا .في اعتبارنا أن أماكن العبادة ربما تكون الأماكن الأكثر ديمقراطية للتعبير عن الرأي، وربما وجدت الجماهير في الخطاب الديني، ومن خلال التذكير بحياة النبي والصحابة، محاولة غير مباشرة لتذكير السلطان العربي للأخذ بيدها، وهكذا يفصح واقع المد الديني من ناحية ثانية عن اشكالية الواقع العربي المعاصر ومما يجعل دعوة المثقف العربي لتجديد هذا الخطاب (= الخطاب الديني) محاولة نهضوية في تجديد الواقع العربي اجمالاً.

خاتمة:

إذن ثمة حقيقة لابدّ من اقرارها وهي: أن الإنسان المسلم كان وما زال يعتقد أن الإسلام دين سماوي، ونبيه محمد حوالي ٥٧٠ – ٦٣٢ م وكتابه القرآن. (٦٧).

عبر هذا السياق نجد الخطاب العربسلامي ما زال يؤكد على أن الاسلام دين سماوي، وهذا بدوره ما جعل الحاكمية لله، على حد تعبير سيد قطب. (٦٨)أو(حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة) (ولأن مخالفة القرآن الكريم والسنة الصحيحة توجب الضلال بل الكفر ولأن ما يقال عن تطور التعاليم الإسلامية وتغييرها وفقاً لتغير الظروف والعصور خروج عن الإسلام على كل حال)) هذا على حد تعبير الشيخ محمد حسن آل ياسين. (٦٩)

٦٧– راجع الأمام:محمدباقر الصدر،اقتصادنا،مجمع الشهيدالصدر،ط ١٨٠٤ه،ص٠١٧
أيضا:معجم الأخلاق،ترجمة:توفيق سلوم،دارالتقدم،موسكو،ط١٩٨٤،ص٠٥٠

٦٨– يقول سيدقطب في خطابه:(فمصلحةالبشرمتضمنة في شرع الله فانابداللبشرذات يوم إن مصلحتهم في مخالفةما شرع الله لهم،فهم واهمون وكافرون)
راجع: محمدحافظ دياب سيدقطب،الخطاب والإيديولوجيا،دارالطليعةبيروت ط١٩٨٨، ص٩٣

٦٩–راجع:الشرح محمدحسن آل ياسين،مفاهيم اسلامية،دارالحياة،بيروت،ط١٩٧٢، ص٢١٦

أمام صورة الواقع هذا أصبحنا نقرأ في الخطاب الماركسي العربي عملية الفصل بين العقيدة أوالإيمان،أو التدين،وبين الممارسات الدينية أو السياسية،والإجتماعية باسم الدين.(٧٠)

وبذلك يصل الباحث إلى النتائج التالية عبر تحليل آلية الخطاب العربي الاسلامي والماركسي حيث:

١ – الخطاب الاسلامي: يعتبر الإسلام كلمة الله، وبذلك لا يحق للبشر التدخل بها، لأن إرادة الإله فوق إرادة البشر، مما يجعل تدخل الانسان يمثل خروجاً عن الشرع.

٢ – الخطاب الماركسي: يحاول فصل الإلهي عن البشري، وبذلك يصبح لديه الخطاب الديني هو:

– خطاب ديني، ايماني، عقائدي، لا علاقة لحركة النقد به.

– خطاب ديني دنيوي، وهو يمثل تجربة الإنسان الفكرية في مجال البحث الديني، وهذا الخطاب يمكن دراسته ونقده.

عبر هذا السياق، وبعد أن قدّمنا رؤيتين تبدو في نظر الإنسان العادي كل واحدة مناقضة للثانية لابدّ من تقديم رؤية ثالثة، وهي رؤية الجماعة الإسماعيلية لعملية التجديد الديني حيث يجد الباحث في الفكر الديني الإسماعيلي استمرارية التجديد، وهذا ما دفعني لأن أفرد فصلاً خاصاً بعملية تجديد الفكر الديني لدى جماعة الإسماعيلية.

إذن، مسألة التجديد، لاسيما الديني ليست بالشيء السهل كما يمكن أن يفهم بعضهم على اعتبار أن الحديث في الدين يعني الحديث في الموروث، والذي بدوره يشكل الأرضية الفكرية للجماهير الشعبية، على امتداد الساحة العربسلامية ، ومما يزيد في صعوبة البحث أيضاً هو الأخذ في الإعتبارات التالية:

١ – تاريخ الدين، والفكر الديني، هو تاريخ طويل، مما جعله يحفر الخنادق والأخاديد

..

٧٠– يكتب محمود أمين بقوله.(نتحدث هنا عن الدين فلسنا نقصد العقيدة أو الايمان أو التدين انما التجلي العلمي النسبي لهذه العلاقة في صور مختلفة من الوعي وخاصة في مجال السلطة و النظام الاجتماعي).مجلة قضايا فكرية،الكتاب الثامن،دار الثقافة الجديدة،القاهرة،١٩٨٩، ص٥.

داخل النفس الانسانيةالعربيسلامية.(٧١)

٢ – الدين ما زال يمثل الايديولوجية السياسية والفكرية، داخل المنطقة العربية الاسلامية سواء على مستوى السلطة أو المعارضة، منذ القديم وحتى اليوم حيث:

– السلطة تتهم المعارضة بالخروج عن الدين.

– المعارضة تتهم السلطة بالخروج عن الدين. (٧٢)

وبذلك يكون الفكر الديني قد مثل، وما زال يمثل، الخطاب السياسي، مما يعني أن التجديد بهذا الخطاب، إنما هو تجديد في الخطاب السياسي. هذا و لا يسع الباحث في نهاية بحثه إلا التذكير بما قاله الكواكبي ت ١٩٠٢ بقوله: (دعونا ندبر حياتنا اليومية ونجعل الأديان تحكم في الأخرة فقط، دعونا نجتمع على كلمات سواء ألا هي: فلتحيا الأمة، فليحيا الوطن، فلتحيا طلقاءاعزاء). (٧٣)

٧١–راجع:بريشكينا،وزبركين،وباكوفليفا،ماهي المادية التاريخية؟دارالقلم،موسكو، ط١٩٨٦،ص٧٨.

٧٢–راجع:مقالناعبرمجلةالطريق اللبنانية،العدد٦،لعام١٩٩٠،ص١٨٦.

٧٣–راجع:الكواكبي،طبائع الاستبدادومصارع الاستعباد،ص١٢٢.

الفصل الثاني

الجذور التاريخانية للحركة الإسماعيلية

- مقدمة.
- إشكالية الواقع الاقتصادي وعلاقته بولادة الحركة.
- إشكالية العنف السلطوى وأثره على ولادة الحركة.
- تماسك الهيكل التنظيمي ومتانته.
- خاتمة.

مقدمة:

دراسة الفرق الدينية الشيعية عموماً، وعبر كافة أقسامها تجعل الباحث يقف أمام حقيقة مسلم بها ومفادها: ان الحركة الشيعية إجمالاً هي حركة دينية (= سياسية) معارضة للسلطوية العربية الحاكمة (= إسلام السلطة) في العصر الوسيط، بل هي حركة الفقراء والمحرومين داخل المملكة العربسلامية. (١)

عبر هذا الواقع نشأت الحركة الإسماعيلية عام ١٢٨ هـ، على يد الامام جعفر الصادق، على حد رأي عارف تامر الاسماعيلي المولد. (٢) وكانت ولادة الحركة أول الأمر في العراق، ولكنها مجرد فكرة حتى عام ١٤٣ هـ ، وهو العام الذي يعتبره بعض المؤرخين عام وفاة اسماعيل بن جعفر. (٣). وبذلك تكون الإسماعيلية في الأصل هي حركة سياسية، كانت تهدف من جملة ما تهدف إليه، مساعدة الفقراء والمحرومين والمحتاجين، مما جعلها تحيط نفسها بالسرية ولم يعرف عنها إلا القليل القليل (= عدا بعض المقربين من الامام) (٤)

---

١ – راجع: طريف الخالدي، دراسات في تاريخ الفكر الاسلامي، دار الطليعة، بيروت، ط٢ ١٩٧٩، ص٢٨.

٢ – راجع: دائرة المعارف، بادارة. فؤاد افرام البستاني، بيروت، ط١٩٨٠، ص١٢/٣٢١.

٣ – هنا تحديدا تعتبر جماعة الإسلاعيلية ان وفاة اسماعيل لم تكن حقيقة، وانما هي عملية مبرمجة تمت بمساعدة الكيميائي المعروف جابر بن حيان تلميذ الامام جعفر الصادق، حيث قام ببعض الأعمال الطبية تبرز فيها صورة اسماعيل بصورة الميت، ثم يتم تستره ليقود نضاله السري، وبذلك تبدأ مرحلة الستر. ورواية عدم موت اسماعيل هذه تتوافق مع رأي مؤرخ الفرق الاسلامية السلطوية (= الشهرستاني).
راجع: الشهرستاني، الملل والنحل، ص ١/١٩١.

٤ – راجع: بندلي جوزي، من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام، دار الجليل، دمشق، ط٣ ١٩٨٢، ص ١٢١.

يضاف إلى أنها كانت على غاية الدقة في السرية، لاسيما في اختيار عناصرها من الأشخاص الأوفياء والأذكياء في المجتمع، بهدف ضمان استمرارها، وعدم كشف أسرارها، لتضمن استمراريتها مما جعل السلطوية الحاكمة لا تعرف عنها إلا القليل القليل.

وحاولت الإسماعيلية كأي جماعة دينية مدّ الجذور التاريخية، وربما ذهبت بذلك إلى أبعد من غيرها، لاسيما عندما اعتبرت اسماعيل بن ابراهيم الخليل، يمثل بداية تكون الحركة. (٥) وصورةاسماعيل هي صورة مشرقة في الفكر الديني عموماً، فهو يرد في اثني عشرة مرة في القرآن، وعندما جاء اسماعيل للحياة كان أبوه قد وصل سن الشيخوخة، حيث ورد في القرآن، سورة ابراهيم، آية ١٤ :(الحمد لله الذي وهب لي، على الكبر، اسماعيل وإسحاق). ودرجة اسماعيل لا تقل مرتبة في القرآن عن درجة الأنبياء، حيث نقرأ في سورة النساء، آية ٤ (ـــــ وأوحينا إلى إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وعيسى، وأيوب، ويونس، وهارون، وسليمان، وآتينا داود زبوراً) ويبرز الدور التاريخي لإسماعيل في بناء الكعبة إلى جانب أبيه إبراهيم، كما ورد في القرآن سورة البقرة، آية ٢: (ـــــ وعهدنا إلى ابراهيم وإسماعيل أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والرّكّع السّجود) وإسماعيل هذا كَرَّمَهُ الإله عندما كان طفلاً، وعطشت أمه بنبع زمزم، وإسماعيل هذا، لم يكن يتكلم العربية، وكانت لغته الأصلية هي السريانية، وعندما تزوج امرأة من جرهم تعلم منها العربية وعندئذ أطلق على اسماعيل وأولاده عرب مستعربة. (٦)

وإسماعيل هذا هو أبو زيد با في الفكر اليهودي، والذي كان من قواد يهودشافاط (٨٧٠ – ٨٤٨ ق.م) وهو رئيس قوم أقاموا في شمال سوريا، واشتركوا في مقاومة نبوخذنصّر. (٧)

عبر هذا السياق يقف البحث في الفكر الإسماعيلي على قضية هي على غاية الأهمية، والخطورة الاجتماعية ، والتي تتمثل بالقول: إن الإسماعيلية ديانة قديمة، وتعود لما قبل

---

٥ – راجع:عارف تامر،دائرةالمعارف،مصدرسابق،ص١٣/٣٢٢.

٦ – راجع:لويس خليفة،نفس المصدر،١٣/٢٨٧.

٧ – نفس المصدر،١٣/٢٨٨.

الإسلام، بل شأنها شأن الإسلام أيضاً، فهي حية منذ جذور التاريخ، وبذلك يقع مثل هذا الطرح أمام مشكلة صعبة الحل وهي:

أين هو هذا التراث الفكري الذي يؤكد ذلك؟ ثم إن القول بمثل هذا العمق التاريخي الا يعني وقوع الإسماعيلية في مطب الفكر السلطوي المعارض للإسماعيلية والذي لا يعترف بالإسماعيليين كمسلمين؟ ثم كيف ستوفق الاسماعيلية بين مثل هذا التأريخ، وبين قولها أنها حركة شيعية؟ وقول الإسماعيلية أنها حركة شيعية يدفع الباحث للوقوف عند شخصية اسماعيل بن جعفر والباحث في الفكر العربي يجد أن إسماعيل هذا هو ابن الامام جعفر الصادق ت ١٤٨ هـ والذي يعود بنسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب، وهو معروف (= اسماعيل) بتعاطيه الخمر. (٨)ومشكلة تعاطيه للخمرة، بل سلوكه هذا، هو الذي جعل والده يقلع عن الوصية بالامامة له الا أن الباحث في التراث عموماً يجد نفسه أمام الإشكاليات التالية:

– إن قضية الإمامة لدى الشيعة الإمامية عامة هي إلهام إلهي، ولا علاقة للإمام السابق بها.

– أن يكون أحد أفراد آل البيت سكيراً، فهذه مسألة خطيرة، وتطعن في أخلاقيتهم، لاسيما أن آل بيت النبي، وهم معروفون بتمسكهم الشديد بالإسلام، والخمرة مرفوضة في الإسلام، وبذلك تكون مثل هذه التهمة انما هي محاولة للتشهير بشخصية يحسب لها حساب.

– كل الشخصيات الأموية المعارضة للسلطوية الأموية، وجهت لها مثل هذه التهمة. اذن، تهمة تعاطي الخمرة هو أسلوب السلطوية العربسلامية في التشهير الأخلاقي بمعارضيها وبذلك تكون مقولة إسماعيل كان سكيراً، هي مسألة مشكوك بها، إن لم نقل أنها مرفوضة، والهدف منها جعل الناس تنفر من هذه الشخصية، مع العلم أن الاسماعيلية تتمسك بعصمة الإمام، مع إقرارها بأن قضية شرب الخمر لا تفسد العصمة. بحجة:(أن يغير الله ما أراد سابقا محال) (٩)

٨–راجع:بندلي جوزي،الحركات الفكريةفي الاسلام،ص١٣٦.
أيضا:أحمدمحمودصبحي،نظريةالامام لدى الشيعةالاثنى عشرية،دارالمعارف،مصر، ط١٩٦٩،ص٣٧٩.

٩–راجع:ليلى الصباغ،معالم العصر العباسي،جامعة دمشق،ط١٩٧٥،ص١٩٩.

فالثورات الاجتماعية(= الحركات السرية) في العصرين الأموي، والعباسي كانت بحاجة لشخصية قيادية من آل البيت، كي تكسب تأيدها الجماهيري من ناحية، وحتى تكسب مشروعيتها من ناحية ثانية، وهذا ما يجعل الباحث في التراث يجد أن ثورة الزنج، قد جعلت من علي بن محمد، والذي يعود بنسبه إلى الامام علي بن أبي طالب قائداً لها، وكذلك غيرها من الثورات الإجتماعية اذن، الدعوة الإسماعيلية كحركة سياسية معارضة للسلطة العباسية، كانت بحاجة لشخصية قيادية من آل بيت النبي، وهذا بدوره ما دفع الحركة للوقوف وراء شخصية اسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق بالرغم من تناقض الروايات حول تاريخ موته حتى داخل الجماعة الاسماعيلية نفسها، حيث يعثر الباحث على رواية تاريخية تؤكد على أن إسماعيل قد مات في عهد أبيه الامام جعفر بعد أن تستر لمدة سنة نتيجة الخوف من الخليفة العباسي وأن جعفراً قد نص على الإمامة لابنه اسماعيل من بعده وهي عقبة من بعده، ولا يصح أن تعود الفهقرى، ومرد ذلك كما ترى الإسماعيلية الحديث الذي ترويه عن جعفر الصادق بقوله: (الإمامة في لقب تجري في واحد عن واحد لا ترجع الفهقرى ولا تعود الى الوراء) (١٠)

وإسماعيل هذا كما يذهب المصدر السالف الذكر، عاد ونص على الامامة لابنه محمد، وكان عمره آنذاك ٢٦ سنة، وبحضور جده جعفر الصادق ظل محمدٌ مستتراً لا يعلم به أحد إلا بعض المقربين من شيعته. (١١)

وتذهب بعض الروايات التي يأخذ بها بعض معاصرينا، من الاسماعيلية للقول: ان إسماعيل ظل مستتراً مدة زمنية طويلة، وأن موته قد تم عام ١٥٨ هـ في البصرة، ثم انتقلت الامامة الى ابنه محمد من بعده. (١٢)

---

١٠ – راجع:الداعي المطلق ادريس عمادالدين القرشي ٨٧٢ه،عيون الأخباروفنون الأثار، السبع الخامس.
تحقيق:مصطفى غالب،دارالأندلس،بيروت ط١٩٧٥،ص١٦٠.

١١ – المصدرالسابق:السبع الرابع،ط١٩٧٣،ص٢٥١.

١٢ – راجع:الداعي الاسماعيلي:النعمان بن حيون التميمي ٣٦٣ه،أساس التأويل،تحقيق: عارف تامر،مكتبة المجلس الإسلامي الاسماعيلي بالسلمية،سوريا،ص٣٦٨.

عبر هذا السياق من الجدل حول تاريخ موت اسماعيل بين ١٤٣ هـ أو ١٥٨ هـ، يحاول مصطفى غالب حسم الموقف بقوله: (وخلاصة القول سواء توفي اسماعيل بعد أبيه أو قبل أبيه فإن الإمامة باقية في عقبه بعد أن نص على إمامته) (١٣)

وربمايعثر الباحث في الفكر العربي على رواية أخرى تؤكد على أن الامام جعفر قد نص بالإمامة لخمسة أشخاص وهم: (ابنه عبد الله ثم ابنه موسى ثم زوجته حميدة ثم ابو جعفر المنصور ثم ابن سليمان) (١٤)

وهكذا تبرز أمام الباحث مجموعة من الروايات، هي التي جعلت جماعة الإمام جعفر تنشق بعد موته إلى مجموعات ، لعدم معرفتهم بحقيقة النص. (١٥)

وكل جماعة تولي اماماً خاصاً بها. لكن محاولة فهم الأمور، وفق رؤية علمية، وعصروية، تجعل الباحث يقر بالحقائق التالية:

- زيادة القمع السلطوي للمعارضة لا سيما رموزها من القادة (= آل البيت).
- زيادة القمع السلطوي جعل المعارضة تنقسم إلى مجموعة من الأجنحة، مما جعلها ضعيفة ، وبذلك تحافظ السلطوية على وجوديتها.

عبر هذا السياق، واذا وفقنا بين الحقيقتين السابقتين يمكننا القول:

ان آل بيت النبي قد أرهقهم الظلم والاضطهاد من ملاحقة السلطوية لهم، مما جعلهم في قرارة أنفسهم يميلون إلى الصمت، مع رغبة في الوصول إلى السلطة، إذا سمحت الظروف. لكن الحركات الشعبية، والممثلة بالجماهير المقموعة والمعذبة لم تكن بقادرة على العمل بمعزل عن رموزها (= آل البيت) ، وهذا ما دفعها إلى إعلان الولاء لهم، ودعوتهم العلنية والواضحة والصريحة لهم في قيادتها، رغم تحليهم عنها في بعض الأحيان (= كربلاء) بسبب الخوف من السلطان و بطشه،لكن آل البيت الذين عرفوا بمواقفهم إلى جانب

---

١٣ –راجع:مصطفى غالب،تاريخ الدعوة الاسماعيلية،دار الأندلس،بيروت،ط٢ ١٩٦٥، ص١٤٣

١٤ ـ راجع: عبد الحليم الجندي، الإمام جعفر الصادق، ص ٣٧٢

١٥ –راجع:الداعي المطلق عماد ادريس القرشي،السبع الرابع،ص ٣٣٥.

هـــــــذه الحركات كانوا ضحية المواقف في بعض الأحيان (= الحسين بن علي). (١٦) عبر تناقضات هذا الواقع، وعبر مآسيه، برزت الحركة الإسماعيلية كواحدة من الحركات الدينية (= السياسية)، في وجه الإستبداد السلطوي (= إسلام السلطة)،وبرزت محاولتها الفكرية ، في ايجاد مبررها ومشروعية وجودها، وهذا ما يجعل الباحث في الجذور التاريخانية للحركة الإسماعيلية، يعود ببحثهلمعرفة الأمور التالية:

أولاً: إشكالية الواقع الاقتصادي، وعلاقته بولادة الحركة:

الإسماعيلية كحركة سياسية برزت أول الأمر تحت شعار الدين، لا سيما إذا أخذنا في اعتبارنا ان الفكر الديني، مثل لغة الفكر السياسي في العصر الوسيط. (١٧). ثم أعلنت أنها تناصر اسماعيل ابن جعفر ما دامت الوصية له، حيث حقت له بعد موت أبيه، وأنه لا يصح العودة بالنص القهقرى وبذلك يقف الباحث أمام المبرر الديني في ولادة الحركة، على اعتبار أن الدين يخيم على كل شيء، اذن ، ماهي الدوافع الأخرى لظهور الحركة؟ وهنا أجد أن الإجابة عن هذا التساؤل يعيد الباحث لمعرفة العوامل السياسية، والاجتماعية والاقتصادية، والفكرية، حيث نجد:

– الأسباب الاجتماعية: وتتمثل في الظلم الاجتماعي الذي خيّم على الناس، نتيجة استغلال وابتزاز السلطوية الحاكمة، وهذا ما جعل طبقة الوزراء تتحول الى طبقة ثرية، تملك الأراضي، والأموال، في الوقت الذي يعيش فيه الناس بالفاقة والحرمان. (١٨).

– الأسباب السياسية: وتتمثل في الرغبة الإجتماعية بالخلاص من السلطة السياسية، وهذا هو اتجاه الحركة الشيعية عموماً، منذ اليوم الأول لولادتها. ثم راحت تتحول مع الزمن إلى حركات اجتماعية نتيجة حرمانها الاقتصادي، وفقرها المعاشي.

١٦–لقدرفض الحسين بن علي مشورةعبدالله بن عباس في العدول عن المسيرلأنه قطع وعدا. راجع:ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ص٣٩٩/٣وما بعدها

١٧–راجع:ميشيل لباد،الاسماعيليون والدولةالاسماعيليةبمصياف،مطبعةالاتحاد، ط١٩٦٢،ص١٨.أيضات–ج–دي–بور–،تاريخ الفلسفةفي الاسلام،ترجمة:محمدعبد الهادي أبوريدة،مكتبةالنهضةالمصرية،طخامسة،ص١٥٥.

١٨ – كانتثروةابنالفرات٢٩٦هـأكبرمنأن تحسب، وله مطبخان، الأول للخاصة، والثاني للعامة. راجع:آدم متز ،الحضارةالإسلاميةفي القرن الرابع الهجري،ترجمة:محمدعبد الهادي أبوريدة،دارالكتاب العربي،بيروت،ط١٩٦٧،ص١٨١.

– الأسباب الثقافية: وتتمثل في التفاعل بين الفكر الإسلامي، والفلسفة اليونانية، حيث أخذت الفلسفة اليونانية تفعل فعلها بالرغم من أنها قد وصلت إلى طريق مسدود في المجتمع اليوناني ومثل هذا التفاعل أخذ يطرح العديد من القضايا الكلامية، مما طرح ظهور الفرق الكلامية كالمعتزلة وغيرها. (١٩)

–اسباب سلطوية: وتتمثل في محورين:

– المحور الأول: ويتمثل في رغبة السلطان في تفتيت المعارضة، بهدف إضعافها، بدلا من مواجهتها العسكرية، مما يؤدي لخسائر مادية، وربما تكون النتائج غير مشجعة.

– المحور الثاني: رغبة قيادة المعارضة بطرح أسلوب جديد للنضال، فالامام جعفر الصادق شخصية معروفة من السلطان الحاكم بشكل جيد، وهو يعرف ذلك، ويتم تسجيل ما يقوله بكل صغيرة وكبيرة وهذا يعني بالنتيجة، أنه أصبح قوة مشلولة في المجال السياسي، ولم يعد أكثر من رجل دين، يمارس الفكر الديني، مع رغبته في السلطة (– موقف اسلامي)، وبذلك ربما يكون قد وجد في شخص ابنه اسماعيل ضالته المنشودة.

إذن، تلك هي صورة موجزة بالأسباب المباشرة ، لكن ماذا عن الاسباب الاقتصادية الحقيقية لولادة الحركة؟ فالباحث يجد أن ولادة الحركة الإسماعيلية لم تكن بين عشية وضحاها ، بل هي نتيجة معاناة طويلة من الظلم، والقهر، والقمع، والاستبداد، عاشها الانسان اجمالاً، في ظل التسلط الأموي والعباسي، وكيف قامت الدولة الأموية في اعتماد العنف للقضاء على الثورات الفلاحية، على يد الحجاج تحديداً. (٢٠)

عبر هذا التاريخ من القمع والاضطهاد تكونت المعاناة، وكان لا بدّ للحركات المعارضة من الاستفادة من اخفاقاتها من ناحية، ولابدّ لها من معرفة آلية العمل السياسي من ناحية ثانية، من هنا جاءت الحركة الإسماعيلية كحركة سياسية واقتصادية، هدفها مقاومة الاستبداد الاقطاعي. (٢١)

١٩–راجع:ميشيل لباد،الاسماعيليون والدولةالإسماعيلية بمصياف،ص١٧.

٢٠–قيل:أحصي من قتله الحجاج صبرافكانوا مائةألف وعشرين ألفا.
راجع:ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ص٤/٢٨٥

٢١–راجع:علي حسني الخربوطلي،١٠ ثورات في الإسلام،دارالأداب،بيروت،ط١٩٨٦، ص١٧٢.

وهذا ما جعلها تحمل طموحات هؤلاء الفلاحين، في تحقيق العدالة، والخلاص من الظلم وبذلك يمكن الحكم على هذه الحركة بأنها حركة فلاحية، في وجه الإقطاع السلطوي المستبد ، لاسيما اذا أخذنا في اعتبارنا، أن قادة الحركة هم من الفلاحين. (٢٢)

لكن وعلى اعتبار أن العصر الوسيط، هو عصر الدين والتدين كما أسلفنا، وأن اللغة السياسية هي لغة دينية، هذا ما دفع الأحزاب السياسية لتبني الدين، واللغةالدينية،كايديولوجيةلها.(٢٣) وهذا ما جعل السلطوية تدرك خطورة ذلك عليها، مما جعلها تتهم المعارضة بالهرطقة، وبذلك توجهت المعارضة لتطرح مسألة التفسير الباطني للنص الديني، كي تثبت حقها وشرعيتها مما يوصل الباحث بالنتيجة للحكم على الحركة الاسماعيلية ، على أنها حركة سياسية، عبر ايديولوجية دينية. وأظن أن مثل هذا الواقع نجد صورة له في واقعنا المعاصر (= حركة أمل – المحرومين) والعودة الى مرحلة ظهور الإسماعيلية توضح لنا أن العراق كانت مشبعة بالفكر الديني الشيعي مع أزمات اقتصادية، واجتماعية، خانقة. مع ادراك رواد الفكر الاسماعيلي لذلك الواقع، مما دفعهم لأخذه في اعتبارهم، بهدف تحقيق طموحاتهم، وهذا بدوره ما راح يطرح في الواقع ضرورة ظهور المخلص (= المهدي) مع أن مراجعة التاريخ توضح لنا أنه كلما ظهرت الأزمات وتفاقمت في العصر الوسيط نجد فكرة المهدي تبرز من جديد، وربما في أكثر من ديانة. (٢٤)

وهذا ما جعل دعاة الاسماعيلية، يدركون ذلك، فأظهروا التدين، والزهد، والتقشف، وأنهم صورة لحياة النبي، و بعض الصحابة الذين عاشوا في زهد وتواضع، مما جعل دعوتهم تنفتح لها العقول. (٢٥)

٢٢–نحن نقرأفي كتب التراث أن حمدان قرمط زعيم الحركةالقرمطيةكان أكّارًمن أُكَرِ سواد الكوفة.
راجع:البغدادي،الفرق بين الفرق،تحقيق:محمدمحي الدين عبدالحميد،دارالمعارف بيروت، بدون تاريخ،ص٢٨٢.

٢٣–راجع:ف–م كوفا لزون،المادية التاريخية،ص١٦٩.

٢٤–راجع:مقالتاعيرمجلة دراسات عربية،العدد١،لعام١٩٩١،ص٩٧.

٢٥–راجع:حسن بزون، القرامطةبين الدين والثورة، دارالحقيقة،بيروت،ط١٩٨٨،ص١٧٠.

اذن، واقع المجتمع في العراق آنذاك، هو واقع مأزوم، يضاف لذلك حالة تدين شديدة وهذا ما يجعل أي حركة تدرك ذلك، وتعرف كيف تستغله سوف تنجح، وربما يجد الباحث صورة لهذا الواقع في تاريخنا قديمه وحديثه حيث.

-عندما برزت الأزمات الاقتصادية والاجتماعية،وزادت التناقضات في المجتمع العربي ماقبل الاسلام نجد زيادة التدين،وزيادة التناقضات الدينية،ونجد أن الأحناف الذين طرحوا أنفسهم على أنهم الخلاص،وهم المتدينون كان نصيبهم النجاح عبر الاسلام.(٢٦)

- في يومنا هذا، ومع زيادة التناقضات والأزمات في مجتمعنا العربي، ومع بروز صورته بشكل واضح على أنه مجتمع مأزوم، اقتصادياً واجتماعياً، نتيجة المزيد من الإخفاق الاقتصادي والاجتماعي حيث زيادة نسبة البطالة، وانخفاض نسبة الدخل الفردي للإنسان العربي، نجد ظهور الأحزاب الدينية (= الأصولية). (٢٧). مع زيادة التوسع في قاعدتها الشعبية. وهي اذا استطاعت أن تحقق ذلك في بعض الأقطار العربية خلال مدة زمنية قصيرة، فانما مرد ذلك، اعتمادها محاكاة العمق الوجداني للانسان العربي من ناحية،والأستفادة من عجز الحاضر من ناحية ثانية.

وهكذالم يعد بالإمكان التنكر لأثر العامل الاقتصادي، في بناء الدولة أو زوالها ، مما يحتم على الباحث أن يبحث عن المصادر الأساسية لاقتصاد الدولة القرمطية كأول دولة إسماعيلية عرفها التاريخ آنذاك، والى أي المصادر يمكن ارجاع مرجعيتها.

الا أن العودة للتراث الفكري إجمالاً توضح لنا مصادر هذه الدولة الماليةوالمؤلفةمن(٢٨)

١ - صدقة الفطر: وهي تدفع في نهاية شهر رمضان، ومقدارها قطعة واحدة عن كل فرد، سواء أكان رجلاً، أم أمرأة، أم ولداً، وقد دفعها الجميع فوراً دون تردد.

٢ - فريضة الهجرة: ومقدارها قطعة ذهبية على كل من بلغ سن الرشد، وهي مخصصة لدار الهجرة (= دار الخليفة في الاسلام الأصولي) ولم يتأخر أحد عن تسديدها حتى أن الأغنياء كانوا يدفعونها قبل الفقراء.

٢٦-راجع:حسين مروه وأخرون،دراسات في الاسلام،دارالفارابي،بيروت ط١٩٨٧،ص٧٤.

٢٧-راجع:رفعت السعيد،مجلةقضايا فكرية،مصدرسابق،ص٢٠.

٢٨-راجع:ميكال بان دي خوته،القرامطة،ترجمة:حسني زينة،دارابن خلدون،بيروت، ط٢ ١٩٨١،ص٣٤،٣٥.

٣ – البلغة: وهي سبع قطع من الذهب، والبلغة تعني كمية الغذاء الضروري لاستمرار الحياة وكان الشخص يحصل على قطعة بحجم البندق من أكلة شهية، يزعم حمدان قرمط أنها غذاء أهل الجنة.

٤ – الخمس: وهو أن يدفع كل شخص خمس إنتاجه، وهذا يخص الرجال والنساء، ولم يتردد أحد في ذلك.

٥ – الألفة: وهي أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد، وتوزع حسب الحاجة بالتساوي، وهذا ما يذكر الباحث بنظام المؤاخاة الذي فرضه النبي على المهاجرين والأنصار، في بداية الدعوة الإسلامية.

وبذلك تكون مصادر التشريع الاقتصادي في أول دولة اسماعيلية (= القرمطية) هي مصادر اسلامية، وهذه مسألة طبيعية للإعتبارات التالية:

١ – الدولة اللاسماعيلية (= القرمطية) حاضنتها الفكرية اسلامية.

٢ – الدولة القرمطية للعصر الوسيط ، تمثل مرحلة ساد فيها الفكر الديني بكافة جوانب الحياة أمام هذا الواقع لا يمكن للباحث الموضوعي أن يتهم هذه الدولة (=القرمطية) بالكفر والإلحاد وانما السلطوية التي رأت في الدولة القرمطية خروجاً عن طاعتها، وهي التي وسمتها بذلك (= الهرطقة) ، كي تنفر أنصارها منها، على اعتبار أن الهرطقة سمعة مكروهة في مجتمع متدين الا أن واقع الدولة القرمطية في البحرين، يثبت على أنها تداجرت بعض التعديلات ، بل والتجديد في حياتها الأقتصادية.(٢٩)

حيث أقدمت الدولة على ممارسة الزراعة، وغرس البساتين، وكان اعتمادها بذلك على ألف عبد زنجي وحبشي. (٣٠) وهذا ما بين للباحث الحقائق التالية:

– الدولة القرمطية رغم دعوتها للعدالة، ونزعتها الانسانية، ظل الرقيق يعيش في داخلها مما يعني أن قيم العصر قد تركت بعض الرواسب عليها رغم تقدميتها، اذا ما قيست بعصرها.

٢٩–المصدر السابق ،١٢٧.

٣٠–المصدر السابق ،١٢٧.

– عدم استرقاق العنصر العربي، وهذا ما يؤكد تمسكها بالعروبة، بعكس ما يتهمها خصومها من أنها شعوبية.

– عدم التعامل بالفائدة ، مع الإكتفاء بأخذ المبلغ المدان في حال الدين، مما يؤكد التزامها بالفكر الاسلامي الأصولي.

– الدولة تقوم ببعض الخدمات كطحن الحبوب مجاناً، ويقوم السلطان بتقديم نفقات اصلاح الطواحين ودفع أجور العاملين بها.

– استعمال عملة رصاصية محلية في التعامل، بهدف الحفاظ على الأقتصاد. وبذلك تبرز للباحث أن الدولة الاسماعيلية (= القرمطية) قد ركزت منذ القديم على مسائل هي على غاية الأهمية بالنسبة لنا كمعاصرين، حيث نجد:

١ – التركيز على الزراعة، بهدف تحقيق الأمن الغذائي، وكم نحن بحاجة لمثل هذا الفهم اليوم في واقعنا العربي المعاصر. (٣١)

٢ – ايجاد عملة محلية تقطع الطريق على مهربي العملات، مما يؤدي إلى استقرار اقتصاد البلد، وهذا بدوره ما يجعل الفكر الاسماعيلي يحمل التجديد المستمر بهدف خدمة الإنسان. وبذلك تكون الاسماعيلية (= القرمطية) أول حركة دينية (سياسية) قد بنت دولتها على أسس إسلامية (٣٢)

ثانياً: اشكالية العنف السلطوي وآثره على ولادة الحركة:

منذ أن برزت الاسماعيلية، وهي تعيش حالة حرب، وربما وصل الأمر في بعض الأحيان لدرجة القتال بينهم وبين خصومهم، والى إبادة بعض مناطقهم إبادة كاملة، وهذه الحرب سجال، بين كر وفر والباحث يجد:

١ – الإسماعيلية منذ ولادتها كانت حركة موجهة ضد السلطوية العباسية، واستمرت في حروبها حتى انتهاء الدولة العباسية، وصورة الحرب هذه، تحمل العنف، وعدم الرحمة، حيث نقف امام حادثة إبادة سكان سلمية بالكامل عام ٢٩٠ هـ (٣٣)

٣١– نخص بهذا السياق دراسة جادة بعنوان: (المسألة الزراعية في الوطن العربي) راجع:مجلة الوحدة،العدد٢٥،لعام١٩٨٦.

٣٢–راجع:مصطفى غالب،تاريخ الدعوة الإسماعيلية،ص١٨.

٣٣–راجع:ميكال دي خوته،القرامطة،ص٦٢.

وقد اختلف الباحثون في تفسير هذه الحادثة التاريخية، فإذا كان بعضهم يعتبر الإنشقاق الذي تمّ داخل الحركة الإسماعيلية هو المسؤول عن الحادثة نجد بعضهم الأخر يعتبر الحادثة من تدبير السلطوية العباسية، حيث هدفت من ذلك إلى المزيد من تفتيت المعارضة من ناحية، ثم إلحاق الهزيمة بها من ناحية ثانية. (٣٤)

٢ – قيام الإسماعيلية (= القرامطة) بأعمال عنف في مكة عام ٣١٥ هـ . ثم أخذ الحجر الاسود، والاحتفاظ به لمدة ٢٣ سنة. (٣٥) والقرامطة اذ أقدموا على مثل هذه الفعلة فانما كان هدفهم:

– إسكات المعارضة ومنابرها في مكة.

– عدم إيمان القرامطة بأهمية الحجر الأسود كبنية عقائدية. ثم تعرض سكان حلب من الإسماعيلية الى مذابح في حلب عام ٥٠٥ هـ (٣٦) وهجوم الجيوش الصليبية مما دفع الإسماعيليين للدفاع عن أنفسهم وتقديم تضحيات كبيرة في وجه الغزاة من الصليبيين والسلاجقة. (٣٧)

لكن ما حصيلة هذا العنف؟ أنها كما يجدها الباحث برغم الألم والمرارة التي عاشها الإسماعيلي فأنه سيشعر بالفخر، وأن وجوده الحالي هو نتيجة تضحية، ونضال مادي ومعنوي، فشجاعة الإسماعيلي في وجه خصومه من الخارج والداخل، انما هي مضرب مثل، وشجاعتهم هذه جعلت خصومهم يفقدون وعيهم وسيطرتهم على أعصابهم وتفكيرهم، وينعتونهم بـ ((الحشاشين)) لكن الإسماعيلي كان يضحي من أجل مبدأ، ومن خلال قناعة، لذا قدم نفسه للحرب الدفاعية حراً وهنا يبرز دور القادة الإسماعيليين، ونجاح قيادتهم لعناصرهم ، ثم اعدادهم الإعداد اللازم ، مما دفع عناصرهم للتضحية، وهذا بدوره ما يجعل الباحث يميز بين هذه القيادات والتي هي قيادات روحية (= دينية) وبين قيادات سياسية، حيث تمسك القواعد بالقيادة إنما يعني الإلتزام بالدين.

٣٤–راجع:حسين بزون،القرامطة بين الدين والثورة،ص٤٥.

٣٥–راجع:ميكال دي خوته،القرامطة،ص١١٧.

٣٦–راجع:ميشيل لباد،الاسماعيليون والدولة الاسماعيلية بمصياف،ص٣٦.

٣٧ـ راجع: نفس المصدر، ص ٧٠ صص١١،١٥

وبذلك تبرز مجموعة من الشخصيات القيادية (= روحية وسياسية) على مسرح الأحداث، وأخص منها، شخصية راشد الدين سنان وقيادته الفكرية والعسكرية لمرحلته، وقدرته في تحقيق النجاح العسكري والسياسي للمحافظة على جماعة الإسماعيلية بمصياف.(٣٨)حيث تشكل مدينة مصياف الإمتداد الآخر لمدينة سلمية، مركز الحركة الإسماعيلية التاريخي، فالسلمية التي تقع الى الجنوب الشرقي من مدينة حماة، والشمال الشرقي لمدينة حمص، عاش فيها بعض أئمة الإسماعيليين (= مرحلة الستر) وبعض الدعاة مدة زمنية طويلة، وفيها توضع الخطط العسكرية، للزعامات الروحية. وهذا بدوره ما يدفع للسوال التالي:

لم سلمية المقر والمركز للدعوة الإسماعيلية؟

والإجابة على هذا السؤال تضعنا أمام الحقائق التالية:

- موقعها الجغرافي البعيدعن مركزالخلافة العباسية.
- تطويق مركز الخلافة وعزلها عن الأرض العربية، سواء بقطع الطريق عليها للشام، أو مصر، أو شبه الجزيرة العربية كما فعل القرامطة عام ٣١٥ هـ.
- تأمين الإتصال بأنصار الدعوة في الأرض العربية.
- تأمين حرية انتقال الدعاة في كل الاتجاهات ؛ مصر ، الشام ، اليمن ، العراق.
- بعيدة عن تأثير التآمر والتعاون الإقطاعي الفارسي، والسلطوي العربي.
- خصوبة أرضها، ووفرة مصادرها المائية آنذاك.

عبرهذه الخيارات كانت السلمية الموطن الأول للدعوة، والمقر الأساسي لابن القدّاح الرئيس المتستر في عهد حمدان قرمط.(٣٩) لكن يجب ألا يفهم على أنها السلمية) ظلت عبر التاريخ تحتفظ بزعامة الحركة الإسماعيلية، بل نجد الضرورات السياسة ، والعسكرية تجعل مركز القادة في تنقل إلى مصر في عهد الدولة الفاطمية، ثم مصياف في عهد راشد الدين بن سنان، ثم الى قلعة (آلموت) في بلاد فارس في عهد حسن الصباح، ورغم ذلك تظل السلمية، بموجب اعتبارات عديدة ويأتي في مقدمة ذلك كونها أول مركز تنطلق منه الدعوة الاسماعيلية من ناحية، ثم ظهور العديد من الشخصيات

٣٨–راجع:المصدر السابق،ص٥٧.

٣٩–راجع:ميكال يان دي خوته،القرامطة،ص٥٨.

الفكرية الإسماعيلية من ناحية ثانية، تظل مركز اهتمام الدارس والباحث لهذه الحركة، يضاف لذلك مكتبتها الفكرية (= مكتبة المجلس الإسماعيلي الأعلى).ضمن هذه الاعتبارات كانت السلمية وما زالت ترفد المجتمع العربي بشخصيات فكرية، وعلمية، وأدبية، رفيعة المستوى وهذا ما يجعل منها مركزاً هاماً من مراكز الفكر والثقافة منذ تأسيس الحركة الإسماعيلية وحتى اليوم. والإسماعيلية كأي تنظيم سياسي معارض، عرضة للتفتيت والتقسيم، بصورة مستمرة وبذلك نجد الجماعة الإسماعيلية، كما يصنفها الخطاب الإسماعيلي: (٤٠)

١ – المستعلية أو الطيبية أو (البهرة).

٢ – الداؤودية.

٣ – السليمانية.

٤ – النزارية.

٥ – المؤمنية.

٦ – القاسمية أو الأغاخانية.

٧ – الدرزية.

٨ – القرمطية.

٩ – الحسروية.

وهذه الإنقسامات تعود كما أراها ، ومن خلال قراءة التاريخ العربي الى:

١ – تأثير السلطوية في إمكانية تقسيمها بهدف إضعافها.

٢ – الاخفاقات الاقتصادية في بعض الأحيان. (٤١)

لكن الباحث يجد أن بعض هذه الأقسام قد أصبح في ذمة التاريخ، وربما أصبحت بعض الجماعات ضمن جماعات جديدة، وبذلك ينتج لدينا أنإسماعيلية اليوم تقسم إلى قسمين وهما:

٤٠–راجع:عارف تامر،دائرة المعارف،ص١٣/٣٢٠.

٤١–الاخفاق الاقتصادي مصرأيام الحاكم بأمرالفاطمي طرح الأنشقاق الاسماعيلي الدرزي. ثم الأخفاق الاقتصادي في عهدالمستنصربالله الفاطمي طرح الأنشقاق الاسماعيلي بين نزارية ومستعلية

راجع:المقريزي٨٥٤هـ،اغاثةالأمةبكشف الغمة،دارالجماهير،دمشق،ط١٩٥٦،ص١١،١٥، ٢١.

١ – المستعلية أو الطيبية أو البهرا.

٢ – النزارية.

وكل قسم يقسم الى قسمين فالحصيلة أربعة أقسام وهي:

١ – الداؤودية: والداعي المطلق الحالي لها هو: برهان طاهر سيف الدين ورقمه ٥٢.

٢–السليمانية: والداعي المطلق الحالي لها هو: علي بن الحسين ورقمه ٤٨ .

٣ – آغاخانية نزارية: والامام الحالي هو: كريم علي خان الحسيني (آغا خان الرابع) و رقمه ٤٩ .

٤ – المومنية النزارية: والامام الاخير هو: محمد بن حيدر، والملقب (الأمير محمد الباقر) ورقمه ٤٠ وهو مغيب عن هذه الجماعة.

ومثل هذا التقسيم يجعل الباحث، يقف على مجموعة من المراحل مر بها تاريخ الاسماعيلية وهي:

١ – المرحلة السرية: (= التاسيس) وتمتد منذ ولادة الحركة عام ١٢٨ هـ وحتى ظهور الدولة القرمطية على يد حمدان قرمط ٢٧٨ هـ ، وتمتاز هذه المرحلة بالسرية التامة ومحاولة كسب الأعضاء. (٤٢)

٢ – المرحلة العسكرية: (= القرمطية) حيث تبرز محاولة القرامطة في الاستيلاء على السلطة وتمتد هذه المرحلة منذ انفصال حمدان عن السلمية عام ٢٧٨ هـ . (٤٢) وحتى التصالح مع السلطوية العباسية حوالي ٣٤٤ هـ . (٤٣)

٣ – المرحلة التثقيفية: وهي تمتد ما بين ٣٤٤ هـ ، وحتى سقوط السلطة العربية بيد الأتراك عام ١٥١٦ م، حيث ظهرت خلال هذه المرحلة رسائل اخوان

---

٤٢ – راجع: خير الله سعيد، مجلة دراسات عربية، العدد٢، بيروت ١٩٨٨ ص٧٩.

٤٣–مثل هذا التوفيق بين الاسماعيلية والقرامطة يأخذ به بعض الباحثين المعاصرين. راجع:طيب تيزيني،الموسوعة الفلسفية العربية،المجلد الثاني /القسم الثاني،معهد الانماء بيروت،ط١٩٨٨،ص١٠٧٣.

الصفا، وأخذت بها جماعة الاسماعيلية، بل إنهم وعلى حد زعمهم يعتبرونها من صنع عناصرهم(٤٤)

٤ – مرحلة التصوف وهي تمثل مرحلة الإحتلال العثماني للوطن العربي، وتمتاز بالسمات التالية:

١ – سيطرة الجمود على اسماعيلية سوريا وغيرهم.

٢ – التناقض حول المناصب الدينية.

٣ – الإرهاب السلطوي العثماني لهم.

٤ – الفقر المادي بشكل عام. (٤٥) مما طرح حالة الزهد والجمود، والتصوف، وهو الوضع القروسطوية الذي سيطر على الوطن العربي بشكل عام.

٥ – المرحلة المعاصرة: وتمتد جذورها منذ بداية عصر النهضة وحتى يومنا هذا، وهنا يجد الباحث أن الحركة الإسماعيلية توجهت نحو تراثها، ثم أخذت في بعثه بهدف تثبيت جذورها التاريخانية. (٤٦) لكن هذا لا يعني أن الإسماعيلية تحاول بناء الكيان السياسي المستقل، وان الإسماعيليين في سوريا يفخرون بأنهم عرب، وان إمامهم اسماعيل يعود للإمام علي بن أبي طالب وهو هاشمي الأصل ويؤكدون أن حمدان (= حمدان قرمط) وكافة قادة الحركة هم من العرب سواء في العراق ، أو البحرين، رغم محاولة السلطوية آنذاك بالنيل من الحركة في اتهامها بالشعوبية لوجود عناصر غير عربية. وأظن مثل هذا الطرح يجعلنا نقف على حقيقة أساسية وهامة وهي أن الدولة العربسلامية إنما هي مزيج من قوميات عدة حيث:

١ – السلطوية: تضم بين انصارها عناصرغير عربية.

٢ – المعارضة: تضم بين أنصارها عناصر غير عربية.

لكن وبحكم أن المضمون العام للدولة، هي دولة عربية، وأن العرب هم مادة الاسلام وجوهره فإن أية حركة إن لم تكن عربية الأصل والمنشأ سيكون مصيرها الفشل.

٤٤–راجع:مقدمة عارف تامر،اخوان الصفا،جامعة الجامعة،تحقيق:عارف تامر،مكتبة الحياة بيروت،بدون تاريخ،ص١١.

٤٥–راجع:مصطفى غالب،تاريخ الدعوة الإسماعيلية،ص٢٩٩،٣٠٢،٣١٣.

٤٦–يبرز في هذا السياق نشاط عارف تامر،أيضا:مصطفى غالب من السلمية،سوريا.

اذن، وماذا عن الإسماعيلية وموقفها النضالي والقومي؟

١ – وقفت الحركة الإسماعيلية بكل قوة وشجاعة فكرياً وعسكرياً في وجه الحركة الشعوبية، حيث أفصحت عن نفسها بأنها حركة إنسانية لا مكان للعنصرية فيها، وربما كان هذا الموقف خدمة للسلطوية العربية الحاكمة آنذاك، حيث وجدّت من يقف معها ويدافع عن البلاد. (٤٧)

٢ – عندما برز الخطر الصليبي قدمت الإسماعيلية العديد من الشهداء ، من أجل حرية الوطن وربما فاقت تضحياتها أية تضحيات أخرى. (٤٨)

أذن ، ربّ قائل: بماذا تفسر علاقة الاسماعيلية اليوم بإمام الزمان (= كريم شاه) والذي هو غير عربي الجنسية؟ وهنا يجد الباحث أن الاسماعيلية لا تقر بذلك، بل تعتبر الإمام كريم هو من أصل عربي، ومن آل بيت النبي، وإقامته في أوربا تعود لأسباب سياسية (= الأمن) يضاف لذلك محاولته في نقل تجربة الغرب المتحضر إلى التنظيم (٤٩)

ثالثا : تماسك الهيكل التنظيمي ومتانته:

وللحركة الإسماعيلية طريقة مميزة في تنظيم العناصر، وقد ساعدتها هذه الطريقة على حسن اختيار العناصر من ناحية، وعلى التوسع في التنظيم من ناحية ثانية، وهذه الطريقة تستمد مقوماتها من نظام الكون حيث:

– السنة تقسم إلى اثني عشر شهراً، وهم يقسمون العالم إلى اثني عشر قسماً، وكل قسم يطلق عليه (جزيرة)، ولكل جزيرة داعية، يطلق عليه داعي دعاة الجزيرة، أو ((حجة الجزيرة)) أو ((صاحب الجزيرة)).

– ولما كانت أيام الشهر تتألف من ثلاثين يوماً، لهذا يتوجب لحجة الجزيرة ٣٠ مساعداً لنشر الدعوة ويطلق عليهم اسم ((النقباء)) وتحت إشراف كل نقيب ٢٤ داعية، بعدد ساعات اليوم، ومنهم ١٢ داعية يعملون في الظاهر كالشمس ، و ١٢ داعية في

٤٧–راجع:بندلي جوزي،من تاريخ الحركات الفكرية في للاسلام،ص١٤٦.

٤٨–المصدر السابق،ص١٥٤.

٤٩–راجع:مجلة ايلله الفرنسية عددنيسان،عام ١٩٦٩،ص٢.

في الخفاء كاختفاء الشمس تحت القمر.(٥٠)

—داعية لكل صاحب جزيرة لتقديم المعلومات له قبل زيارته لمنطقة معينة ،وهو بمثابة اليدين في الجسم، واحدة على اليمين، والثانية على اليسار.

والداعية يجب أن تتوفر فيه ثلاثة شروط،وهي:

١—العلم: ويمثل خبيراً بعلوم القرآن،والحديث،وعلم الكلام(=الجدل الديني).يضاف لذلك إلمامه بالتأويل الباطني لأمور الدين وفق العقيدة الإسماعيلية.

٢—التقوى:يلتزم الداعية الخير والعمل به،ويعمل بطاعة الله وفروضه،وتجنب معاصيه.

٣—السياسة:وتتمثل بحسن توجيه الداعية لنفسه،مما يوجه الأعضاء نحو الكمال، والبعد عن الرزائل،مع إلمامه بفصاحة اللغة، والذكاء،والتعقل.

—المكاسر: ويمتاز بمعرفة كافة الفرق سلبا وإيجابا،مع تمكنه باللغة،لمحاورة أبناء الفرق الأخرى

وقد أدركت الإسماعيلية، ومنذ بواكيرها الأولى أهمية وجود العناصر الذكية،وصاحبة المبادىء،ولهذا نجد تنسيب العناصر كان يخضع لدراسة دقيقة وصارمة، بل وتحليل لنفسيته، وإذا تبين عمقه الفكري والفلسفي تم تنسيبه.(٥١)

وهكذا وبعد سجال قد يطول بين الداعية المسئول عن التنظيم الإسماعيلي، وبين الشخص،وبعد المعرفة الدقيقة يتم تنسيب العضو.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه عبر مسار بحثنا، يتمحور على الشكل التالي:

٥٠—راجع:عبدالفتاح علياء،قرامطة العراق،مكتبة المجلس الإسماعيلي الأعلى،السلمية،الرقم العام ٤٠٥٠،ص١٥٩،١٦٠

٥١—نقرأ في رسالة عبدالله بن الحسين القيروان إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي بقوله فيها: (ادع الناس بأن تقرب إليهم بما يميلون إليه، وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن أنست منه رشداً فاكشف له الغطاء ، وإذا ظفرت بالفلسفي فاحفظ به، فعلى الفلاسفة معولنا ،وإنما إيانا هم مجهزون على رد نواميس الأنبياء ،وعلى القول بقدم العالم لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبر لا نعرفه).

راجع: البغدادي ، الفرق بين الفرق،ص٢٩٥

ما النتائج الايجابية من هذا العمل؟ ان الحركة الإسماعيلية وبموجب هذه الخطة في التنسيب قد استطاعت أن تكسب عناصراً هم على غاية الأمانةلمبادىءالدعوة، وقد تمثل ذلك في وحدتهم عبر تاريخهم وحروبهم، سواء في وجه السلطوية العباسية، أو في وجه الغزو الصليبي. (٥٢) لاسيما إذا أخذنا في الاعتبار أن هذه الدعوة (= الإسماعيلية) كانت وما زالت محط هجوم الخصوم في الداخل والخارج، ولهذا تجد نفسها بحاجة للتماسك والوحدة، بل وأمام الأخطار وبصورة مستمرة، ولن يتردد خصومها يوماً في الحرب الكلامية، كاتهامها بالمرطقة أو الاباحية، أو بالحرب العسكرية العدوانية.

ثم جاءت مرحلةثانية، راد فيها نسبة الجهل، مع انخفاض نسبة المثقفين والمطلعين، مما دفع بالحركة الإسماعلية، وعلى يد زعيمها آنذاك (= حسن الصباح) للاعتماد على العناصر الشعبية، بحيث يتكون منهم العناصر الفدائية. (٥٣) وبذلك يفصح الفكر الإسماعيلي عن عدم استقراره، أو ديمومته على حال.

ويركز الكثير من الباحثين والكتاب، قديماً وحديثاً ، ومن الخصوم والأنصار، على أهمية الطريقة الإسماعيلية في كسب الأعضاء، حيث نجد:

١ – البغدادي ت ٤٢٩ هـ ينقل عن رسالة عبيد الله بن الحسين القيرواني إلى سليمان بن الحسن ابن سعيد الجنابي، يوصيه فيها بضرورة التقرب لمن يميلون اليه، لاسيما أصحاب الفكر. (٥٤)

٢ – ويكتب بندلي جوزي في مطلع هذا القرن بقوله: (فكانوا يخاطبون كلا منهم بلسانه وبما يوافق ميوله ودرجة نموه العقلي فربما كانوا يخاطبون به العربي، ويصطادون المسلم بخلاف ما كانوا يصطادون به غير المسلم.) (٥٥)

٣ – ويكتب محمد عبد الفتاح علياء بقوله: (استخدم دعاة الإسماعيلية والقرامطة وسائل معينة في جذب المريدين إلى دعوتهم طبقاً لخطة محددة، ووعي فيهاتقديم مبادىءالدعوة في رقة ولين وتدرج) (٥٦)

٥٢–راجع:بندلي جوزي،من تاريخ الحركات الفكريةفي الإسلام،ص١٥٤.
٥٣–راجع:ميشيل لياد،الاسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف،ص٢٧.
٥٤–راجع:البغدادي،الفرق بينالفرق،ص٢٩٥.
٥٥–راجع:بندلي جوزي،من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام،ص١١٢،١٣٤
٥٦–راجع:محمدعبد الفتاح علياء،قرامطةالعراق،ص١٦٧.

ثم يقول: (يهتم الداعي في هذه المرحلة بمؤانسة المدعو وملازمته، ويجتهد أن يقوم بالأعمال التي يرى أنها محببة إلى المدعو مع مراعاة المبالغة في ذلك) (٥٧)

عبر هذا السياق من النصوص التراثية والعصروية ، يجد الباحث أن هذه النصوص تركز بصورة أساسية على الدعاة، وطريقتهم الخارقة في اكتساب الأعضاء ، واهمال العوامل الأخرى.

ومثل هدا الواقع يدفع الباحث لطرح السوال التالي:

أليس العصر الوسيط عصر الدين واللغة الدينية؟ ثم أليست الفرق الدينية هي فرقاً سياسية تحت ستار الدين. (٥٨) وهل سار الناس خلف هذه الفرق بهدف الدين أم أن هناك قضايا أخرى طرحتها هذه الفرق هي التي تمثل الخيوط الخفية لشد الأعضاء؟ إذن، الفكر الديني هو لغة الحوار، وأما الأهداف الأخرى فإنما كانت ترتبط بمشكلات المجتمع المأروم، ومحاولة الخروج من الأزمات، وهذه الأزمات تحمل الوجه الاجتماعي والاقتصادي، فالخلفاء لا يهمهم إلا قصورهم، وهم يعيشون في ترف ونعيم، والإقطاع المستبد المتعاون مع السلطان، يرهق الناس، وأحوال الناس من سيء الى أسوأ، مما شكل المعاناة الحقيقية، وبذلك بدأ التفكير بالمخرج من المأزق.

هذا الواقع جعل حركات المعارضة تدركه بصورة جيدة، فأخذت تطرح قضية العدالة، وضرورة حل مشاكل الناس الاجتماعية والاقتصادية، ولهذا نجد الداعية الإسماعيلي: حسين الأهوازي عندما يلتقي بحمدان قرمط في طريقه يسأله عن قرية تعرف بـ (باتنورا) في سواد العراق فقال له حمدان: (وما تريد في القرية التي سألتني عنها؟) فأجاب الأهوازي وهو يحدد أهداف الدعوة الإسماعيلية آنذاك: (رفع إلى جراب فيه علم وسرّ من أسرار الله، وأمرت أن أشفي هذه القرية وأغني أهلها وأستنقذهم وأملكهم أملاك أصحابها) (٥٩) وقد زادعدد الأجراء من العمال والفلاحين،حتى وصل عدد العمال إلى ثلاثين ألفاً فيهم العربي، والزنجي والحبشي. (٦٠)

٥٧–نفس المصدر،ص١٦٨.

٥٨–مثل هذا التصور يطرحه العديد من الباحثين سواء أكانوا عربا أم غيرهم راجع: ت.ج. دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٥٥.

٥٩–راجع:حسن بزون،القرامطةبين الدين والثورة،ص٣٨.

٦٠–نفس المصدر،ص٥٣.

يضاف لذلك سوء أحوال الناس، مما يحول المجتمع بكامله إلى مجتمع مأزوم ، يبحث عن مخرج ، فكانت القرمطية ، بدعوتها وتطبيقاتها الاقتصادية هي المخرج لهؤلاء الفقراء، وهذا ما دفع ناصر خسرو للقول: (وكل غريب في هذه المدينة له صناعة، يعطي ما يكفيه من المال حتى يشتري ما يلزم صناعته من عدد وأدوات، ويرد (إلى الحكام) ما أخذ حين شاء، وإذا تخرب بيت أو طاحون أحد الملاك، ولم تكن لديه القدرة على الاصلاح أمروا جماعة من عبيدهم بأن يذهبوا إليه ويصلحوا المنزل أو الطاحون، ولا يطلبون من المالك شيئاً. وفي الحسا مطاحن مملوكة للسلطان، تطحن الحبوب للرعية مجاناً، ويدفع فيها السلطان نفقات إصلاحها وأجور الطحانين) (٦١)

اذن الإسماعلية(=القرمطية) انما كانت تمثل آنذاك البديل السياسي والاقتصادي،لحل مشكلات المجتمع المأزوم، وهذا ماجعل دعاة الإسماعليةيدركونه جيداً(٦٢)مما يعني أن أي حركة تدرك هذا الواقع،وتعرف كيف توظفه،سوف تجد النجاح،مع أن باحث التاريخ يجد صوراً مشابهة لذلك في تاريخنا قديمة وحديثة حيث:

– برزتالأزمات الإقتصادية، وزيادة التناقضات المجتمعية، في المجتمع العربي قبل الإسلام ، قد أفرز المزيد من المد الديني، وجعل الأحناف الذين طرحوا أنفسهم كمخلصين، هم الناجحين عبر نجاح الدعوة الإسلامية. (٦٣)

– في مرحلتنا المعاصرة، ومع زيادة التناقضات في مجتمعنا العربي، وبروزه كمجتمع مأزوم، اجتماعيا وسياسيا ومع استمرار التدهور الاقتصادي، ومن خلال زيادة جيوش البطالة وانخفاض المستوى الصحي والمعاشي للإنسان العربي، تبرز صورة الاحزاب الأصولية. (٦٤)

٦١–راجع:ناصرخسرو،سفرنامه،ترجمة:يحيى الخشاب،دارالكتاب الجديدة،بيروت، ط١٩٨٣،ص١٤٢.

٦٢–راجع:حسن بزون،القرامطة،بين الدين والثورة،ص١٧٠.

٦٣–راجع:الأب جرجس داود داود،أديان العرب قبل الإسلام،المؤسسةالجامعية للدراسات والنشر،بيروت،ط١٩٨١،ص١٩٦،ومابعدها

٦٤–راجع:مصطفى دحماني،مجلة دراسات عربية،العدد٢،لعام١٩٩١،ص١٦.

على امتداد الساحة العربية وإذا أستطاعت تحقيق مثل هذا النجاح فإنما يمكن ارجاعه الى:

- مخاطبة العمق الوجداني، والتربوي والتراثي للإنسان العربي.
- توظيف العجز المعاصر لصالح مشروعها المنشود

إذن، الواقع المأزوم هو الذي جعل الإسماعيلية تحقق المزيد من الكسب البشري (=زيادة عدد الأعضاء في التنظيم، يضاف لذلك طريقة الإسماعيلية في اختيار الأعضاء، والتي تفصح عن حبرة كبيرة في التنظيم. وهذا يعود للاستفادة من الحركات والتنظيمات التي سبقت الإسماعيلية، وبذلك تمكنت الإسماعيلية من تحقيق النجاح في توجيه ضربات موجعة للسلطوية الحاكمة آنذاك ، بل وتلحق أشد الهزائم بالصليبيين والسلوجقيين ، وهذه الطريقة تلخص بما يلي: (٦٥)

١ – التفّرس: وتتمثل في اختيار الأشخاص الذين يلمس الداعية فيهم لين الجانب، وسرعة التأثر وهنا يمكن دور الداعية في معرفة نفسية الشخص وما تحب، وما تكره، والحوار معه على هذا الاساس.

٢ – المؤانسة: وفيها يتقرب الداعية من الشخص حتى يشعر أنه لجانبه، ثم يبدأ في مفاتحته بالطعن في السلاطين، وعلماء الزمان، وجهال العلوم.

٣ – التشكيك: حيث يأخذ الداعية بتشكيك المستجيب بعقيدته تمهيداً لتغييرها، حيث يطرح عليه مجموعة من الأسئلة في العقيدة الدينية يظهر فيها عجز المستجيب كقوله: لماذا الحائض تقضي الصوم دون الصلاة مع أن الصلاة مقدمة عن الصوم؟ ولماذا أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة؟

٤ – التعليق: اذا أظهر المستجيب الرغبة في المعرفة ، يأخذ الداعية بتهويل الأمور عليه واذا وجد الرغبة فيه قوية للمعرفة، والميل لجانبه، طلب منه العهد عليه، وسبيله بذلك ما ورد في القرآن، سورة الأحزاب، آية ٧ :(واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح). ثم يطلب منه الكتمان فان عارض تركه.

٥ – الربط: حيث يأخذ منه عهداً في كتمان ما عرفه، وسيعرفه، والطاعة المطلقة

٦٥– راجع:محمدعبدالفتاح علياء،قرامطةالعراق،ص١٦٧،ومابعدها

للإمام وأهل بيته ثم تخويفه من الخروج عن الدعوة واذا تمّ التأكد من سلامة التزامه يأخذ عليه العهد (= القسم). (٦٦)

٦٦– (نص القسم:جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه،وذمة رسوله وما أخذ الله تعالى من النبيين من عهد وميثاق، ان تستر ما تسمعه مني وما تعلمه من أمري ومن أمر الامام الذي هو صاحب زمانك وأمر اشياعه وأتباعه في هذا البلد وفي سائر البلدان وأمر المطيعين له من الذكور والأناث فلا تظهر في ذلك قليلاً ولا كثيراً ولا تظهر شيئاً يدل عليه من كتابة أو إشارة إلى ما أذن الله به للإمام صاحب الزمان أو أذن لك في اظهاره المأذون له في دعوته فتعمل في ذلك حينئذ بمقدار ما يؤذن لك فيه، وقد جعلت على نفسك الوفاء بذلك والزمت نفسك في حالتي الرضى والغضب والرغبة و)) الرهبة ((فيجيب العضو المحلف)) نعم ((ثم يقول له الداعي:))
وجعلت على نفسك أن تمنحني وجميع من أسميه لك ما تمنح منه نفسك بعهد الله تعالى وميثاقه وذمته وذمة رسوله وتنصحهم نصا ظاهراً لا باطناً وألا تخرف الإمام وأولياءه وأهل دعوته في أنفسهم ولا في أموالهم، وأنك لا تتأول في هذا الايمان تأويلاً ولا تعتقد ما يحلها وإنك إن فعلت شيئاً من ذلك فأنت بريء من الله ورسوله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله من كتبه وأنك ان خالفت في شيء مما ذكرناه لك فلله عليك أن تحج إلى بيته مئة حجة ماشياً نذراً واجباً وكل ما تملكه في الوقت الذي أنت فيه صدقة على الفقراء والمساكين، وكل مملوك يكون في ملكك يوم تخالف فيه أو بعده يكون حراً، وكل امرأة لك الأن أو يوم مخالفتك أو تتزوجها بعد ذلك تكون طالقاً منك ثلاث طلقات.
والله تعالى الشاهد على نيتك وعقد ضميرك فيما حلفت به((فيقول المحلف)) نعم ((إلاّ إذا صح اعتقاده في دينه الجديد وعقد النية على أن يفي مهما كلفه ذلك.

راجع: البغدادي، الفرق بين الفرق ص ٣٠٣ .
أيضاً: بندلي جوزي، من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، ص ١٢٣ ، ومابعدها.

٦ – التدليس: وفيها يتم كشف بعض أمور الدعوة، ثم إخفاء بعضها الآخر على المستجيب حتى يسهل تقبله، وهنا يحاول الداعية افهام المستجيب أن الهام معرفة الباطن، وأن الظاهر قشور، وما السعادة الا بعد نجاح الدعوة.

٧ – التلبيس: ويتمثل بمفاتحة المستجيب ببعض الأمور المسلم بها، والحقائق المتعارف عليها، ثم استدراجه بنتائج باطلة، وربما يطلق بعضهم على هذه المرحلة اسم ((التاسيس)).

٨ – الخلع: اذا أدرك المستجيب أن فائدة الظاهر تقتصر على فهم ما أودع فيه من علم الباطن لا العمل به، وأن العمل بالظاهر جهل والمقصود به معرفة الباطن، سمي ذلك خلعاً، ويفسر حكم الظاهر هنا بما ورد في القرآن، سورة الأعراف ، آية ١٥٧ (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم).

٩ – السلخ: اذا توقف المستجيب فعلاً عن القيام بالتكاليف الشرعية سمي ذلك سلخاً طبعاً ومثل هذا الترتيب هو مخالفة للترتيب السباعي الذي عودتنا عليه الاسماعيلية، يضاف لذلك طرح البرنامج السياسي والاجتماعي الذي يحمل مخرجاً للأزمة المتعمقة بصورة عامة، وهذا البرنامج يتضمن الأمور التالية:

١ – الأرض ملك الجميع.

٢ – حماية الطرق التجارية، والاستفادة منها بما يحقق الربح العام للمجتمع الإسماعيلي القرمطي.

٣ – الخلاص من الإقطاع المحلي والمركزي.

٤ – قيام حكومة مركزية قوية قادرة على حفظ الأمن البشري والاقتصادي.

٥ – التعاون داخل الجماعة بهدف تماسكهم الدائم. (٦٧)

وحتى يحقق القرامطة برنامجهم هذا، اعتمدوا تأكيده بالآيات القرآنية، وهذا ما جعل العامة أكثر تحمساً له.

والإسماعيلية رشحت لعملها هذا، مجموعة من الدعاة، منحتهم الرعاية، مع وضع اسلوب عمل، ومن ثم مجموعة شروط في اختيار الدعاة ومنها. (٦٨)

٦٧–راجع:حسن بزون،القرامطة بين الدين والثورة،ص١٢٦.

٦٨–راجع:محمد فريدحجاب،الفلسفة السياسة عندإخوان الصفا،تقديم:عزالدين فودة، الهيئة المصرية للكتاب،ط١٩٨٢،ص١٤٨.

١ – أن يكون المرشح داعية، مستعداً لقبول الفوائد العلمية، والنصائح العملية، والذخائر العلمية الربانية.

٢ – أن يكون زاهداً في الدنيا.

٣ – أن يكون مهتماً في اصلاح نفسه الداخلية.

٤ – أن يكون محباً للتنقل من مكان إلى آخر بهدف العلم.

٥ – أن يكون متصفاً بالحلم وحسن العبادة.

٦ – أن يكون على درجة عالية من الأخلاق، أبي النفس، جميل الصورة، صافي الذهن.

٧ – أن يكون مجتهداً وشديد الحرص للوصول إلى الأخوان (= أعضاء الجماعة).

٨ – أن يكون راغباً في التعرف على طريق ومسلك الاخوان في الدعوة.

٩ – أن يكون راغباً في التخلص من الوساوس والشعوذات.

١٠ – أن يكون قادراً على التقية أمام أعداء العلم والمعرفة.

١١ – أن يكون قادراً على تحمل آلام السفر والهجرة.

١٢ – أن يسأل الله الوسيلة للخلاص والنجاة، أو تجنب الهلكة في المعرفة، والعمل بما ألهمه من العلم. ويضاف لهذه شروطاً في أسلوب عمل الداعية منها: (٦٩)

– أن يكون حريصاً على أن لا يصل ليد الأعداء، ويعرف كيف يتصل بمعاونيه دون أن يكشف.

– ضرورة إغتنام بعض المناسبات لبث الدعوة، وهذا يعني اعطاء الدواء عند الحاجة.

– استخدام كل الوسائل عند الدعوة من الرفق والحيلة، والسرور، واللين، والموعظة.

– الحذر من وضع الدعوة في غير مكانها، ومن غير أهلها، مما يتوجب الحذر في اختيار الأعضاء، وبذلك يتوجب الحذر من أولئك الذين يدعون الصداقة.

– التدقيق في اختيار الأعضاء الجدد، والمحافظة عليهم، والتمسك بالأصدقاء المخلصين.

ثم قامت الإسماعيلية بوضع ترتيب لها عام ٤٨٥ هـ ، ويعتمد الأدوار التالية: (٧٠)

١– داعي الدعاة.

٢ – كبار الدعاة لمساعدته.

٦٩–نفس المصدر السابق،ص١٥٢.

٧٠–راجع:ميشيل لباد،الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية في مصياف،ص٧٢.

٣- الدعاة لنشرالدعوة

٤ - الرفاق: وهم متبحرون في العلم.

٥ - اللاصقون: وهم ممن قبلوالمبادىءوأظهروا الطاعة والولاء.

٦ - الفدائيون: وهم أهل الطبقات المذكورة في هذا العصر.

٧ - المستجيبون: وهم عامة في داخل المذهب.

وأما عن محاولة تصور الوضع الطبقي التاريخاني للإسماعيلية في العصر الوسيط، فهي تفصح عن الصور التالية: (٧١)

١ - طبقة أهل الدين والشرائع والنبوات وأصحاب النواميس.

٢ - طبقة الموسومين بحفظ أحكام الشرائع ومراعاة سننها، والمعروفين بالتعبد فيها.

٣ - طبقة أهل العلم والحكماء والأدباء وأصحاب الرياضيات والموسومين بالتعاليم والتأدب والمعارف والرياضيات.

٤ - طبقة الأولجارشيةشبه الحاكمة: وهي طبقة الملوك والرؤساء وأعوانهم كالوزراء ، والكتاب وأصحاب الدواوين ، والخراج.

٥ - الطبقة الوسطى: وهي تجار وصناع، ودهاقين.

٦ - الطبقة الدنيا: وهم الفقراء، والعاطلون عن العمل.

وبذلك تكون قد توضحت لنا معالم الدعوة الإسماعيلية ، عبر مراحلها التاريخية، وعبر ممارساتها المتنوعة في تنويع وتلوين الأدوار بما يتناسب والظرف التاريخي المستجد.

٧١-راجع:محمدفريدحجاب،الفلسفة السياسة عندإخوان الصفا،ص٢٨٦،ومابعدها

الفصل الثالث

مفهوم الدين في الفكر الإسماعيلي عبر الخطاب الاسماعيلي

ـ مقدمة.

ـ الفكر الديني الإسماعيلي كما يراه الخصوم.

ـ الفكر الديني الإسماعيلي من الداخل.

١ ـ المرتكزات الفلسفية لسكيولوجيا هذا الخطاب.

٢ ـ صورة العبادات في الفكر الديني الإسماعيلي.

٣ ـ نتائج اجتماعية لهذه التربية الدينية.

ـ خاتمة.

مقدمة:

لقد أدرك القدماء أن الفكر الإسماعيلي عموماً يمثل فكراً سجالياً نقدياً، ومن هنا نجد التساؤلات عن معاني حروف الهجاء في أوائل السور القرآنية، كقولهم (ألم) و (حم) و (طس)، و (يس) وقولهم لماذا جعل الله ابواب الجنة ثمانية وابواب النار سبعة؟ (١) ثم طرحوا أسئلة فقهية كقولهم: لم صارت صلاة الصبح ركعتين، والظهر أربعاً، والمغرب ثلاثاً؟ ولم صار في كل ركعة ركوع واحد وسجدتان؟ ولم كان الوضوء على أربعة والتيمم على عضوين؟ ولم وجب الغسل من المنى وهو عند أكثر المسلمين طاهراً؟ ولم يجب الغسل من البول مع نجاسته عند المجتمع؟ ولم أعادت الحائض ما تركت من الصيام ولم تعدّ ما تركت من الصلاة؟ ولم كانت العقوبة في السرقة بقطع اليد وفي الزنى بالجلد؟ وهلا قطع الفرج الذي به زنى في الزنى كما قطعت اليد السارقة في السرقة؟ (٢)

وهنا يجد الباحث أن الهدف من هذه التساؤلات ليس كما توقع خصوم الإسماعيلية، أي بهدف التعجيز والقول بالظاهر والباطن، أو محاولة استجرار الفرد الى جماعة الإسماعيلية، لاسيما أن للإسماعيلية طريقتها الخاصة في اختيار العناصر (= العناصر الذكية).

اذن، الإسماعيلية تهدف الى ايجاد التأويل العقلي لمثل هذه الطروحات، وبذلك تكون قد وضعت أسس حقيقية في نقل الجماعة الإسماعيلية من النقل إلى العقل هذا من ناحية، بل ومحاولة زرع النزعة العقلانية لدى أفرادها، بحيث يسأل الفرد عن كل شيء، بهدف الوصول الى الحقيقة، مما جعل أفراد المجتمع، ومن خلال التساؤل المستمر بأنهم أقدر من غيرهم في التعرف إلى قضايا ومشكلات مجتمعهم، وأظن أن مجتمعنا العربي المعاصر بحاجة لمثل هذه التربية النقدية لنعرف واقعنا، ونعرف العالم من حولنا، ونعرف خلاصنامن واقعنا المؤلم.

وربما تكون أهم ميزة تميزت بها الإسماعيلية عن غيرها من الفرق الدينية الاسلامية، هو هذا النزوع الفلسفي ، بل ربما نقول هذا التفاعل الخلاق بين الفكر الفلسفي اليوناني

١-راجع: البغدادي،الفرق،ص٣٠٥.
٢-نفس المصدر،ص٣٠٦

من ناحية والإسماعيلية من ناحية ثانية، وهذا ما يجعل الباحث يتوقف عند النقاط التالية:

١ – العقل ميزة أساسية عند الإنسان تميزه عن الحيوان، بل هو قوة فاعلة عن الكرماني ت ٤١١ هـ (٣) وبه تميز الذكي من الغبي، والأحمق عن العقلاني، ووجوده ضروري لتأكيد إنسانية الإنسان وعقلانيته وبذلك يضعنا الكرماني وجهاً لوجه أمام تصورات أرسطو حول العقل.(٤)

٢ – وأما الفضيلة والأعتدال والصحة النفسية عند الكرماني ، فهي في اتباع الوسط من الامور. (٥)

وهذا الوسط هو الأساس الذي أقام أرسطو عليه نظريته في الأخلاق بقوله: الفضيلة والوسط بين حدين، وهما إفراط وتفريط. (٦) لكن الكرماني الذي تفاعل في بحوثه مع الفلسفة اليونانية، لاسيما في مؤلفه راحة العقل، نجده يسجل خروجاً على هذه الفلسفة في بعض المواقع، في الوقت الذي يقرّ فيه أرسطو بكروية الأرض. (٧) نجد الكرماني يعارض ذلك، ويرفض كروية الأرض، بل يعتبرها مسطحة. (٨)

والفكر الإسماعيلي قد يسجل فهماً رياضياً لطبيعة الكواكب، مما يدفع بـ (ناصر خسرو–ت٤٨١ هـ) للقول: ان القمر أرض يابسة، وان نوره مصدره الشمس. (٩)

إذن، الفكر الإسماعيلي تفاعل مع الفكر اليوناني وربما كان في هذا التفاعل سر النقمة عليه من الجماعات الأخرى آنذاك، تحت ذريعة، من تمنطق فقد تزندق، وهذا بدوره يجب أن لا يغيب عن عقولنا بأن ذلك التفاعل قد منحه الحيوية والعقلانية ، والتنوير، منذ القديم وحتى يومنا هذا مما طرح التباين في فهم واقع هذا الفكر.

٣–راجع:الكرمانيناالأقوال الذهبية،تحقيق:مصطفى غالب،دارمحيو،بيروت١٩٧٧،ص٢٩.

٤–راجع:يوسف كرم،تاريخ الفلسفةاليونانية،ص١٦٤.

٥–راجع:الكرماني الأقوال الذهبية،ص١٦١.

٦–راجع:أرسطوطاليس،الأخلاق،ترجمة:اسحق بن حنين،تحقيق:عبدالرحمن بدوي،الكويت ط١٩٧٩،ص٩٤.

٧–راجع:يوسف كرم،تاريخ الفلسفة اليونانية،ص١٥٠.

٨–راجع:الكرماني،راحةالعقل،تحقيق:مصطفى غالب،دارالأندلس،بيروت،ط١٩٧٣، ص٣٧٩.

٩–راجع:ناصرخسرو،جامع الحكمتين،ترجمة:إبراهيم الدسوقي شتا،دارالثقافة،القاهرة ط١٩٧٤،ص٣٠٣.

أولاً: الفكـر الـديني الإسماعيلي كما يـراه الخصوم:

تحاول الإسماعيلية أن تقول بفلسفة دينية خاصة بها، وربما كانت هذه المحاولة، بهدف التفرد عن غيرها من الجماعات والفرق ، بل ربما تكون هذه المحاولة عامة، ويجدها الباحث لدى كافة الجماعات والفرق. لهذا نجد أول محاولة في تصنيف الموجودات على أساس النظام السباعي وبذلك ينسبون إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق دور الإمام السابع (= ابعاد الحسن) ثم قالوا: إن السموات سبع ، والأرضين سبع، والأيام سبعة، مما يجعل دور الأئمة يتم بسبعة. (١٠)

وأما الميعاد فهو عودة الشيء إلى أصله، وبذلك تعود النفس الى أصلها. وان معنى الجنابةهو مبادرة المستجيب إلى افشاء السر. وإن معنى الغسل، هو تجديد العهد على من فعل ذلك. وان الزنا هو القاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد. وان الصيام هو الإمساك عن كشف السر. وأن الكعبة هي النبي، والباب علي، والطوفان هو طوفان العلم الذي أغرق به المتمسكون بالشبهة. والسفينة الحرز الذي يحصن به من استجاب لدعوته. ومعنى نار إبراهيم هي عبارة عن غضب النمرود لا عن نار حقيقية، ومعنى ذبح اسحاق هو أخذ للعهد عليه، ومعنى عصا موسى هي حجته، ومعنى ياجوج وماجوج بأنهم أهل الظاهر. (١١)

إذن، الإسماعيلية تحاول دائماً إعطاء تفسيرات باطنية للقضايا الدينية ، مع حرصها الشديد على سريتها، ولهذا نجدها لم تقدم، وحتى يومنا هذا تفسيراً للقرآن، وفق الرؤية الإسماعيلية ورؤية الإسماعيلية بذلك: إن الإسماعيلية دائمة التجديد والقيام بمثل هذا العمل سوف يجعل الإسماعيلية تقع في مطب الثبات، والاستقرار والجمود. يضاف لذلك رؤيتها الخاصة في فهم القضايا الدينية على حد زعم خصومهم، وهذا ما يجعل الباحث يجد في تفسيرات الخصوم التصورات التالية:

– الحج: هو تعبير عن عادة جاهلية قديمة، وهي من قبيل عبادة الاصنام. (١٢)

---

١٠ – راجع:ابن الجوزي،تلبيس ابليس،مكتبة المتنبي،القاهرة،بدون تاريخ،ص١٠٢.

١١ – نفس المصدر،ص١٠٨.

١٢ – راجع:بندلي جوزي،من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام،ص١٧٣.

– زيارة القبور: هي عادة غير مستحبة إن لم نقل: أنها محرمة. (١٣) . وهذا ما يقربها من الوهابية.

– الصلاة: تعني موالاة الإمام.

– الصوم: هو الإمساك عن إفشاء سر الإمام دون الإمساك عن الطعام.

– والزنى: هو إفشاء سرهم بغير عهد وميثاق، وزعموا أن من عرف معنى العبادة فقد سقطت عنه فريضتها وحجتهم بذلك القرآن، سورة الحجر، آية ٩٩ (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وحملوا اليقين على التأويل. (١٤)

ويؤخذ على الإسماعيلية نكرانهم المعجزات، ونكران نزول الملائكة من السماء بالوحي، والأمر والنهي ويتأولون الملائكة على دعواتهم، ويتأولون الشياطين على مخالفيهم، والأبالسة على مخالفيهم. (١٥)

وهنا يجد الباحث أنه إذا صح ما طرحه البغدادي من نكران الإسماعيلية للمعجزات ، فإن مثل هذه القضايا قد اتهم بها المعتزلة من قبلهم ، وحجة المعتزلة بذلك هي:

أنه إذا كانت المعجزات صادقة والهدف منها إيمان الناس عامة فلماذا يراها الخاصة ولا يراها العامة. (١٦)

ورأي الإسماعيلية في الحج أنه عادة قديمة، وسابقة للإسلام، فهذا الرأي لا يتناقض مع خصومهم. (١٧)

لكن كما يبدو أن محاولة الإسماعيلية (= القرامطة) في نقل الحج أو الكعبة إلى مكان آخر ، فهذا يتناقض مع أهمية مكة التراثية، بل والكعبة تحديداً. فمكة في كتب التاريخ مكرمة، وبناء الكعبة بهذا المكان تم بأمر الإله ل (آدم).(١٨)

١٣–نفس المصدر،ص٢٠٣.

١٤–البغدادي،الفرق بين الفرق،ص٢٩٦.

١٥–نفس المصدر،ص٢٩٦.

١٦–راجع:أحمدأمين،ضحى الاسلام،دارالكتاب العربي بيروت،ط١ ،ص٣/٨٦.

١٧–راجع. الشهرستاني، الملل والنحل، ص ٢/٢٤٧.

١٨–راجع:الطبري،تاريخ الأمم والملوك،دارالقلم،بيروت،بدون تاريخ،ص١/٦١.

وما يخص الحجر الأسود، وبقاء الحجر لدى القرامطة قرابة ٢٢ سنة (من ٣١٧ – ٣٣٩ هـ). (١٩) وإذا كان هذا الموقف، هو موقف فيه إثارة لمشاعر المسلمين فانما ينّم عن موقف يلمس فيه الباحث:

١ – موقف ديني متنور، وقد سبق للخليفة الراشدي عمر بن الخطاب أن قال فيه: (والله أني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله (صلعم) يقبلك ما قبلتك) (٢٠)

٢ – فهم ميثالوجي متقدم في فهم حقيقة تاريخية سابقة في وجودها على الأديان، وهي تتمثل بمرحلة عبادة الأشياء، والحجارة، بل هي صورة عن وثنية بابل.(٢١)

عبر هذا السياق، نجد الحركة الإسماعيلية، وعبر الدولة القرمطية قد قدمت بذرة علمية متقدمة في عصرها، لكن هذه البذرة التي توفرت مع عدم توفر الشروط الموضوعية للنمو، جعلها تحارب وتتهم بالخروج عن الدين، وأنها هرطقة لا سابق لها في التاريخ، وبذلك يتبين للباحث أن الإسماعيلية ومنذ بواكيرها الأولى قد حاولت تجديد الفكر الديني عبر نسف بعض المفاهيم وإحلال رؤية جديدة أكثر علمية.

وأما القرآن كتاب المسلمين، ورغم محاولة الإسماعيلية حتى اليوم عدم قيامها بتقديم رؤيتها وشروحها حوله كما أسلفنا، الا أن الباحث، قد يجد الشذرات الموزعة في كتب المعارضة حيث:

– القرآن: فيه الظاهر، والباطن هو خاص بالإمام، وصدره خزانة لهذا العلم، علم الحاضر وعلم الغيب. (٢٢)

– الأسماء الحسنى في القرآن: هي تعبير عن أئمة الإسماعيلية. (٢٣) وسورة القرآن (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) هنا يكون.

١ – البيت = الإمام. أي بيت معرفة الله، ومستقر التوحيد وحقيقته.

١٩–راجع:ميكال بان دي خوته،القرامطة،ص١١٧.

٢٠–نفس المصدر،ص٩١.

٢١–راجع:محمدعبدالمعين خان،الأساطيروالخرافات عندالعرب،دارالحداثة،بيروت،ط ١٩٨١،١٢٠.

٢٢–راجع:شوقي ضيف،عصرالدولةوالامارات،دارالمعارف،مصر١٩٨٠،ص١٥٦.

٢٣–نفس المصدر،ص١٥٣.

٢ – الحرام = حمى الإمام وعقيدته.(٢٤)

وهذا الموقف من القرآن يفسره بعض المعاصرين بالأمور التالية: (٢٥).

١ – عدم رفض القرآن ككتاب ديني مسلم مقدس.

٢ – التخلي عن أحكامه وملزماته وفروضه من خلال تأويلها.

٣ – دعم حركتهم وعقائدهم وتعزيزها بأسانيد قرآنية.

ويذهب الغزالي ت ٥٠٥ هـ في تحليل بعض القضايا الدينية الإسماعيلية بالأمور التالية:

الزنا. هو إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد.

الإحتلام. هو أن يسبق لسانه إفشاء السر غير محله، مما يوجب عليه الغسل (=تحديدالمعاهدة) .

الظهور. هو التبري من كل مذهب عدا الإمام.

التيمم. هو الأخذ من المأذون إلى أن يسعد بمشاهدة الداعي والإمام.

الصيام. هو الإمساك عن كشف السر.

الكعبة: هي النبي، والباب: هو علي، والصفا: هي النبي، والمروة (= علي).

الميقات: أساس الدعوة – والتلبية: إجابة الداعي.

الطوف بالبيت سبقا. هو الطواف بمحمد إلى تمام الأئمة السبعة.

الصلوات الخمس: هي دليل على الأصول الأربعة، وعلى الإمام حيث (الفجر (=السابق)، والظهر (= التالي)، والعصر (= دليل الأساس)، والمغرب (= دليل الناطق)، والعشاء (= دليل الامام) (٢٦) وأمام صورة التأويلات هذه، تم اتهام الإسماعيلية بالإلحاد، والهرطقة، والباحث في الأدب العربي قد يجد أشعاراً تنسب للداعية الإسماعيلية (= القرمطي) علي بن الفضل، وهو داعية إسماعيلي معروف، الأبيات التالية: (٢٧)

٢٤–نفس المصدر،ص١٥٣.

٢٥–راجع:سامي عياش،الاسماعيليون في المرحلةالقرمطية،دارابن خلدون،بيروت،بدون تاريخ،ص١٥٣.

٢٦–نقلاعن الداعيةالمطلق:علي بن الوليد،دفع الباطل وحتف المناضل،تحقيق:مصطفى غالب،مؤسسةعزالدين،بيروت١٩٨٢،ص١٦٦/١.

٢٧–راجع:شوقي ضيف،عصرالدولةوالامارات،ص١٤٤.

خذي العود يا هذه واضربي نقيم شرائع هذا النبي

تولى نبي بني هاشم وجاء نبي بني يعرب

أحّل البنات مع الأمهات ومن فضله زاد حّل الصبي

وقد حّط عنها فروض الصلاة وحط الصيام فلم تتعب

ولاتطلب السّعي عند الصفا ولا زورة القبر في يثرب

وتحليل مثل هذه الأبيات يفصح عن الأمور التالية:

١ – إنقلاب ديني على الإسلام.

٢ – إنقلاب على الأخلاق العامة للمجتمع.

٣ – التطويح بكل ما جاء به الإسلام.

والسؤال الذي يفصح عن نفسه هو: أين يقف مثل هذا الشعر من خصومهم (=البغدادي) ؟ هنا تحديداً ، نجد أن هذا الشعر يتوافق مع رؤية خصومهم من حيث:

١ – هم فرقة مجوسية. (٢٨)

٢ – أباحوا المحرمات من نكاح الأمهات والأخوات، حتى اللواط. (٢٩) مما يعني أنهم شاذون جنسياً .

٣ – هم ضد الأنبياء والديانات والعبادات. (٣٠) وهذا ما يناقض حقيقة تاريخية، الدين فيها يمثل كل شيء من حياة الناس، وبذلك يكون هذا الشعر، إنما هو مشكوكاً بصحته. ثم أنه لا يعقل أن يكون داعية مطلق، وقد عرف الدعاة في تدينهم وزهدهم يمثل هذا الموقف، مما يجعل هذا الشعر هو أقرب لشعر المعارضة لتوافقه مع رؤيتهم. ثم كيف لنا انتصدق أن جماعة بمثل هذا الشذوذ الجنسي والأخلاقي هم قادرون على العيش

---

٢٨ – راجع: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٢٢.

٢٩ – نفس المصدر، ص٢٨٦.

٣٠ – نفس المصدر، ص٢٩٦.

حتى اليوم؟ ثم إذا كان إسماعيلية اليوم هم ورثة إسماعيلية الأمس فلماذا لا نجد عندهم مثل هذه المواقف؟ وبذلك يصل الباحث المعاصر لحقيقة أساسية في تاريخنا العربي هي: أن كل الحركات الاجتماعية المناهضة للظلم والاستغلال حاولت السلطوية وعبر أقلامها تشويه صورتها عبر تشويه أخلاقيتها كي تنّفر الجماهير منها وتعزلها، مما يسهل عملية القضاء عليها. وبذلك تفصح مثل هذه التساؤلات عن تساؤل أساسي وجوهري هو: ما حقيقة الدين في الفكر الإسماعيلي؟ والإجابة على ذلك تدفعنا للبحث في.

ثانياً: الفكر الديني الإسماعيلي من الداخل:

وهذا بدوره ما يدفع الباحث للوقوف على الخطاب الإسماعيلي الديني، ثم التعرف على آلية هذا الخطاب، وما المرتكزات الفكرية الواقعية التي ساهمت في تكوين هذا الخطاب؟ مما يجعل الباحث يناقش المسألة ضمن المحاور التالية:

أولاً: المرتكزات الفلسفية لسكيولوجيا هذا الخطاب:

على اعتبار أن التشيع بشكل عام لم يكن مسموحاً به في ظل الخلافة العباسية، ومع وجود أشخاص يؤمنون ويعتنقون التشيع، لم يكن بوسعهم الإفصاح عن عقائدهم ، مما طرح مسالة التقية. والتقية تتمثل في إخفاء ما يؤمن به الإنسان من عقيدة أمام الآخرين لنحفاظ على الذات. وهذا ما يفصح عن غياب الديمقراطية، وحرية الرأي، مما يدفع الإنسان للتقية بهدف الحفاظ على الحياة وبذلك تكون التقية نتيجة حتمية لإرهاب سلطوي مارسته السلطوية العربية آنذاك في وجه المعارضة.وقد وجدت التقيةطريقها الى عقل أئمة الشيعة، فوضعوا الأحاديث لذلك، مما جعل الإمام الصادق يقول: (التقية ديني ودين آبائي فمن لا تقية له لا دين له) (٣١)

ويسند للامام الصادق قوله أيضاً: (أمرنا سر مستور في سر ، وستر مستتر، وسر لا يفيده إلا سر ، وسر على سر، وقنع بسر) (٣٢) وينقل عن الإمام زين العابدين هذه الأبيات. (٣٣)

٣١-نقلاعن الداعيةالمطلق:علي بن الوليد،دافع الباطل،ص١٢/١.
٣٢-نفس المصدر،ص١١/١
٣٣-نفس المصدر،ص١١/١.

إني لأكتم من علمي جواهره كيلا يَرى الحق ذو جهلٍ فيفتتنا
وقد تقدمنا فيها أبو حسن مع الحسين ووصى قبلها الحسنا
يارب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي : أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحّل رجال مسلمون دمي بدون أقبح ما يأتونه حسنا

وهذه التقية قد يكون مردها أحياناً عدم تقدير الأخر للرأي، والذي ربما يذهب فيه مذاهب ، وهذه المذاهب في مجتمع لا يؤمن بالرأي الآخر، ستكون له نتائج لا تحمد، وهذا ما دفع القدماء للإفصاح عن ذلك من خلال القول المأثور: (لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها ، فتظلموها و لا تمنعوها عن أهلها فتظلموها، كونوا كالطبيب الشفيق يضع الداء وضع الدواء).

وبذلك يكون للتقية مبرراتها، ومسوغاتها، وقد أخذ بها أئمة الشيعة عموماً، لاسيما بعد الاستبداد السلطوي وهذه التقية طرحت في عالم الفكر والثقافة العربية مسألة الظاهر والباطن، والفكر العربي عموماً، أعني السياسي والاجتماعي يغص بالظاهر والباطن (= المسموح والممنوع)، والشيعة بشكل عام أخذت بهذه القضية، لكن ربما ذهبت بعض الفرق في قضية الباطن أبعد من الأخرى، مما جعل كتاب الفرق يطلقون على هؤلاء اسم(الباطنية).

والحركة الإسماعيلية تأخذ بالظاهر والباطن، لذا يعتبرها بعض كتاب الفرق (البغدادي) فرقة باطنية، مع أن رأي الإسماعيلية بالأخذ في الباطن هو رأي واضح وصريح ويبرز في هذا السياق قول داعي الدعاة، المؤيد في الدين: (خلق الله أمثالاً وممثولات، فجسم الإنسان مثل،نفسه ممثول،والدنيا مثل الآخرة ممثول،وان هذه الأعلام التي خلقها الله تعالى،وجعل قوام الحياة بها،من الشمس والقمروالنجوم لها ذوات قائمة يحل منها محّل المثل،وان قواها الباطنية التي تؤثر في المصنوعات هي ممثول تلك الأمثال) (٣٤)

٣٤-نفس المصدر السابق،ص ١٤/١.

والإسماعيلية إذ تقول وتأخذ بالباطن، إنما سندها بذلك الحديث النبوي المأخوذ عن الإمام علي بقوله: (ظاهره أنيق، وباطنه عميق، ولا تفتني عجائبه، ولا تنقضي غرائبه) (٣٥) والاسماعيلية لا تجد حرجاً من تسميتها بالباطنية، اذ تجد في القرآن اشارة لذلك، في سورة الحديد آية ١٣ (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا أنظروا نقتبس من نوركم قيل أرجعوا وراء فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب فيه الرحمة وظاهرة من قبله العذاب) (٣٦).

وتكاد تكون قضية الظاهر والباطن تطغى على كل شيء، الدين ، والدنيا ، والإنسان الخ ، فالظاهر من العالم يدرك بالحواس، أما الباطن فهو لا يدركه الا أرباب الحكمة، والراسخون في العلم (= آل البيت عند الإسماعيلية) وكل ما هو ظاهر، هو ظاهر بذاته سواء أدركه الناس أم لم يدركوه، والباطن يظل باطنا ما لم يفسر ويدركه الناس، وحتى إذا أدركوه يظل باطنا فهو العالم اللطيف، وروح الإنسان وحدوث العالم،واثبات الصنائع.(٣٧) والظاهر في الشريعة ، هو معروف لكل الناس، كالصوم ، والصلاة والحج. أما الباطن في الشريعة فهو لا يدرك بالحس، أو بالوهم ، مثل علم التوحيد ، واثبات النبوة، والجنة، والنار، والعقاب والثواب والحشر والحساب.

وسماع الشيء مشترك بين الناس، لكن فهمه مختلف، فالسماع هو الظاهر، والفهم هو الباطن ولا ظاهر الا وله أساس باطن، من السماء والأرض، وما بينهما، فما هو ظاهر من السماء هو لونها وما هو ظاهر من الكواكب نورها، لكن باطنها فهو مجهول.

وتأثير الظاهر بالباطن كتأثير العالم بالبشر، وجوهر الشيء بقيمته، وبذلك ينتج.

- الإنسان في الظاهر هو جسد.
- الإنسان في الباطن هو روح.

العالم الظاهر مصيره الفناء، والعالم الباطن سيكون له البقاء. عبر هذا السياق في تفسير الظاهر والباطن يكون: الناطق هو سيد الظاهر، والوصي هو سيد الباطن والتأويل،

٣٥-نفس المصدر،ص١/٦٢.

٣٦-نفس المصدر،ص١/٦٥.

٣٧-راجع:ناصرخسرو،جامع الحكمتين،ص٦٦.

وقائم القيامة يجمع بين الدرجتين، وبذلك تكون الجنة هي العقل، وبابها الرسول أو إمام العصر، ومفتاحها لا اله الا الله، والشهادة هي حجة الله خلقه، وتمام الشهادة في بدايتها ووسطها ونهايتها، والشهادة على قسمين، قسم فيه نفي (لا اله) وقسم فيه اثبات (إلا الله) فالنفي يمثل الجسماني، والإثبات يمثل الروحاني، وهكذا يموت الجسد وتظل الروح. (٣٨)

وإذا كان الباحث في الفكر الفلسفي عموماً يجد نزعة التأويل لدى المدرسة الرواقية اليونانية، فهذا لا يعني بالضرورة أن الفكر الاسلامي لدى بعض الفرق الاسلامية قد أخذ عنها. (٣٩) لا سيما أن معرفة العرب بالفلسفة اليونانية لم تبدأ قبل ٨٥ هـ، وبشكل محدود. لكن البحث التراثي يوضح لنا حقيقة هي على غاية الأهمية بهذا الخصوص، وهي: إن التأويل يعود للحديث النبوي أولا، ثم لحديث الأئمة من بعده ثانياً، ولهذا نجد:

– في الحديث النبوي: (إن القرآن ظهرا وبطنا ولبطنه بطن وذلك على غرار الكرات السماوية المغلقة بعضها بالبعض الاخر الى سبعة ابطن). (٤٠)

– الامام علي ت ٤٠ هـ يقول: (ما من آية قرآنية إلا ولها أربعة معان: ظاهر وباطن وحد ومطلّع فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد هو أحكام الحلال والحرام، والمطلع (المشروع الالهي) هو مراد الله من العبد). (٤١)

– الإمام جعفر الصادق ت ١٤٨ هـ يقول: (قضيتنا سرّ في سر، سر أمر دائم الستر، سر لا يكشف عنه إلا سر آخر، إنه سر على سر، يكتفي بسر). (٤٢). وقوله أيضاً: (قضيتنا حق بل هي حق الحق، إنها الظاهر وباطن الظاهر، إنها سر، وسر أمر مستور أبداً. وحسب هذا السرأنه سر). (٤٣)

٣٨–المصدر السابق،ص٩٨.

٣٩–راجع:هنري كوربان،تاريخ الفلسفةالإسلاميةُ،ترجمة:نصرة مروة،حسن قبسي، مراجعة وتقديم:الإمام موسى الصدر،والأمير:عارف تامر،منشورات عويدات،بيروت،ط ١٩٦٦،ص٤٩.

٤٠–نفس المصدر،ص٤٦.

٤١–نفس المصدر،ص٤٥.

٤٢–نفس المصدر،ص٨٤.

٤٣–نفس المصدر،ص٨٤.

عبر هذا السياق تبدو المرجعية الإسلامية التراثية هي الأساس في ظهور التأويل لدى الشيعة، لا سيما الإسماعيلية. يضاف لذلك أن الإسماعيلية المعاصرة ما زالت تتمسك بالباطن عملا بقول إمام العصر كريم شاه الحسيني (= الآغاخاني): (الباطن أمر شخصي ويجب أن يبقى أمرا شخصياً وخاصاً ولكونه شيء باطن فلا ينبغي أن يفسر بمعنى ظاهري ولا يمكن ان يعبر عن الباطن بالكلام لأن الكلام شيء ظاهري). (٤٤)

أمام صورة الواقع هذا ، نجد الإسماعيلية قد غاصت في التفسير الباطني للعديد من القضايا الدينية ومثل هذا العمق في التفسير الباطني سيجعل الجماهير الشعبية بعيدة عن فهمه، مما يجعل أبناء الجماعات الأخرى غير الإسماعيلية يحكمون على الفكر الاسماعيلي بالغموض، وجعل الدين والتفكير الديني من اختصاص طبقة دينية خاصة (= جماعة نخبوية) ، ويبرز في هذا السياق ما أوردته الإسماعيلية حول (بسم الله الرحمن الرحيم) حيث نجد تفسيرها، وكما ورد على لسان الداعية الإسماعيلي القرمطي داعية حمدان قرمط وصهره (= الداعية عبدان) ما يلي:

– بسم الله الرحمن الرحيم فهي أربع كلمات دالة على الأصول الأربعة، فبسم = النفس. لأنها قامت للفعل مقام الإسم لدلالتها إليه، والله (= العقل) ، والرحمن (= الناطق) ، الذي يبسط الرحمة للأنام بما فرش لهم من الدعوة فوسعهم ذلك كلهم أجمعين، والرحيم (= الأساس). (٤٥)

– وفي تفسير بعض الآيات القرآنية تفسير باطنيا، كما ورد في سورة يوسف، آية ٦٧ (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد، وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء ، إن الحكم إلا لله عليه توكلت، وعليه فليتوكل المتوكلون).

هذه الآيات يفسرها الداعية عبدان على الشكل التالي:

٤٤–إذن،الإسماعيلية الآغاخانية بالرغم من علانيتها التي تصرح بها مازالت هناك بعض القضايا والتصورات بعوقيم السر.

٤٥–راجع:الداعية القرمطي:عبدان،شجرةاليقين،تحقيق:عارف تامر،دارالآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢،ص ٩٤

المفاتيح = الدعاة، والباب الواحد = الأساس، بدليل قول النبي محمد: (أنا مدينة العلم وعلي بابها). (٤٦) وان الجنة = العقل.

والسماء = الناطق (= النبي) لأنه سما بعلمه العالي، وبتأييده السامي والأبدي. والقول بأن أبواب الجنة ثمانية نجد: الجنة (= العقل) ، وأبوابها الثمانية: هي النفس، والحروف العلوية السبعة. (٤٧) وقتل قابيل لهابيل تلك القصةالمعروفة، والتي كثر فيها الاجتهاد وتباينت الأراء، فأن الداعية عبدان يفسرها في:

١ – من البشر من يخرج على الطاعة المحضة في أول عمره الى أخر عمره، فهو شبيه بهابيل.

٢ – من البشر من يخرج من الدنيا على المعصية من أول عمره، وهذا شبيه بقابيل.(٤٨)

والتأويل الإسماعيلي قد يعتمد الأخذ عن الحديث النبوي أحياناً، أو عن آل البيت أحياناً أخرى (= علي وأولاده) وبذلك يبرز تمسك الإسماعيلية بشخص النبي وآل بيته، من هنا يأتي تمسك الإسماعيلية بالحديث النبوي: (اطلبوا الشمس، فأن غابت فاطلبوا القمر، فأن غاب فاطلبوا الزهرة فإن غابت فاطلبوا الفرقدين) ومثل هذا الحديث نجده يأخذ التفسيرات التالية). (٤٩)

١ – النبي (= الشمس) ودليلهم بذلك ما ورد في سورة الأحزاب، آية ٤٦ ر النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً)

٢ – الإمام علي بن أبي طالب، يمثل في الفكر الشيعي عموماً وصي النبي، وهو الأجدر به، إذا غاب النبي (= الشمس) أن يطلع القمر (= علي).

٣ – فاطمة بنت رسول الله مضيئة كالزهرة.

٤ – الحسن والحسين كالفرقدين.

---

٤٦ ـ راجع ن،م ، ص١٠١.

٤٧–المصدر السابق،ص١٢٨.

٤٨–نفس المصدر،ص١٥٢.

٤٩–راجع:الداعيةالمطلق:عماد الدين القرشي ت٨٧٢ه ،عيون الأخباروفنون الأثار،تحقيق: مصطفى غالب،دارالتراث الفاطمي،بيروت١٩٧٣،ص ٦١وما بعدها.

وبذلك نجد التأثير الكبير للفكر الإسلامي الديني، في الفكر الإسماعيلي أولاً ، ثم تأثير البيئة الطبيعية.

ثانياً. وربما ذهبت بعض الفرق الشيعية إلى ما هو أبعد من ذلك في وصف الإمام علي بن أبي طالب، علماً أن التراث الإسماعيلي كأي تراث شيعي يفخر:ب(علي بن أبي طالب وآل بيته) ومرد هذا الافتخار ما ورد من أحاديث نبوية بهذا الخصوص، تبين فضل آل البيت على الإسلام، وفضائل الإمام علي كما يرويها هذا التراث هي: (٥٠)

هو أول من آمن بالله ورسوله (= السبق في الإسلام، وصلى مع النبي بالقبلتين، وهاجر الهجرتين وبايع البيعتين، ولم يعبد صنماً، ولم يشرب خمراً، وزوج فاطمة بنت النبي.)

وللإسماعيلية موقفها المميز من العدد سبعة، حتى ليكاد يمثل نظاماً أساسياً، يدور حوله كل شيء في حياة الإسماعيلية، حيث نجد:

– بدن الإنسان مركب من سبع مراتب وهي: اليد اليمنى، واليد اليسرى، والظهر والبطن، والرجل اليمنى، والرجل اليسرى، ثم الرأس سيدهم. (٥١)

– الكلام مؤلف من سبعة أحوال وهي: أول النطق العقل، والثاني الفكرة التي تنبعث عن العقل والثالث صورة الكلام التي تنبعث من الفكرة، والرابع الكلام المؤلف من الحروف التي تنبعث من صورته والكلام مؤلف بالحروف لا يكون إلاّ من الصوت، والصوت لا يكون إلاّ من حركة خارجية، والحركة الخارجية لا تكون إلا بعد سكونها. (٥٢)

– النطقاء : وهم سبعة، آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد والقائم. وكذلك الأوصياء سبعة وهم: شيت ، وسام ، وإسماعيل ، ويوشع ، وشمعون، وعلي ، ومهدي.

وكذلك الأئمة سبعة في دور النبي محمد وهم: علي ، وحسين ، وعلي ، ومحمد ، وجعفر ، وإسماعيل ومحمد. (٥٣)

– والفروض عند الإسماعيلية سبعة: الولاية ، والطهارة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد،

٥٠–نفس المصدر،ص١٩٦.

٥١–راجع الداعية القرمطي:عبدان،شجرةاليقين،ص٦٦.

٥٢ ـ راجع ن،م، ص٤٢.

وفي الحج السعي عند الصفا والمروة، وهي سبع مرات، والحاج يحرم على سبعة أشياء هي: (الصيد ، الجماع ، والدهن ، ولبس مخيط الثياب ، وأخذ الشعر ، وتقليم الأظافر، واستعمال الطيب). (٥٤)

والإسماعيلية إذ تقول بالعدد سبعة، فإنها تأخذ به عن ثقافة المنطقة وتراثها آنذاك (=التراث البابلي) (٥٥) إذن، ما ذكره بعض الباحثين العرب من أن الاسماعيلية أخذت بالعدد سبعة عن فيثاغورس، إنما هو رأي بحاجة لإعادة اعتبار. (٥٦)

إذن، الإسماعيلية تطرح رؤيتها عبر منظور فلسفي، تراثي ، ديني. وهذا ما يجعل الباحث يقف عند رؤيتها في بعض القضايا الدينية.

١ – الاجتهاد : وهو مرفوض، وحجتها بذلك أن الاجتهاد يؤدي الى تعدد الآراء ، مما يضيع الأمة، وسبيلها بذلك النص الديني حيث: (٥٧)

– سورة الأنعام ، آية ٣٨ (ما فرطنا في الكتاب من شيء)

– سورة النحل ، آية ٨٩ (الكتاب تبيانا لكل شيء)

٢ – القياس: وهو مرفوض أيضا، وحجتها بذلك. (٥٨)

– الدين كامل، وقد ورد في القرآن ، سورة المائدة، آية ٣ (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي)

– المعلم موجود (= الإمام)، سورة النساء، آية ٥٨ (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).

٣ – الإجماع: وهو مرفوض أيضا وتفسيرها بذلك. (٥٩)

– ما يراه الإله للأمة لا يراه الإنسان.

– الناس أجمعت في بداية الإسلام على إدانة النبي،وقالوا إن محمداً كاذب،وساحر، مجنون وليس بنبي.

٥٤–راجع:ثقة الإمام،المجالس المستنصرية،تحقيق:محمد كامل حسين،دار الفكر العربي، بدون تاريخ،ص١٣٠.

٥٥–نفس المصدر،ص١٧.

٥٦–راجع:حسين مروة،النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية،دار الفارابي،بيروت ط١٩٨٥،ص٢/٢٣٠.

٥٧–راجع الداعي المطلق:علي بن الوليد،دافع الباطل وحث المناضل،ص٢/٨٠.

٥٨–نفس المصدر،ص٢/٢٩٢.

٥٩–نفس المصدر،ص١/٨٢.

٤ – الرأي: وهو مرفوض أيضا، وحجة الإسماعيلية بذلك. (٦٠)

– اتباع الرأي هو الهوى، والإله أبطله، وحكم على أتباعه بالضلالة، وفي القرآن، سورة القصص آية ٥٠ (ومن أضل ممن اتبع هواية بغير هدى من الله)

– الإله ذم أصحاب الرأي وأتباعهم في القرآن، سورة النجم ، آية ٢٣ (إن يتبعون إلا الظن ما تهوي الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهوى).

إذن، هناك إمام معصوم، وهو صاحب الحق، وقد نصت عليه السماء، وفي القرآن، سورة الجمعة آية ٢ (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم أياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وهكذا يستمر مصدر التشريع في الفكر الإسماعيلي عن طريق الإمام (= صاحب الزمان). ومثل هذه القواعد الفقهية في الفكر الإسماعيلي، تجعل الإسماعيلية تطرح التصورات التالية:

الطهور: هو التبري والتنظيف من اعتقاد كل مذهب سوى متابعة الإمام، حيث ورد في القرآن ، سورة الأحزاب، آية ٣٣ (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وبذلك تكون الطهارة بالماء لا تغني المشرك من تطهير القلب من الشرك.(٦١) وبذلك تكون الطهارة هي طهارتان، الأولى بالماء، والثانية بالعلم ، الذي أنزل على النبي، مما يطهر النفس من الشرك، ولهذا ورد في القرآن ، سورة الذاريات ، آية٤٩ (ومن كل شيء خلقنا زوجين)

٢ – الصيام:

١ – صيام ظاهر = المنع عن الأكل والشرب والنكاح.

٢ – صيام باطن = المنع عن الإفشاء بالسر، والإبتعاد عن الضمير السيء، (٦٢) وسندها بذلك ما ورد في القرآن، سورة مريم ، آية ١٢٦ (فكلي واشربي وقري عينا فأما ترين من البشر أحداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم انسياً).

٦٠–نفس المصدر،ص١/٨٢.

٦١–المصدرالسابق،ص١/٢١٦.

٦٢–نفس المصدر،ص١/٢١٨.

٣ – الكعبة :

١ –الظاهر هي ما يراه الناس

٢ – الباطن تعني التوجه للنبي، من أجل نقاوة النفس، وطهارة الضمير، ولما كان للكعبة باب فإن الامام هو هذا الباب الموصل للنبي. (٦٣) . والأنهار التي في الجنة هي العلم الحاصل للمتعلمين على تفاضل مراتبهم.

٤ – الأرض: ملك الإمام المعصوم، ودليلهم على ذلك ما ورد في القرآن ، سورة الأنبياء ، آية ١٠٥ (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) وبذلك تكون الأرض هي ملك الإمام ، يحكم فيها كيف يشاء ، وما يجمعه من أموال يكون لوقت الحاجة حيث يتطلب منه الإنفاق على مصالح المجتمع، وسد حاجة المحتاج، حتى لا يوجد في مملكته محتاج ما دام يتفقدهم كل أسبوع ، ويصرف عليهم الأموال.(٦٤). وبذلك تكون توضحت حقيقة عدم وجود ملكية خاصة للأرض في العهد الفاطمي.

وقد يجد الباحث تفسيرات أخرى

لبعض التساؤلات والقضايا، والتصورات الدينية، حيث:

- الحية التي أغوت آدم روحة إبليس، وإبليس هو الحارث بن مرة.(٦٥)
- الغراب الذي دفن هابيل هو رسول الامام المكلف بدفنه. (٦٦)
- سفينة نوح: (= الإمام الذي عينه لشريعته) (٦٧)
- كسر الأصنام من ابراهيم هو تعبير عن هزيمة خصومه.
- الختان هو: – ختان ابراهيم في ٩٩ سنة دليل كشف للتأويل.
- ختان ابراهيم لابنه اسماعيل في الصغر دليل منه قول الظاهر. (٦٨)

٦٣–نفس المصدر،ص١/٢١٩.

٦٤–نفس المصدر،ص١/٣٠.

٦٥–راجع:جعفربن منصورت٣٨٠ه،أسرارالنطقاء،دارالأندلس،بيروت١٩٨٤،ص٤٧.

٦٦–المصدرالسابق،ص٤٩.

٦٧–نفس المصدر،ص٥٨.

٦٨–نفس المصدر،ص٦٨.

- بيت الذبح أو المنحر: هو المكان الذي أخذ فيه ابراهيم على اسماعيل واسحاق الوفاء لبعضهم(٦٩)

- عصا موسى يضرب بها البحر (= ضرب الظاهر).

- جبرائيل وميكائيل فنجد روايتين. - الأولى: تقول أن جبرائيل هو بحيراء، وميكائيل هو عمه أبو طالب. - الثانية: تقول أن جبرائيل هو أبي بن كعب، وميكائيل هو بحيراء.(٧٠)

- أهل الكهف: نجد (= الكهف (الستر)، ودخول الكهف (= دخول الستر والكتمان)، وبذلك تكون أقرب للرمز.(٧١)

- تبت يد أبي لهب (= قطعت يداه) وهما داعيتاه أي: صخر بن حرب - وأبي بن خلف.

- و (ما أغنى عنه ماله وما كسب) هنا إشارة لعلمه البسيط أمام حجة النبي محمدوأصحابه. (٧٢)

- آدم: من قبيلة هنيد ، وهنيد هو الإمام المقيم للرسول الناطق (= آدم) وبذلك يكون آدم واحد من افراد قبيلة هنيد وزعيمها. (٧٣) . ومثل هذا التفسير يقترب من التفسير المعاصر الذي يعتبر أسماء الأنبياء ، والرسل في العهد القديم إنما هي رمز لقبيلةمعينة.

والإسماعلية بالرغم من كونها حركة دينية كما يفهم من قراءة تاريخ الفرق الدينية،إلا أن الباحث يجد فيها التنظيم القوي والمتين،والمتدرج عبر مراحل،مما يمنحها الطابع السياسي حيث:(٧٤)

٦٩-نفس المصدر،ص١٣٤.

٧٠-نفس المصدر،ص٢٣٢.

٧١-نفس المصدر،ص٢٦٤.

٧٢-نفس المصدر،ص٩١،٩٣.

٧٣-نفس المصدر،ص٣٣.

٧٤-راجع:حسن بزون،القرامطة بين الدين والثورة ،ص٨٠،٨١.

– الإمام: أعلى المراتب ، وصاحب التأويل ، وقد يكون أساسا ، أو مستقراًأومستودعاً.

– الحجة: نائب الإمام وظله ، وأمين ظله الخاص ، وينوب عنه ، في مناطق عدمتواجد الامام .

– داعي الدعاة: وهو المسؤول عن الدعاية في الأقاليم، ومسؤول مباشرة أمام الحجة.

– داعي البلاغ: يكتب البلاغ ويحافظ على سريته، ويكون مسؤولاً عن تحقيق الاتصال بين داعي الدعاة ودعاة الأقاليم.

– الداعي المطلق: وله حق التوجه لأي بلد ، يرى أنه بحاجة له ، دون الرجوع لأحد ، وعلاقته التنظيمية بداعي الدعاة.

– الداعي المحدد أو المحصور: حيث تنحصر مهمته في ناحية، أو أقليم معين. ولا يحق له تجاوزه الا بإذن.

– المأذون: هو المسؤول عن أخذ العهد والميثاق على الأعضاء الجدد (= مسؤولالتنظيم).

– المكاسر: يتصل بأوساط العامة ، ولديه القدرة على المجادلة والإقناع، وبذلك يقوم بدور تثقيفي.

– المكالب: ومهمته استطلاع أراء الناس، وتحديد العناصر التي يمكن أن تستجيب للدعوة ، ثم إرشاد المكاسر.

– المستجيب: وهو المنتسب الجديد ، والذي أخذ منه العهد أو الميثاق، ولا يبوح بالسر، وهو مختار من العناصر الفاعلة في المجتمع.

ويضيف مصطفى غالب ، لهذا البناء الهيكلي. (٧٥)

– الباب وله رتبة فصل الخطاب.

– النقيب: وله رتبة تعريف الحدود السلفية ، والعبادة الظاهرة.

والباحث الناقد لهذا التنظيم يجد فيه:

– المركزية: وهي بيد الإمام ، وصلاحيته بذلك مطلقة.

– النخبة: وهي تدرس كل شيء .

– الإرتقاء في التنظيم ؛، ويتم من خلال العمل والعلم.

٧٥–راجع:مصطفى غالب،تاريخ الدعوة الاسماعيلية،ص٤٣.

ثم يأتي التفسير الإسماعيلي لظهور الإسلام، والذي يأخذ هيكل البناء العام للنظرية العامة في بناء الفكر الاسماعيلي حيث:

الإمام المقيم (= عمران) ، والرسول الناطق (= محمد) ، وأساس الدور (= علي بن أبي طالب) . ، والإمام المستقر (= علي بن أبا طالب) (= إمام أساس) ، وأن خديجة (= حجته) (٧٦)وأن أبا جهل هو خصمه (= أبليس) ، وأن محمداً تسلم من خمسة وهم: (زيد بن عمرو ، وعمروبن نفيل ، وميسرة وخديجة ، وأبو طالب) ، وأن أبي بن كعب هو مربي محمد الديني ،وان زيداً ابن عمر بن نفيل هو صاحب الجزيرة الذي وجهه راهب بحيراء ، وزيد كان يعمل سرا ، وقد أغضب الله عليه أهل مكة ونفوه، وبذلك يكون الأمر قد تّم على الشكل التالي:

إتصال أبي بن كعب بمحمد ثم اتصالهما بزيد بن عمر بن نفيل ثم إتصالهما بالراهب بحيراء. (٧٧) وهذا التفسير في ظهور الإسلام يضع الباحث أمام تفسيرات معاصرة لظهور الإسلام حيث:

- النبي محمد تربي تربية دينية ، وهو نتاج هذه التربية .

- انتصار الإسلام وتحديد هذه الشخصيات، التي معظمها من تيار الأحناف. إنما هو إنتصار لتيار الأحناف، الذي ساد في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وهذا ما ينقلنا للصراع الديني الذي ساد في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام، والذي هو أشبه بصراع التيارات السياسية في يومنا هذا، لكن النصر النهائي كان لتيار الأحناف، وربما هذا النصر يعيده بعض الباحثين لظروف موضوعية أحاطت بالمجتمع العربي آنذاك. (٧٩) ومثل هذا التأويل للاسماعيلية لظهور الإسلام، ربما يكون مرده الحديث النبوي (تسلمت من خمسة وسلمت إلى خمسة وبيني وبين ربي خمسة) (٨٠)

٧٦-راجع:الداعي جعفربن منصورت٣٨٠هـ،سرائر النطقاء ص٨١.

٧٧-نفس المصدر،ص٢٢٩.

٧٨-راجع:كارل بروكلمان،تاريخ الشعوب الإسلامية،ترجمة:نبيه أمين فارس،منير البعلبكي دارالقلم،بيروت،ط١٩٧٩،ص٣٤.

٧٩-راجع:حسين مروة وأخرون،دراسات في الإسلام،ص٧٤.

٨٠-راجع:ثقة الإمام،المجالس المستنصرة،ص٣٥.

وتمسك الإسماعيلية بالامام يجعله مصدر الحلال والحرام (= التشريع) وهذا ما يجعل الإسماعيلية أقرب للنقل منها للعقل ، مما يجعل التراث الإسماعيلي يذم العقل ويلعن بطلانه ، وحجته بذلك (٨١)

– في الايمان بالعقل كل قضية يؤمن بها الإنسان يوجد نقيضها يؤمن بها خصمه، وعندئذ سيكذب كل طرف الأخر ، فاذا صدق الأول كذب الثاني.

– اذا جاء شخص يسأل عن حاجة هل نقول له فكّر ؟ ولماذا هو يسألنا ؟

ثم إذا كان حائراً بين الفلسفي ، والأشعري ، والمعتزلي هل نتركه لذلك ؟ إذن ، لا بدّ من تعليمه (= تلقينه) مما يبطل دور العقل .

– هناك تناقضات كثيرة في الساحة (= تناقضات دينية ، ولو ترك الناس لأصبحوا في ضياع أكبر ، وهذا ما يجب توضيحه لهم ، وهم يستدلون على ذلك بما ورد في القرآن ، سورة النساء ،آية ٨١ (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)

– الإنسان في تناقض مستمر حيث:

– هو في تناقض بينه وبين الأخرين ، فهو يعتقد أنه على صواب والأخرين على خطأ

– هو في تناقض مع نفسه ، فقد يعتقد اليوم بصحة أمر كان بالأمس يعتبره عار عن الصحة.

اذن ، لا بدّ من هاد ، وعبر ذلك نجد:

– الفكر الإسماعيلي في تراثه الفكري يمثل فكراً نقلياً ؛ شأنه شأن الأخر .

– الإنسان يفقد حريته أمام المركز (= الإمام) لأن الإمام هو صاحب الرأي .

– المتعلم من غير معلم هو في خطر ، وربما وقع ضحية الشك والزلل لكن هذا لا يعني أن ما ذهب إليه الداعي علي بن الوليد كان مطلقاً في مسار الفكر الإسماعيلي ، بل نجد ما يناقض ذلك حيث:

– تمت ولادة الفكر في نفس الوقت الذي سجل فيه الفكر المعتزلي حضوراً مميزاً

٨١–راجع الداعي المطلق علي بن الوليد،دافع الباطل وحتف المناضل،ص١/٢٧٧.

وهذا بدوره ما جعل العديد من الفرق الدينية ، ومنها الإسماعيلية تأخذ في النزوع العقلي ، مما يجعل الإسماعيلية تسجل موقفها المتوافق مع المعتزلة في القول بإمكانية البرهنة على القضايا الدينية بالعقل . (٨٢)

– الإسماعيلية شأنها شأن العديد من الفرق الأخرى ، أي أنها ترفض أخذ الدين بالعادة ، وتنظر للماضي كتراث مع أخذها بالحاضر .

– تفاعل الفكر الإسماعيلي مع الفكر الفلسفي ، لاسيما في كتابات الكرماني ت٤١١هـ.

وظلت الإسماعيلية حتى يومنا هذا ، تتمثل حركة دينية ، وفكرية ، وفيّة للنزعات العقلانية ، ويبرز ذلك في الإرشادات التي يطرحها صاحب الزمان الحاضر حيث يعلن: (أريد منكم أن تفهموا اننا لن نواجه المشاكل التي تعرضت لها الديانات الأخرى ومن هذه المشاكل مسألة التوفيق بين التفكير المنطقي للإنسان وبين معتقداته الدينية ، ويعلم كل من درس منكم الإسلام بدقة أن هذه المسألة نحن قادرون على حلها لابنائنا بالبرهنة عقليا على صحة معتقداتنا ثم يتابع قوله : (يجب أن يكون لديكم في كل منحنى من مناحي الحياة فهم منطقي . قدموا تاريخ عقيدتكم بالشكل المنطقي . فالمبدأ الأساسي في الاسلام يشير إلى أنه دين منطقي مفهوم وواضح للعقل.) (٨٣)

إذن ، منزلة العقل في الفكر الإسماعيلي المعاصر تحديداً مكانة عالية وهو : (وجه الباري ، كما أن النفس وجه العقل ، وإن الروح لا توجد في البداية وإنما في النهاية ، وهي قوة جارية في الأعضاء كمثل الهواء الحاري في الأضواء ، أو هي كمثل الحمل الذي يتكون من ماء دافق حقير ، وعندها يستوي خلقته ، وتنتقل من لا شيء صورته ، ويصير في دار الحّس ، وتنتشر فيه مواد النفس يعتبر عندئذ خلقا جديداً طاهراً). (٨٤)

وللعقل مداليل عدة في الفكر الإسماعيلي ، فهو يمثل الإمامة ، ويقال للعقل أيضاً القلم ومنه تنفطر الحروف الجامعة للكلام ، ويقال للعقل العرش ، ومعناه إقرار معرفة التوحيد ، وقد يجوز أن

٨٢–راجع:أبو يعقوب السجستاني ت٣٣١هـ،إثبات النبوّات،تحقيق:عارف تامر،المكتبة الكاثوليكية،بيروت،ط١٩٦٦،ص٣١.

٨٣–راجع:كريم شاه الحسيني(=الأغاخاني)،الإرشادات،مكتبة المجلس الإسماعيلي الأعلى بالسلمية،سوريا،بدون تاريخ،ص١٣.

٨٤–راجع:عارف تامر،دائرة المعارف،ص١٣/٣١٨.

يكون فعل العقل قد سبق قوته ، ولم توجد هذه الفضيلة في موجود سواه ، لأن جميع الحدود ما دونه.وعن العقل انبثقت نفس العالم ولها ميلان: علوياً إلى العقل ، وسفلياً إلى عالم الطبيعة . لإن العقل مركز العالم المعقول.(٨٥) ومثل هذا التصور للعقل يجعلنا نقف أمام تصور الفكر المعتزلي للعقل والذي جعل من العقل إماماً وهادياً وهذا بدوره ما جعل (ما سينيون) يقول:

إن (المعتزلة) يقرون ما يسمى ((أعمال القلوب)) لكنهم يقحمون في ذلك نزعتهم الفكرية العقلية ويرون في الأصول الدينية هي من تحديد العقل الذي تركه الله حراً لا يعترضه في ذاته أي عائق داخلي). (٨٦) وبذلك يلتقي الموقف الإسماعيلي المعاصر ، والذي يأخذ بالعقلانية مع الفكر المعتزلي العقلاني.

ثانياً صورة العبادات في الفكر الديني الإسماعيلي:

– الإله: وصورة الإله في الفكر الإسماعيلي، هو الخالق الباري ، المبدع ، القديم ، وهو المتعالي عن الصفات ، لا ينال بحس ، ولا يقع تحت نظر ، ولا تدركه الأبصار ، ولا ينعت بجنس ، ولا يخطر في الظنون ، ولا تراه العيون ، ولا يوصف بالحواس ، ولا يدرك بالقياس ، ولا يشبه الناس ، ليس له مثل ولا شبه ، وهو سبب كل موجود ، ومخترع ومبدع ، وسبب كون الكائنات ، ورب كل شيء ، وخالقه ومتممه ، ومبلغه إلى أفضل الأحوال ، وليس له أسماء ، لأن الأسماء من موجوداته ، وأن حروف اللغة لا يمكن أن يطلق عليه شيء منها لأنها جميعاً من مخترعاته وأن كافة الأسماء التي أبدعها جعلها أسماء لمبدعاته ، والحد الأول إنبثق منه ، والموجود الأول فاض منه ، وهو مبدع المبدعات ، ومُعلّ العلل ، وباري البرايا ، والدائم الموجود ، وهو صاحب العدد الأول الذي هو أصل الأعداد ، (٨٧)

٨٥–راجع:ن، م، ص ١٣/٣١٩

٨٦–راجع:عادل العوا،الكلام والفلسفة،مطبعة جامعة دمشق،ط١٩٦٤،ص٤٤.

٨٧–وربما أضافوا لذلك قولهم:إنه ليس جسما،ولا هو في الجسم،ولا يعقل ذاته عاقل،وهو ليس بصورة،ولا بمادة،ولا يوجد في اللغات مايمكن الإعراب عنه.
راجع:عارف تامر،دائرة المعارف،ص٣١٧،٣١٨،ص١٣.
أيضا:مصطفى غالب،تاريخ الدعوة الإسماعيلية،ص٥٦.

وصورة الإله في الفكر الإسماعيلي ، صورة عقلانية مجردة ليس لها مثيل في الوصف والمرتبة بل أن الله هو بعيد عن الصفات ، فهو ليس جسماً، وأنه المبدع ، والقادر ، والسميع والعليم ، والحكيم ، بل أنه فوق أي وصف .(٨٨)

وتذهب الإسماعيلية الى أن الله ليس أيسا ، وليس ليسا ، وهو ليس من جنس العقول حتى تدركه العقول ، وليس بجسم حتى يراه البصر ، و لا يعرف عنه بلفظ ، وأنه أبدعه في ذاته العقل الكلي أو الموجود الأول ، أو المبدع الأول ، وعن طريق المبدع الأول وجدّت النفس ، وهي الخلق الثاني المنبجس عن الخلق الأول ، ومنه يتفرع انبعاث العقولالروحانية. (٨٩)

ومثل هذا التصور للإله عند الكرماني ت ٤١١ هـ ، انما يفصح عن:

– إنه إفصاح عن رأي كبار وعامة الجماعة الإسلامية في هذه الفكرة.

– إنه إفصاح عن رفض فكرة النبوة للأئمة ، والتي ربما ذهب إليها بعضهم، مما يجعل الإله عند الكرماني، بأنه الحي، القادر، والعالم الأزلي، وحق، ومبدع، وهو الوحدة، والحياة والموجود الأول (٩٠) وسند الإسماعيلية بذلك، ما ورد في القرآن وسورة آل عمران، آية ٢(الله لا اله الا هو الحي القيوم) أيضاً سورة البقرة آية ٢٥٥ (لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) وهكذا تكون صورة الإله في الفكر الإسماعيلي هي:

– تعبير عن الفكر الاسلامي التوحيدي.

– قريبة من التصور الأفلاطوني ، لأن الاسماعيلية تقول في الإبداع ، وترفض الفيض، لان الفيض في رأي الإسماعيلية يكون في نفس الجنس.(٩١)

وتصور الإسماعيلية للإله يجعلنا نقف أمام تصور المعتزلة القائل : (الله واحد أحد، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة

٨٨–راجع الداعي:جعفربن منصوراليمن،كتاب الكشف،تحقيق.مصطفى غالب،دارالأندلس بيروت١٩٨٤،ص٥٤،٥٥.

٨٩–راجع الداعي:الكرماني،راحة العقل،ص٣٤.

٩٠–نفس المصدر،ص١٨٨،١٨٩.

٩١–راجع:الكرماني،تنبيه الهادي والمستهدي،مخطوط بالمكتبة الإسماعيلية بالسلمية، ص٣١.

ولا لحم ولا شحص ولا جوهر ولا عرض . ولا ندي لون . ولا طعم . ولا رائحة، ولا مجسمة، ولا بذي حرارة ولا بذي برودة ، ولا رطوبة ولا يبوسة ، ولا طول ولا عرض ، ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق)(٩٢)

وربما يبلغ التوافق في بعض المواقع حد التطابق، لا سيما إذا علمنا أن صفات الإله عند المعتزلة هي سبع: (العلم، والحياة، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام(٩٣) بل ويبلغ التوحيد الإسماعيلي درجة إبعاد التشبيه والتعطيل، ومرجعهم بذلك ما ورد في القرآن، سورة الشورى، آية١١ (ليس كمثله شيء).

– النبي: ويعبر عنه الفكر الإسماعيلي بـ (الناطق) والإسماعيلية تأخذ بشروط النبوة التي وضعها إخوان الصفا (٩٤) وهي.

– الوحي والأنبياء عن الملائكة.
– إظهار الدعوة للإمة.
– تدوين الكتب المنزلية بالألفاظ الوجيزة.
– تبيين كيفية قراءة الكتاب بفصاحة.
– ايضاح تفسير معاني الكتاب وبلوغ تأويله
– وضع السنن المركية.
– مداواة النفوس المريضة من المذاهب الفاسدة والأراء السخيفة.
– نقل هذه النفوس بالمدح والترغيب.
– معرفة كيفية سياسة النفوس الشريرة.
– معرفة كيفية سياسة النفوس الساهية.
– إحراء السنة في الشريعة.
– ايضاح المنهج في الملة.

٩٢–راجع:عادل العوا،الكلام والفلسفة،مصدرسابق،ص٣٩.
٩٣–نفس المصدر،ص٣٩.
٩٤–راجع:محمد فريد حجاب،الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا،ص٤٤٣

- توضيح الحلال من الحرام.
- تفصيل الحدود والأحكام في أمور الدنيا جميعاً.
- الحث على الزهد في الدنيا وذم الراغبين فيها.
- تفصيل أحكام الخاص والعام.

إذن، الإسماعيلية ليست كما يزعم بعضهم أنها تحل شخصية الإمام محل النبي.

- القرآن وتأويله. والقرآن كما هو واضح في التراث الإسماعيلي ، أنسب بقاء الإنسان والعالم (٩٥) . وهو أسمى ما في الإنسان ، وهو غذاء عالمه الباطني والظاهري ، وهو علم وعمل ، مما يعني أن مفهوم الدين يأخذ في الفكر الإسماعيلي مفهوماً فكرياً وسلوكياً، وهذا ما يجعل الرؤية الإسماعيلية في ربط القول بالعمل رأية عصرويـة. (٩٦)

فالقرآن: هو كلام الله ، وسمي قرآناً دلالة على أن الحرفين (قر) مركبان يدلان على الباطن والأساس . والحرفان (آن) بسيطان يدلان على العقل والنفس. والقاف بحسب الحروف تساوي مائة والراء بحساب الحروف تساوي مائتين. (٩٧) لأن الناطق مرتبته ضعف مرتبة الأساس ، وله رتبة التنزيل والتأليف ، وليس للأساس إلا مرتبة التأويل ، والقاف والراء على مثال العمل ،وهو نصيب الجسد المركب ، والألف والنون على مثال العلم ، وهو نصيب النفس اللطيفة ، والعمل نصيب الدواب الذين بلا علم ، والعلم نصيب الملائكة الذين بلا عمل ، ومنها معنى نصيب للبشر فهم مشتركون مع الدواب في الجسد ، ومشتركون مع الملائكة بالنفس العالمة ، وبالجمع بينهما يصلون من مرتبة الدواب إلى مرتبة الملائكة.

وألفاظ القرآن مختلفة لأنها جسد ، والأجساد مختلفة ، لكن تأويلها واحد. وكذلك الشرائع فهي مختلفة لكن تأويلها واحد ولهذا كان التأويل هو المصباح . الذي يضيء الطريق للناس نحو الدين والخير .

٩٥-راجع:ناصر خسرو،جامع الحكمتين ص٦٤.

٩٦-راجع:مقالنا الأهداف السولكية،مجلة بناة الأجيال،دمشق،العدد١١٥،لعام١٩٨٩، ص٢٤.

٩٧-راجع:ناصر خسرو،جامع الحكمتين،٦٥

إذن ، القرآن كما يفهمه التراث الإسماعيلي يمثل معجزة ، وهو كتاب صامت ينطق به الإمام . (٩٨) وعند تصفح كتب التاريخ نأن الباحث يعثر على أخبار مجموعة من الأقوام قد ذهبت أدراج الريح عندما غضب الله عليها لأنها ضلت وكفرت بالله ومنها قوم عاد وثمود. (٩٩) والباحث في التراث الإسماعيلي يجد صورة قريبة لذلك، لكنها تأخذ شكلاً مغايراً حيث الهلاك يمثل جهلا وخروجا عن الدين. (١٠٠) الإسماعيلية إذ تطرح تفسيراً خاصاً بها تجد مسوغها الديني في الحديث النبوي (القرآن ذلول ذو وجوه محتملة فاحملوه على أحسن وجوهه) (١٠١)

مما يجعل الباحث يقع في العديد من التفسيرات الإسماعيلية هي جديرة بالقراءة والتعرف عليها لأنها تحمل رؤية جديدة للعديد من القضايا الدينية ، والساحة الثقافية العربية بحاجة لمعرفتها، لا سيما أننا نعيش في مرحلة عصروية، يطرح فيها تعددية الرأي، ومن هذه التفسيرات.

– في سورة نوح نجد: السفينة (= الشريعة) ، وتوجه بانث نحو جبل يقيه الطوفان (= توجه نحو الظاهر) و (= الأرض) والسماء (= الباطن). (١٠٢)

– لبن ناقة صالح (= العلم الباطن). (١٠٣)

– الإسراء والمعراج: هو حقيقة لكن الإسراء بالروح. (١٠٤)

– في سورة لوط نجد: القرية (= الدعوة) (٥١٠)

– في سورة يوسف نجد: أن لا ينقص رؤيته (= الإبتعاد عن التأويل للكتاب المقدس) ، أكله الذئب (= تركوه للمكاسر) ، والدلو (= الحجة) ، وهمت به وهمّ بها

٩٨–راجع:ثقة الامام،المجالس المستنصرية،ص٢٩،١٧٦.

٩٩–راجع:المسعودي،مروج الذهب،دارالأندلس،بيروت،ط٥ ١٩٨٣، صص١٤،١٨/٢

١٠٠–راجع:ناصرخسرو،جامع الحكمتين،ص١٨١.

١٠١–راجع:محمدعابدالجابري،تكوين العقل العربي،مركزالدراسات الوحدةالعربية،بيروت ط٣ ١٩٨٨،ص١٤٢.

١٠٢–راجع:الداعي النعمان بن حيون التميمي العربي ت٣٦٣ه،أساس التأويل،ص٨٥.

١٠٣–نفس المصدر،ص١٠٣.

١٠٤–نفس المصدر،ص١٠٨.

١٠٥–نفس المصدر،ص١٣٤

(= الرغبة في مفاتحته بعلم الباطن) ، وشهد شاهد من أهلها (= أهل الدعوة) ، يوسف أعرض عن هذا (= أكتم) ، وأما عن حلم المساجين نجد.

- من يعصر الخمر (= من يقوم بتأويل الظاهر ونشره).
- من يحمل خبزاً والطير تأكله (= من يقوم بتأويل الباطن).
- وأما يا صحبي السجن (= صاحب الكتمان).

- وعن حلم الملك نجد: البقرات السمان : (= حجج الناطق = النبي) ، والبقرات العجاف (= الأئمة عندما يصير علمهم اليهم) وسبع سنبلات خضر (= الأئمة السبعة عندما خصوا بالتأييد) وإما اجعلني على خزائن الأرض (=أرسل رسلي للحزر) وجعل الساقية في رحل أخيه (= جعله مرتبة في الدعوة)، وقميص يوسف (=الإمامة).(١٠٦)

- وأما بشأن قصة أيوب فالباحث يجد: قتل إبليس أولاده (= إنصراف أهل الدعوة وأتباعه) ، والديدان (= الذين استجابوا للدعوة ثم تركوه). - وأما بشأن قصة موسى (= الداعي والوصي حيث أمرها صاحب الزمان) والرب (= صاحب الزمان) ولما ورد ماء مدين (= عرف الحدود) . والبقعة المباركة (= الأمانة) . فاخلع نعليك (= أخلع الظاهر) . وأهش بها على غنمي (= أفيد أمتي) ، فاذا هي حية تسعى (=تملك القوة) ، أعطوا مصرا (= عودوا للظاهر) والبقرة (= الحجة). (١٠٧)

في سورة يونس: انتنا عليه شجرة من يقطين (= اتصال الرجل ببعض دعاته تم اتخذه حجة). (١٠٨)

- في سورة زكريا: وليس الذكر كالأنثى (= من يصلح للإمامة ليس كمن يصلح للحجة). كانت امرأتي عاقراً (= لم أرزق من دعوة حجتي من يصلح للأمامة ، لأن مريم من دعوة غيري وأخافها) .

- في سورة عيسى: مريم (= حجة زكريا) يحيى (= إمام الأساس الذي ربى

١٠٦-المصدر السابق،ص١٤٦ومابعدها.
١٠٧-نفس المصدر،ص١٥٢،٢٦٢.
١٠٨نفس المصدر،ص٢٩٠.

عيسى وتعهده حتى صار ناطقاً) واسمه المسيح (= أي يمسح ما ظهر وما بطن)، ويكلم الناس في المهد (= قبل حدود المفاتحة) ؛ يعلمه الكتاب والحكمة (= يعرفه إمام زمانه) والحكمة (= العلم) ، والتوراة (= الظاهر) والإنجيل (= الباطن) ، والطير (=الداعية) ، أبرأ الإكمة والأبرص (= أبصر بالحكمة من عمي عنها) وأوصاني بالزكاة والصلاة ما دمت حياً (= إقامة الدعوة). (١٠٩) إذن ، الباحث في هذا التأويل يجد فيه الأمور التاليـة:

- الرمزية في فهم القضايا الدينية ، والتفسيرات الدينية ، وهي أقرب للرؤية المعاصرة.
- أهمية دور الإمام ، والحجة والداعية ، في الفكر الاسماعيلي .
- الوضوء: وهو كما يرويه ناصر خسرو بأنه إعطاء العهد ، والتبري من أعداء أولياء الله. (١١٠) وفرائض الوضوء هي مثال على الناطق صاحب الرتب الأربعة: النبوة ، والوصابة ، والإمامة ، والبابية ، (١١١) واليد اليمنى مثل على الناطق ، واليد اليسرى مثل على الاحساس ، وقدر الماء دليل على الداعي، واليد اليسرى دليل على المستجيب ، والمضمضة (= قبول العلم على ثلاث مراحل). والأنف (= الإمام) ، والقبلة (=قائم القيامة)، والصلاة تقسم الى:

فرض (= الإمام) وسنة (= الحجة) ونافلة (= دليل الداعي).

والصلاة خمس دليل على الخمس الذين تسلم منهم النبي ، وهنا سبع فرائض (= أئمة سبعة) فالتكبير (= دليل على أخذ المؤس للعهد ، وقراءة الفاتحة (= قول الداعي للمدعو إلى الدخول في الدعوة) والركوع (= معرفة الاساس) والجلوس للتشهد (= معرفة الداعي) ، والتسلم (= إعطاء المؤمن الأذن بالحديث ووصوله الى درجة المأذون).

- الزكاة (= وهي عبارة عن الاساس). (١١٢)
- الجهاد = الجهاد الجسدي من أجل قبول الدين ، وجهاد النفس من أجل قبول التأويل.

١٠٩-نفس المصدر،ص١٥٤.

١١٠-راجع:ناصر خسرو،جامع الحكمتين،ص٧٤.

١١١-راجع:ناصر خسرو،جامع الحكمتين،ص٧٤.

١١٢-نفس المصدر،ص٨٠.

– الصوم = صوم النفس ، والصوم الظاهر (= طاعة الله) والصوم الباطن (=تربية النفس). (١١٣)

– الحج الى بيت الله الحرام = هو شريعة ابراهيم ، وأشرك معه في بناء الكعبة ولده اسماعيل الذي هو أساس الشريعة. (١١٤) والقدوم إلى الحج (= القدوم إلى الامام من كل مكان)، والقواعد (= النطقاء الأربعة: موسى ، وعيسى ، ومحمد ، والقائم) والطوفان في الإسلام يقع على ركنين من البيت وهما: محمد والقائم . والركنان الأخران هما:

موسى وعيسى ، وللبيت باب واحد (= الأساس) وهو وصية أي إمام ، وحوله اثني عشراً بابا (= النقباء) وهم مورعون في الجزر والطواف سبعة أشواط ، وكذلك السعي بين الصفا والمروة (= النطقاء السبعة والأئمة السبعة) ، والحجر في الركن مثل اليد (= يد الناطق) ، واستلامه يمثل مصافحته أو المبايعة له، وفي الحديث النبوي (إن الحجر يمين الله عز وجل). (١١٥)

وبعد الطواف بالبيت يتم الصلاة على ركعتين وهما: الطاعة للإمام والحجة ، (الشرب من ماء زمزم = طلب العلم والورود منه ، والصفا والمروة (= الامام والحجة) ، والطواف حولهما يمثل الطاعة لهما ، والدعو (= أخذ الميثاق) .وبذلك يضع الخطاب الإسماعيلي عن تصوره الخاص لهذه المفاهيم والقضايا الدينية.

وكذلك يتلمس الباحث في الفكر الديني الإسماعيلي بعض المصطلحات الشائعة في الحياة اليومية وأخص منها:

– الاخوة: وتعني الإخاء، والصفاء والمودة ، والأمان ، وهي ليستخاصة بالفئة.

– الداعية: وهو مستمد من القرآن ، سورة النحل ، آية ١٢٥ (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).

– الأبوة الروحية: وهو قديم ويعود لإخوان الصفا ، وما زال صاحب الزمان يستخدمه حتى يومنا.

١١٣–نفس المصدر،ص٨٠.

١١٤–راجع الداعي:نعمان بن حيون التميمي العربي،أساس التأويل،ص١١٥.

١١٥–نفس المصدر السابق،ص١١٦.

– المثل والممثول: وهذا يعني أن العالم الأرضي عالم جسماني ظاهر يماثل عالم روحاني باطن. (١١٦) ومحاولة الإسماعيلية في ايجاد فلسفة خاصة بهاتجعلها تنفرد برؤيتها عن الفكر الشيعي في قضيتين وهما:

– حول شخصية الحسن علي بن أبي طالب: فالتراث الإسماعيلي عموماً يجعل الباحث يقف أمام التصور التالي:

علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة وأولاده الحسن والحسين هم آل بيت النبي، وهم الذين خصهم الاله في سورة الأحزاب آية ٣٣ (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) .

إذن الذين نزلت فيهم الأية هم: النبي ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين(١١٧)

يضيف هذا التراث أن الحسن والحسين هما: سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما،وقدورد في الحديث(الحسن والحسين إماما حتى قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما)(١١٨) وهذا التراث يجعل الباحث يطرح السؤال التالي. كيف يعترف التراث الإسماعيلي في إمامة الحسن في الوقت الذي نجد الكتابات المعاصرة تخالف ذلك (= تعتبره إمام مستودع)؟(١١٩) أم أنتنازل الحسن عن الخلافة هو الأساس؟ رغم أن التراث الاسماعيلي يعترف أن تنازل الحسن كان مشروطاً بعدم شتم الإمام علي على المنابر، ثم حفاظه على جماعته ثانياً(١٢٠) وربما نجد نصوصاً إسماعيلية معاصرة تقول: إن عليا قد أوصى للحسين وليس للحسن.(١٢١)

١١٦–راجع:مصطفى غالب،تاريخ الدعوة الإسماعيلية،ص٥١.

١١٧–راجعي الداعي المطلق:عمادالدين القرشي ت٨٧٢هـ،عيون الأخباروفنون الأثار، السبع الرابع،ص٢١٠.

١١٨–نفس المصدر،ص٢١٠.

١١٩–راجع:عارف تامر،دائرة المعارف،ص١٣/٣٣٢.

١٢٠–راجع الداعي المطلق:عمادالقرشي،عيون الأخبار وفنون الأثار،السبع الرابع،ص٣٥.

١٢١–راجع:مصطفى غالب،تاريخ الدعوة الإسماعيلية،ص١٠٠.

– حول شخصية المهدي: التفسيرات العصروية لقضية المهدي تعتبرها رؤية فيها الطموح بالخلاص من القمع ، والقهر لجماعة معينة . لكن المسألة نجدها تطرح نفسها في أكثر من ديانة ، وفرقة إسلامية. والتراث الإسماعيلي يأخذ عن الحديث النبوي القائل: (يافاطمة منك هاديها ومهديها) ايضاً الحديث النبوي: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يظهر من ولدي من يملا الأرض عدلا وقسطا ، كما ملئت جورا وظلما). (١٢٢)

لم يكتب الداعي المطلق إدريس عماد الدين القرشي ت ٨٧٢ هـ يقول : (ويزعمون أنه حي لم يمت ، ويقولون: إن ابليس أمهله الله لإضلال خلقه إلى الوقت المعلوم ، فكيف يولي من أولياء الله ، وزعموا أنه القائم الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورا، والحجج عليهم كثيرة طويلة ، ولو كان يمكن أحدا من البشر أن يعمر إلى اليوم المعلوم لكان ذلك محمد صلى الله عليه وسلم الذى أرسل إلى جميع الأدميين . فلما لم يكن ذلك لأحد من البشر جعل الله بعد النبوة الوصاية ، ثم الإمامة يورثها واحد بعد واحد ، ومن صفوته من خلقه ، وخيرته من عباده ، فهذا القول السليم ، والمعنى الصحيح والمستقيم ، لا ما ذهب اليه الجهال ، وتاهوا لأجله في أودية الضلال . (١٢٣)

إذن ، التراث الإسماعيلي في تناقض حول هذه القضية ، وربما بعض الكتابات المعاصرة تكتشف حقيقة الموقف عندما تعلن: أن الإسماعيلية تؤمن بالقائم ، وهو أقرب للمهدي ، وهو بمنارة الآخرة ، في حين أن آدم أول الدنيا يكون القائم من ولد اسماعيل.(١٢٤)

ثالثاً: نتائج اجتماعية لهذه التربية الدينية:

١ – المرأة في الفكر الديني الإسماعيلي: بالرغم من أن مكانة المرأة في الفكر الاسلامي عموماً هي دون مكانة الرجل ، وبالرغم من أن بعض الحركات الباطنية الإسلامية تغالي بضرورة إبعاد المرأة عن الدين ، والفكر الديني ، وحجتهم بذلك أن زواج المرأة من

---

١٢٢ – راجع-علي بن الوليد،دافع الباطل وحتف المناضل،ص١٠٢/١.
١٢٣ –راجع:إدريس عمادالدين القرشي،عيون الأخباروفنون الأثار،السبع الرابع،ص٣٣٧.
١٢٤ –راجع:سامي العياشي،الإسماعيليون في المرحلة القرمطية،ص١٧٨.

خارج دينها أحياناً قد يجعلها تبيح بأسرار دينها ، لهذا يتوجب عزلها عن الدين ، والفكر الديني ، وربما استندت بعض المذاهب الباطنية للحديث المنسوب للامام علي والقائل : (معاشر الناس ، إن النساء نواقص الإيمان ، نواقص الحظوظ ، نواقص العقول)(١٢٥)

والامام علي في الفكر الإسماعيلي مكانة مرموقة ، فهو الباب ، والوصي ، ومنه ينحدر أئمة الإسماعيلية رغم ذلك نجد الفكر الإسماعيلي الديني يمنح المرأة مكانة مميزة حيث نجد:

- حواء زوجة آدم هي حجته . (١٢٦) والحجة كما هو معلوم (= نائب الامام).
- امرأة لوط هي الأساس ، وبذلك ترافق الناطق طيلة حياته ، وهي ساعده الأيمن، وأمين سره ، وهي المسؤولة عن التفسير الباطني . (١٢٧)
- امرأة أيوب ، هي صاحبة سره ، وهي أساس الدعوة . (١٢٨)
- مريم (أم عيسى) هي حجة زكريا . (١٢٩) وناطقة باسم الدين في حالة غيابه وقد كرمها الاله عندما جعل ابنها إماما.
- خديجة حجة محمد .

أروى بنت أحمد الصليحي ت ٥٣٢ هـ ، فقد مثلت دوراً كبيراً على مسرح الأحداث ، وجعلت اليمن بكاملها تحت حكمها ، وخطب لها على المنابر ، ولقبت بـ (السيدة الحرة) و (ملكة اليمن) . (١٣٠)

وبذلك تنفرد الإسماعيلية عن غيرها من الجماعات الإسلامية ، بموقفها نحو المرأة ، منذ القديم وحتى اليوم ، حيث تعلن المساواة بينها بالقول والعمل . (١٣١) ويجد الباحث، والمشاهد العادي ، صورة المرأة في الواقع في المناطق الإسماعيلية ، كيف تتمتع

١٢٥-راجع:بوعلي ياسين،خيرالزادمن حكايات شهرازاد،دارالحوار،اللاذقية،ط١٩٨٦،ص٥٩.

١٢٦-راجع:الداعي الإسماعيلي النعمان بن حيون التميمي العربي،أساس التأويل،ص٥٨.

١٢٧-نفس المصدر،ص١٣١.

١٢٨-نفس المصدر،ص١٦٦.

١٢٩-نفس المصدر،ص٢٧٩.

١٣٠-راجع:عارف تامر،دائرة المعارف،ص١٣/٣٢٤.

١٣١-راجع:بندلي جوزي،تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام،ص١٤٣.

بالحقوق الكاملة المساوية للرجل ، وهي سافرة لا تعرف الحجاب ، وتعمل في المؤسسات لجانب الرجل ، يضاف لذلك تمتعها الكامل بالحرية ، وهذه الحرية أعطتها المزيد من الثقة بالنفس ، مما جعلها بعيدة عن السقوط في هاوية الانحرافات الجنسية الشاذة.

والمرأة الإسماعيلية اذ تتصرف بهذا الشكل ، فانما تجد السند الكامل في توجيهات صاحب الزمان الراحل الامام سلطان محمد شاه للنساء الإسماعيليات في سوريا بقوله : (إن الحجاب يتعارض والعقائد الإسماعيلية ، وأني أهيب بكل إسماعيلية أن تنزع نقابها وتنزل إلى معترك الحياة لتساهم مساهمة فعالة في بناء الهيكل الاجتماعي والديني للطائفة الإسماعيلية خاصة وللعالم الإسلامي عامة، وأن تعمل جنباً إلى جنب مع الرجل في مختلف ميادين الحياة إسوة بجميع النساء الإسماعيليات في العالم). (١٣٢)

وهذه الحرية للمرأة الاسماعيلية ربما فسرها كتاب التراث تفسيرات مغلوطة ، تحمل التجني ، حيث صورت على أنها إباحة جنسية. (١٣٣)

وبذلك يبرز أثر التربية السلفوية من ناحية ، وعدم المعايشة من ناحية ثانية في حكم البغدادي . وربما نجد بعض المعاصرين من المسلمين يرفضون أيضاً هذا المظهر التحرري للمرأة ، ورؤيتهم بذلك أنه خروج على الإسلام ، والقيم الإسلامية ، لأن صورة المرأة المسلمة كما يفهمها هؤلاء. المرأة المسلمة امرأة محجبة ، ودليلهم بذلك القرآن ، سورة الأحزاب ، آية ٥٣ (واذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب). (١٣٤)

– والمرأة المسلمة من حقها العمل لكن داخل المنزل ، وهي مسؤولة عن طهي الطعام ، ونظافة المنزل وتربية الاطفال .(١٣٥) لهذا يكون خروجها للعمل ، والأختلاط بالرجال ، انما هو خروج عن الإسلام والقيم الاسلامية ، مع أن الإسماعيلية منذ القديم وحتى اليوم ترفض الإباحة الجنسية.(١٣٦)

١٣٢–راجع:مصطفى غالب،تاريخ الدعوة الإسماعيلية،ص٣٦٥.

١٣٣–راجع:البغدادي،الفرق بين الفرق،ص٢٨٦.

١٣٤–راجع:أحمدالحجي الكردي،أحكام المرأة في العفة الإسلامية،دارالإمام البخاري، دمشق،ط١٤٠٠هـ،ص١١٥.

١٣٥–نفس المصدر،ص١٢٧.

١٣٦–راجع الداعية الإسماعيلي:علي بن الوليد،دافع المناضل وحتف الباطل،ص١/٦٧.

٢ – شخصية الإنسان الإسماعيلي : إنه مما لا شك فيه فان تجربة الإسماعيلية خلال هذه المرحلة الطويلة قد إنعكست على حياة أفرادها ، وشخصياتهم ، وهذا ما جعل الإنسان الإسماعيلي يتميز بمجموعة من الصفات الحميدة ، وأخص منها . (١٣٧)

– شخصية مثقفة ، تحب العلم ، وتبحث عنه ، في الكتب والمكتبات ، ولدى أصحابه من العلماء والباحثين والأدباء ، مما أنتج شخصية مثقفة.

– يحب الحرية ويعشقها لنفسه وللآخرين ، ويدافع عنها ، بالكلمة والسيف ، وتاريخه يشهد على ذلك ، وهذا ما يجعلنا نشاهد داخل الأسرة الواحدة مختلف الاتجاهات السياسية ، وهم على وفاق وحوار فيما بينهم.

– يحب النقاش والجدل ، وهو اذ يفعل ذلك لا عتبارين هما:

١ – يحب زيادة اطلاعه ومعارفه ، ويجد في النقاش وسيلة لذلك.

٢ – ثقافته ومعارفه تمنحه الثقة، وقوة العزيمة ، في الحوار والنقاش.

– الإسماعيلي إنسان عصروي ، يأخذ كل ما هو جديد في الحياة ، دون تردد ، لاسيما إذا علمنا أن موقف الإسماعيلية كدين يشجع على ذلك.

– محب ومخلص في حبه ، وربما وصل في ذلك لدرجة التطرف سواء في حبه أو كراهيته ، وبذلك نجده لا يعرف المجاملة.

– يحب العمل ، ويقدم عليه ، ويكره التقاعس قولاً وعملاً.

والباحث اذ يناقش أسباب وجود مثل هذه الشخصية الحضارية في مجتمعنا المعاصر اذا ما قيست بالشخصيات الأخرى يجد:

– أسباب تربوية: فالأسرة الإسماعيلية تربي أطفالها على المعرفة ، والديمقراطية،والعصروية.

– أسباب بيئية طبيعية: فالبيئة الإسماعيلية ما زالت ريفية ، وربما صحراوية (= سلمية) وهذا ما انعكس على أبناء المنطقة في حب الصدق والوفاء كأبناء البادية ، مما يجعلنا نشم في شخصيات ابناء السلمية رائحة البادية ، رغم تحضرهم الفكري والمعرفي . (١٣٨)

---

١٣٧ – راجع:ميشل لباد،الإسماعيليون والدولة الإسماعلية بمصياف،ص٥١.

١٣٨ – لقد سبق للرحالة والباحثين العرب أن تحدثوا عن أثر البيئة على شخصية الإنسان. راجع:المسعودي،مروج الذهب،ص٣٤٠.

خاتمة

لا أحد يشك أن الإسماعيلية هم جماعة مسلمة. (١٣٩). رغم تهمة الإلحاد والمرطقة التي وجهت لهذه الجماعة.والباحث في هذا الفكر (= الإسماعيلي) يجد أنه فكر إسلامي شيعي ، والإسماعيلية تؤمن بكل التراث الإسلامي من حيث: الشهادة ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج . بل يجد الباحث مغالاة الاسماعيلية في حب الأئمة من آل البيت (علي ، الحسن ، الحسين) .لكن يجب أن لا يفهم أن المغالاة تعني العبادة.

وبذلك تكون الإسماعيلية تتمسك بكل ما جاء به الإسلام ، ونبيه محمد (= الناطق) الذي لولاه لما عرف الناس الدين والعبادات . (١٤٠) وما سورة التين الواردة في القرآن (والتين والزيتون ، وطور سنين، وهذا البلد الأمين ، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) فنجد تفسيرها على الشكل التالي: التين والزيتون (= الحسن والحسين) . وطور سنين (= النبي محمد). والبلد الامين (= الامام علي) .(١٤١)

ونجد : (والفجر وليال عشر والشفع والوتر) تأخذ التفسير التالي: الفجر (=النبي محمد)، ليال عشر (= الامام علي) ، الشفع والوتر (= الحسن والحسين). (١٤٢)

ونجد في تفسير سورة الأنبياء ، آية ١٠٥ (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) ، فالزبور (= الإمام) ، والأرض (= الحجة) ، وعبادي الصالحون (= الدعاة). والإسماعيلية إذ تجمع بين الإمامة والنبوة فمرجعيتها بذلك الحديث النبوي القائل : (أنا وعلي من نور واحد). (١٤٣) وبالرغم من ذلك الحب

١٣٩-عددالإسماعيلية في العالم ١٥مليون انسان.
راجع الأمام:كريم شاه الحسيني،حول الإمامة ودورها،خطاب تاريخ١٩٨٣/١/١٩،ص٢.
١٤٠-راجع:الكرماني،راحة العقل،ص٤٣٧.
١٤١-راجع:جعفر بن منصور اليمن،كتاب الكشف،ص٤١.
١٤٢-نفس المصدر،ص٦٦.
١٤٣-ربما تشترك الجماعة الإسماعيلية مع جماعات إسلامية أخرى،وبموجب هذه الرؤيا يتم الربط العضوي بين النبوة والإمامة.

الكبير للنبي وآل بيته فقد اتهمت الإسماعيلية بالإلحاد حيث يكتب البغدادي: (وظهرت دعوة باطنية أيام المأمون من حمدان قرمط ومن عبد الله ابن ميمون القّداح ، وليست الباطنية من فرق ملة الإسلام ، بل هي من فرق المجوس على ما نبينه بعد هذا .....)(١٤٤)

وهذا التيار الذي وصف الإسماعيلية بالإلحاد ، يقع في التناقض عندما يصف حمدان قرمط بقوله : (هذا الرجل كان من أهل الكوفة وكان يميل الى الزهد فصادفه أحد دعاة الباطنية في طريق هو متوجه إلى قرية وبين يديه بقرة يسوقها..) (١٤٥)

وهذا حسن الصباح الداعي الإسماعيلي بنضاله ضد المستعمر ،نجده يقدم على إعدام أحد أولاده ، عندما بلغه أنه يشرب الخمر سراً. (١٤٦)

إذن ، التهم العديدة كانت موجهة للإسماعيلية من إباحة نكاح المحرمات من البنات والأخوة واباحة شرب الخمر ، مع أنها عارية من الصحة ، وهي محاولة لتشويه حقيقة الإنسان الإسماعيلي عبر التاريخ ، مع أن التاريخ يشهد أن قادة الإسماعيلية لم يكن بحياتهم الا زوجة واحدة، وبذلك يمكن القول : ان السلطوية العباسية قد لصقت مشاكلها الشاذة في هذه الجماعة بهدف القضاء عليها.

واخيرا أقول: إن الإسماعيلية هي تأليف ديني محورها الأساسي الفكر الإسلامي الشيعي، والاسماعيلية اذ فعلت ذلك ، فإنما بهدف ايجاد الإتحاد والتوفيق بين الناس (=ايجاد ديانة جديدة تجمع كافة الأديان) ، ولو أخذنا نصا إسماعيليا نجد فيه كما ورد على لسان أحد الدعاة : (بسم الله الرحمن الرحيم: يقول الفرج بن عثمان أنه داعية المسيح، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ، وأن المسيح تصور في جسم إنسان ، وقال إنك الداعية ، وإنك الحجة ، وإنك الناقة ، وانك الدبه ، وإنك يحيى بن زكريا ، وانك القدس ، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات: ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، أن الأذان في كل صلاة أن يقول المؤذن : الله أكبر ، ثلاث مرات . اشهد أن لا إله إلا الله مرتين . أشهد

١٤٤-ابن الجوزي،تلبيس ابليس،مكتبة المتنبي،القاهرة،بدون تاريخ،ص١٠٢.
راجع:البغدادي،الفرق بين الفرق،ص٢٢.
١٤٥-راجع:ابن الجوزي،تلبيس،ص١٠٤.
١٤٦-راجع:ميشيل لباد،الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف،ص٢٩.

أن آدم رسول الله . أشهد أن نوحا رسول الله . اشهد أن ابراهيم رسول الله . اشهد أن موسى رسول الله . أشهد أن عيسى رسول الله . أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله . (١٤٧)

اذن ، النص يفصح عن الأمور التالية:

– قبول كل الديانات السماوية .

– التوافق مع المسيحية ، والشيعة في ظهور الإمام.

– مقارنة النص مع تاريخ الإسماعيلية يبرز لنا قضية ما زال الفكر الإسماعيلي يؤمن بها وهي ضرورة الحوار والإخاء بين البشر جميعاً ، وربما تكون المرحلة المعاصرة من أكثر المراحل حاجة للحوار والإخاء بين البشر ، وبذلك يتوضح الوجه الإنساني والحضاري للإسماعيلية منذ القديم وحتى اليوم.

١٤٧–راجع:حسن بزون،القرامطة بين الدين والثورة،ص١٧١.

الفصل الرابع

صورة الإمام
عند الشيعة الاثني عشرية / أئمة الظاهر
في الفكر الإسماعيلي

ـ مقدمة.

ـ الواقع الاجتماعي لجماعة الشيعة ومفرزاته.

ـ أئمة الشيعة عند الاثني عشرية.

ـ خصوصية الإمام عند الشيعة الاثني عشرية.

ـ خاتمة.

مقدمة

الإمامة مكانة مميزة عند الشيعة إجمالاً ، وربما مكانتها تفوق مكانة الخلافة ، لاسيما اذا علمنا أن الخلافة ينظر إليها بالمنظار الشيعي على أنها سياسة دنيوية ، بينما الإمامة أمر ديني ، وقد يكون السبب الأساسي بهذه الرؤية ، واقع الإخفاق السياسي في وصول الإمام علي بن أبي طالب للخلافة مما جعل الإمامة تمثل البديل الأكثر أهمية وقوة وعظمة من الخلافة. والإمامة عند الشيعة على حد رأي بعض معاصرينا هي: (= زمام الدين ، ونظام المسلمين وصلاح الدنيا ، وعز المؤمنين ، وأس الإسلام النامي ، وفرعه السامي ، وأنها تمام الصلاة ، والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وتوفير الفيء ، والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف (١) عبر هذا السياق صورة الإمام هي على غاية الأهمية للجماعة الشيعية ، فهو أفضل خلق الله وهو وصي نبيه ورسوله ، في إمامة الرسالة والأمة من بعد نبيه ، ومن لم يعرف إمامه ، فقد مات ميتة جاهلية ، وبذلك تصبح صورة الإمام صورة أساسية يتمحور حولها الدين. وربما يكون تمسك بعض الفرق الإسلامية الشديد بالإمامة ، جعل بعض الباحثين في تاريخ الفرق يطلقون عليهم اسم الإمامية وربما ذهبت بعض الجماعات للمغالات في حب الإمام وتعظيمه لدرجة ظّن بعض أتباعهم أن الإمام يمثل الإله.(٢)

إلا أن الباحث في التاريخ قد يسأل أو يتساءل عن مدى صحة صورة الإمام هذه لدى الجماعة الشيعية وأنه لو كان الإمام بهذه المكانة في عقلية جماعته ، فلماذا تفرقت شيعة الإمام علي بن أبي طالب من حوله في صفين؟ ولماذا خذّل شيعة الامام الحسين إمامهم في كربلاء؟

---

١ –راجع:عارف تامر،دائرة المعارف،ص٣١٦/١٣.

٢ –برزت مثل هذه المواقف بصورة أساسية عندالسبيئةمن ناحية،والخطابية من ناحية ثانية.

راجع.الشهر ستاني،الملل والنحل،ص١٧٤،١٧٩/١.

إذن ، صورة الفكر شيء أخر ، وربما تكون مسوغات الواقع هي وحدها القادرة في الإفصاح عن الاجابة الصحيحة . وهذا بدوره ما يدفع الباحث لمعرفة الجذور اللغوية لكلمة إمام ، حيث نجد: أن العودة إلى قاموس اللغة العربية ، والوقوف على المعنى اللغوي، نجدها تعود إلى الفعل (أم) – إمامة ، وأما القوم وبالقوم: تقدمهم وكان لهم إماما . ائتم به: اقتدى . استأمّه : اتخذه إماما.

والإمام للمذكر والمؤنث (ج) أيمة وأئمة . من يؤتم به أي يقتدى به ((ما يمثل عليه المثال)) الطريق الواضح ((الخيط يمّد على البناء ليبني مستقيما)). والإمامة: الرئاسة العامة. (٣)

إذن ، الإمام من الناحية اللغوية يفيد العديد من المعاني ، لا سيما بعد أن كثر استعمالها، فالإمام هو كل ما ائتم به القوم ، كانوا على الصراط المستقيم ، أو كانوا ضالين. والإمام هو المثال بقول النابغة:

أبوه قبله وأبو أبيه بنو مجد الحياة على إمام

والإمام: الطريق وجعل الطريق إماماً لأنه يؤم ويتبع.

وإمام القوم هو المتقدم لهم، ويكون الإمام رئيسا: كقولنا إمام المسلمين.(٤) وقضية الإمامة كما يراها بعض المجتهدين في الفكر الديني إنما جاءت بعد أن انتهى عهد النبوة وقد ظلت مرحلة طويلة تعيش مع النبوة ، وربما يمتد بها الزمن إلى عهد نوح ، لكن إنقطاع النبوة ، وحاجة الناس لمن يتولى أمورهم الدينية والدنيوية طرح قضية الإمامة.(٥)

وتكاد تكون قضية الإمامة من القضايا التي تخص الشيعة بشكل عام ، بل ربما شملت غيرهم ، مع أن الإمامة عند الشيعة هي : (ركن الدين ، وقاعدة الإسلام ، ولا يجوز لنبي إغفاله أو تفويضه إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوما من الكبائر والصغائر) .(٦)

٣–راجع:معجم المورد،ط١٩٨٦،ص١٧.

٤–راجع:أحمد محمودصبحي،نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية،ص٢١.

٥–راجع:الإمام محمدباقر الصدر،المدرسة القرآنية،دار التعارف،بيروت،ط٢ ١٩٨١، ص١٩٦.

٦–راجع:ابن خلدون،المقدمة ،دارالقلم،بيروت،ط١٩٧٨،ص١٩٦.

وأن عليا قد عينه النبي ، ونص عليه ، والقرآن يؤكد ذلك ٪ (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وبذلك ينتج.

– الشيعة الاثنا عشرية: تقول في إمامة أولاد علي من فاطمة بالوصية. (٧)

– الزيدية: تقول في امامة أولاد علي من فاطمة شريطة أن يكون عالما زاهداً ، جوادا ، شجاعا ، يخرج داعيا إلى إمامته ، وهي من اختيار أهل الحل والعقد لا بالنص.(٨)

– – الكيسانية: جعلت الامامة في محمد بن الحنفية ثم إلى ولده.

– الباطنية: قالوا في إلوهية الأئمة ، وأن الإله حل في ذاته البشرية، وهو قول بالحلول. (٩)

– العباسيون قالوا: ان أبا هاشم لما مات بأرض السراه منصرفا من الشام أوصى إلى محمد بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم المعروف بالإمام ، وأوصى لبراهيم إلى أخيه عبد الله بن الحارثة الملقب بالسفّاح ، وأوصى هو إلى أخيه عبد الله أبي جعفر الملقب بالمنصور ، وانتقلت إلى ولده بالنص والعهد واحدا بعد واحد الى آخرهم. (١٠) ، . وقد أطلق على أصحاب هذاالمذهب الهاشمية،وكان منهم (أبو مسلم ، وسليمان بن كثير ، وأبو سلمة الخلال وغيرهم، من شيعة العباسية،وربما عادوا بذلك النسب إلى العباس لأنه كان حيا وقت الوفاة(=النبي)وهو أولى بالوراثة وفق عصبية العمومية.

إذن بحث الإمامة من البحوث الهامة في عملنا هذا ، لا سيما وإذا أخذنا في الإعتبار أن أئمة الشيعة عند الاثنى عشرية هم أئمة عند الجماعة الإسماعيلية ، وهم يمثلون أئمة الظاهر في مرحلة الستر يضاف لذلك بقاء الإسماعيلية والاثنى عشرية في فصيل واحد حتى تاريخ الانشقاق ، وأن الإمام جعفر الصادق هو مرجعية الأصل في التراث الشيعي الإسماعيلي والاثنى عشرية.

عبر هذا السياق تأتي أهمية بحثنا هذا ، وعبر المحاور التالية:

٧–نفس المصدر،ص١٩٧.

٨–نفس المصدر،ص١٩٨.

٩–إذا كان هذا الكلام ينطبق علىالسبيئةوالخاطبية فأن مثل هذا الرأي لاينطبق علىالإسماعيلية.

١٠–راجع:ابن خلدون،المقدمة،ص٢٠٠.

- الواقع الاجتماعي لجماعة الشيعة ومفرزاته.
- أئمة الشيعة عند الاثنى عشرية.
- خصوصية الإمام عند الشيعة الاثنى عشرية.

أولاً: الواقع الاجتماعي لجماعة الشيعة ومفرزاته.

قراءة تاريخ الحركة الشيعية عبر التاريخ ، يجعل الباحث يقف على تاريخ القمع والإرهاب في التاريخ العربي عموما ، نظرا لما عانته هذه الحركة من قسوة ، وعنف ، وارهاب في حياتها حيث نجد:

- في العصر الراشدي . لاسيما عصر الخليفة الراشدي الثالث (= عثمان بن عفان) عاش أنصار الإمام علي من الشيعة في واقع اقتصادي واجتماعي ، يحمل كل مداليل الشؤم. (١١)

- في العهد الأموي: عاش الشيعة كل أنواع القهر ، والقمع ، والعنف ، والإرهاب، فقد قطعت الأيدي والأرجل على الظنة ، ومن عرف أنه يحب آل بيت النبي يسجن أو ينهب ، أو تهدم داره حتى جاء زمن الحجاج فقتلهم أي قتله (حتى أن كلمة زنديق أو كافر كانت أحب اليه من كلمة شيعي (١٢)

- في العصر العباسي: عاشوا حياة بؤس واضطهاد ، ولم يفارقهم الاضطهاد هذا حتى في زمن الشخصيات العباسية التي وصفت بالعدالة والمساواة العلمانية=المأمون).(١٣) وراح أئمتهم بالكامل ضحايا الموت ، عبر قنوات الموت العديدة، السم ، السجن .اذن، تاريخ الحركة الشيعية ، كما عاشته وعانته ، هو تعبير عن واقع حركة ذاقت القمع ، والاضطهاد والإرهاب.(١٤)وبذلك يمكن للباحث في التراث الفكري العربسلامي أن يتلمس حقيقة هي على غاية الأهمية ، بل يمكن تلخيص هذه النتائج التي وصل اليها آل بيت النبي ،

١١-أخص بهذا السياق حياةالصحابي المعروف بأبي ذرالغفاري وغيره.
راجع:محمدعلي أسير،هل قرأت أبا؟دار الأصالة،بيروت،ط١٩٨١

١٢-راجع:ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة،دارالإرشادالحديثة،بدون تاريخ،ص١٥/٣.

١٣-المقصودهنا شخصيةالإمام السابع علي رضاالذي مات مسموماني سجن المأمون عام٢٠٢ هـ.

١٤-راجع:عبدالحليم الرهيمي،تاريخ الحركةالإسلاميةفي العراق،دارالينبوع،بيروت،ط ١٩٨٨،ص٨٧.

من حيث صورتها للمأساوية ، انما هي تعبير عن واقع المثقف العربي ،الذي عاش ويعيش الإرهاب السلطوي منذ القديم وحتى اليوم ، وتبرز هذه الصورة المأساوية من خلال:

- موت الإمام علي عام ٤٠ هـ مقتولاً.
- موت الإمام الحسن عام ٤٩ هـ مسموماً.
- موت الإمام الحسين عام ٦١ هـ على يد السلطوية الحاكمة ، مما جعله يسجل دوراً ريادياً في موت رجل المبدأ من أجل المبدأ ، وبذلك يكون موت الحسين كما يذكر بعض الباحثين: هو السبب الاساسي في رفض أهل السنة للبيت الأموي . (١٥) وفي استشهاد الحسين كانت الطلقة الاخيرة في موت اليسار الربسلامي الطامح للعدالة آنذاك.(١٦) بل أن استشهاده طرح قضية ظهور العديد من الثورات للأخذ بالثأر حتى انتهت في القضاء على الدولة الاموية. (١٧)
- موت الإمام محمد الباقر عام ١١٤ هـ مسموماً.
- موت الإمام جعفر الصادق عام ١٤٨ هـ مسموماً بالعنب .
- موت الإمام موسى الكاظم عام ١٨٣ هـ في سجن هارون الرشيد.
- موت الإمام علي الرضا عام ٢٠٢ هـ مسموماً في سجن المأمون.
- موت الإمام محمد الجواد عام ٢٢٠ هـ مسموما.
- موت الإمام علي الهادي عام ٢٥٤ مسموماً.
- موت الإمام حسن العسكري عام ٢٦٠ هـ مسموما في السجن. (١٨)

اذن ، مأساة آل بيت النبي تفصح عن حقيقة هامة وأساسية وهي: عنف السلطوية العربسلامية عبر التاريخ نحو المثقف العربي ، وموت المثقف المبدئي عبر قنوات الموت السلطوية العديدة منذ القديم وحتى اليوم سواء بالسم أو بالنفي ، أو السجن حتى الموت وهكذا .تكون السمة الأساسية للحركة الشيعية هي أنها تعبير عن واقع الطبقات

---

١٥ –راجع:أحمدمحمودصبحي،نظريةالأمانة لدىالشيعةالاثنى عشرية،ص٣٤٨.

١٦ –راجع:أحمدعباس الصالح،اليمين واليسارفي الإسلام،المؤسسةالعربية للدراسات والنشر،بيروت،ط ١٩٧٣،ص١٢٥.

١٧ –راجع:حسني الخربوطلي،١٠ ثورات في الإسلام،ص١٠٧.

١٨ –راجع:عارف تامر،الإمامةفي الإسلام،دارالكتاب العربي ،بيروت،بدون تاريخ، ص١١٣،١١٨،١٢٤،١٢٥.

الاجتماعية الفقيرة والمضطهدة خلال العصرين الأموي والعباسي. (١٩) وهذا ما جعل فكرها يعكس واقعها الاجتماعي والسياسي ، مما طرح قضية التقية ، والتي تتمثل في اخفاء الإنسان لمذهبه الديني ، لاسيما إذا أخذنا في اعتبارنا أن كل مذهب لا يمثل المذهب الرسمي للدولة الحاكمة آنذاك فهو في موقع المضطهد . وربما تكونت التجربة الاجتماعية والتاريخية لهؤلاء الناس من خلال اضطهادهم مما دفع للتقية (= اخفاءمذهبهم) لأنه لو لم يكن هناك اضطهاد وعنف وإرهاب فلا مبرر للتقية. (٢٠)

وقد ساهم أئمة الشيعة في تكريس التقية لدى الشيعة عموماً ، لا سيما اذا أخذنا في اعتبارنا أن أئمة الشيعة قد عاشوا حياة كلهم ظلم واضطهاد ، ولم يعرفوا الراحة ، فمنهم من مات مسموماً ، ومنهم من مات مقتولاً ، ومنهم من مات مسجوناً ، كما يتضح من خلال مراجعة سيرتهم الذاتية الأنفة الذكر .

من هنا كان تأكيد الإمام الصادق ، وبصورة مستمرة على القول بالتقية : (التقية ديني ودين آبائي).

إذن ، مع استمرار الظلم خلال العصرين الأموي والعباسي ، تكرست قضية التقية لدى المعارضة الدينية (= السياسية).

والتقية في قاموس اللغة العربية من الفعل وقى،(٢١) وبذلك تفيد التقية أن يحافظ المرء على عرضه أو نفسه ، أو ماله ، مخافة عدوه ، مما جعله يظهر عكس ما يضمر ، وبذلك تكون التقية هي كتمان وتظاهر بعكس الباطن ، وربما ذهب بعضهم في التقية إلى مسافات أبعد ، مما أنتج ما يطلق عليه في التاريخ والتراث اسم ((الحركات الباطنية)).

وبموجب نظام التقية يجب إظهار الطاعة للحاكم ريثما تتيح الظروف ، وعندئذ تصبح الثورة هي البديل ويتم الإنتقال بسرعة إلى العلانية ، مما يجعل الباحث يجد نفسه وجهالوجه أمام تنظيمات هي على غاية الدقة يتم فيها الإنتقال من مرحلة إلى أخرى.

وربما تعتبر بعض الفرق الشيعية أن بقاء أهل الكهف في كهفهم هذه المدة الطويلة

١٩-راجع:طريف الخالدي،دراسات في تاريخ الفكرالعربي الإسلامي،ص٢٨.

٢٠-راجع:أحمدأمين،فجرالإسلام،دارالكتاب،بيروت،ط١١ ١٩٧٩،ص٢٧٤.

٢١-راجع:المعجم الوسيط،أمواج للطباعة والنشر،بيروت،ط٢ ١٩٨٧،ص٥٢.

انما هو نوع من التقية ، بذلك تكون الحركة الشيعية قد أوجدت المبرر المذهبي لذلك عبر النص القرآني. وربما ساقوا المواقف التاريخية من حياة الأئمة لتأكيد نظريتهم هذه ، ولهذا نجدهم يعتبرون سكوت الإمام علي على الخلافة في عهد أبي بكر هو نوع من التقية ، وإن مبايعة الإمام الحسن لمعاوية هي نوع من التقية أيضا

وحتى تستمر هذه الجماعات كما يرى بعض الباحثين ، راحت تطرح قضية الظاهر والباطن في القرآن، وما حقيقة ذلك إلا بهدف تبرير مواقفهم. (٢٢)

وهكذا يجد الباحث أن هذا التاريخ (= التاريخ العربي) انما يفصح عن الكثير، وإن الوصول لحقيقة هذه الحركات لا يتم إلا بعد مراجعة تاريخها الفكري (= تراثها) وهذا بدوره ما جعل العديد من الباحثين ، لا سيما أولئك الذين درسوا هذه الحركات عبر المرجعية السلطوية ، قد ساقوا الخطأ في أحكامهم ، مما دفعنا كمعاصرين ، ومن موقف الحياد العلمي والموضوعي للعودة لهذه النصوص، والإطلاع عليها ثم إخضاعها للدرس والنقد ، وعندئذ سوف نتوصل لنتائج هي على غاية الأهمية، ونكشف عن حقيقة الماضي والحاضر، وأين موقع التقيةحتىيومنا؟

والباحث في الواقع العربي المعاصر يجد أن مفهوم التقية قد توسع ، لا سيما إذا أخذنا في إعتبارنا أن ظهور الطائفية ، والتي راحت ترتدي ثوب الدين ، بهدف تحقيق برامجها السياسية في العديد من الاقطار العربيه. (٢٣) ومع زيادة الإستبداد السياسي في واقعنا المعاصر ، أصبحنا نشهد تقية سياسية ، لاسيما إذا أخذنا في اعتبارنا أن قضية الديمقراطية السياسية ، وحق الأخرين في تكوين الأحزاب أو التعبير عن آرائهم السياسية زال محظورا ، إذا تعارض مع رأي السلطة والسلطان . (٢٤)

إلا أنه ورغم العنف والإرهاب فأن الأمل ما زال يعيش مع الإنسان الشيعي منذ القدمحتى اليوم وربما قضية الأمل في الخلاص تدفع الباحث للوقوف أمام قضية

---

٢٢ – المصدر السابق،ص٣/٢٤٨.

٢٣ – راجع:مجلةالطريق اللبنانية،العدد٣،بعنوان:(في الطائفية)،لعام١٩٨٥.
أيضا:مجلة الوحدة،العدد٢٠ بعنوان:(الطائفية:المشكلةوالإفان)،لعام١٩٨٦.

٢٤ – راجع:ندوة:(النظم العربيةوالديمقراطية)،المجلس القومي للثقافة العربية،الرباط١٩٨٦
أيضا:ندوة:(أزمة الديمقراطية في الوطن العربي)،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ١٩٨٤.

المهدي في هذا الفكر. وقضية المهدي كما يبدو ليست خاصة بالشيعة الامامية (= الاثنى عشرية) وانما نجد لها صورة مشابهة في ديانات عالمية كبرى سبقت الاسلام كاليهودية والمسيحية، وقد راحت أقلام بعض الباحثين تذهب في تأويل هذه القضية مذاهب عدة ، لكن ربما كانت معظمها قد ذهب للنظر بهذه القضية من منظار تداعي الواقع ، مع استمرار أمل الشعوب بإمكانية الخلاص ، هذا الواقع المتداعي ، يجعل صورة المهدي تمثل صورة الأمل والمستقبل .(٢٥)

وربماذهب بعضهمالأخر من القدماء والمعاصرين في رؤيتهم لهذه الظاهرة وراء صورة وصفية تحمل إثارة مشاعر أصحابها دون الدخول في عمق هذه القضية حيثنجد:

– إبن خلدون في مقدمته يقول : (وهم إلى الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك يقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا مركبا فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرجئون الأمر إلى الليلة الآتية وهم على ذلك لهذا العهد).(٢٦)

– ويكرر محمد عابد الجابري على إسماعنا ما قاله ابن خلدون ، دون أن يكلف نفسه عناء البحث للخروج برؤية ميدانية عن هذه الظاهرة حيث يعلن : (من أجل هذا تذهب أفواج من الشيعة الاثنا عشرية ((كل ليلة إلى السرداب في مسجد سامرا ، وقد أعدوا مركبا وعليهم السلاح فيقرونه السلام ويدعونه للخروج قائلين : بسم الله ، ياصاحب الزمان إخرج ، فقد ظهر الفساد وكبر الظلم وقد آن آوان خروجك ويسلمون عليه منادين إياه : خليفة الله ووصي الأوصياء الماضين وبغية الله من الصفوة المنتخبين ، وباب الله الذي لا يؤتى إلا منه ونور الله الذي لا يطفا). (٢٧)

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: ما موقف الشيعة الإمامية من هذه النصوص؟ وما رأي الشيعة الإمامية في المهدي؟ وما هي تصوراتها الفكرية؟

والإجابة على هذه الأسئلة تدفع الباحث للعودة إلى الفكر الشيعي ، بل وتحديداً إلى

٢٥–راجع:محمدعابدالجابري، العقل السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١٩٩٠،ص١٨٧.

٢٦–راجع:ابن خلدون،المقدمة،ص١٩٩.

٢٧–راجع:محمدعابدالجابري،بنية العقل العربي،ص٣٣٨.

فكر الشيعة الإثنى عشرية لمعرفة الخطاب الديني حول هذه القضية ، ثم الوقوف أمام التصورات التالية:

١ – قصة المهدي قصة حقيقية ، وهي تعبير عن الأمل في الخلاص من الظلم الاجتماعي والسياسي وأنه (= المهدي) سيملأ الأرض عدلاً بعد أن غرقت فساداً ، وهو يعيش مع الناس ، ويشاركهم افراحهم وأحزانهم. (٢٨)

٢ – هذا العمر المديد لـ (المهدي) له ما يبرره دينياً حيث: نوح عاش ٩٥٠ سنة وهذا ما يخالف عمر الإنسان العادي.

– ابراهيم لم تحرقه النار ، وموسى يفلق البحر ، وهذا ما يخالف قوانين الطبيعة التي يراها الإنسان.

– أهل الكهف ناموا حوالي ٣٠٠ سنة في كهفهم ، وهذا ما يخالف واقع الانسان العادي.

إذن هناك العديد من الأدلة الدينية التي يعتمدها الفكر الشيعي ، وهي قد وردت في القرآن والذي يمثل كتاباً مرجعياً أصولياً لكل مسلم ، ورفضه يعني رفض الدين . وبذلك تكون قضية المهدي إذا ما قورنت مع هذه القضايا ، إنما هي قضية صادقة دينياً ولا مجال للطعن بها .(٢٩)

فالشيعة الاثنا عشرية تنظر لغيبة المهدي على أنه حاجة ماسة نظراً لما تعرض له آل بيت النبي من عذاب واضطهاد و وهذه الغيبة تقسم الى قسمين:

١ – غيبة صغرى ومدتها ٧٠ سنة ، ومثلت المقدمة الطبيعية والفكرية لظهور المجتهد ، وقد ناب عن الإمام خلال هذه المدة اربعة اشخاص وهم. (٣٠)

– عثمان بن سعيد العمري.

– محمد بن عثمان بن سعيد العمري.

– أبو القاسم بن روح .

– ابو الحسن علي بن محمد المري.

٢٨–راجع الإمام:محمدباقرالصدر،بحث حول المهدي،مطبعةأفست العياء،بغداد،عام ١٩٧٨،ص١٨.

٢٩–المصدر السابق،ص٣٨،٤٢،٥٤.

٣٠–نفس المصدر،ص٣٧.

٢ – الغيبة الكبرى: وهي تبدأ بعد التاريخ الأنف الذكر أي حتولي ٣٣٠ هـ ، ومازالت مستمرة حتى يومنا هذا ، وسوف تستمر حتى يعم الفساد، ويقف المجتمع الإنساني أمام اجهاض حضاري حقيقي ، عندئذ سوف يظهر المهدي . (٣١)

ثانياً: أئمة الشيعة عند الاثنى عشرية:

تجمع كتب الشيعة إجمالاً على أحقية الإمام علي بن أبي طالب ، في تولي شؤون المسلمين بعد النبي، ودليلهم على ذلك نص الحديث المعروف بـ ((حديث الغدير)) حيث نطق به النبي أثناء عودته من مكةإلى المدينة بعد حجة الوداع الأخيرة، فكان المكان في الطريق يدعى ((غدير خم)) وكان برفقة النبي جمع من الصحابة ، فقام فيهم خطيباً ، وقال في جملة ما قال: (ألست أولى منكم بأنفسكم؟ فأجابوا: اللهم نعم. وحينئذ أخذبيدعلي، ثم قال :

اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من إلاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، وأخذل من خذله ، فقام الصحابة يهنئون عليا ، وبينهم عمر بن الخطاب . وقال له عمر نفسه : ((بخ بخ لك يا علي ، فقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)).(٣٢)

إذن ، قد يتساءل بعضهم لماذا اختلاف المسلمين في السقيفة اذا كان النص واضحاً؟ هنا لابد من الإشارة إلى قضية تفسير هذا الحديث ، مع الإقرار بوجود اختلاف بين السنة والشيعة، رغم اجماعها على صحته، ولهذا نجد الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، ومن خلال فهمهم لهذا الحديث ، يضعون الشروط التالية للإمام. (٣٣)

– الإمام يجب أن يكون معصوماً عن الخطأ ، حتى يحافظ على الرسالة النبوية ، وهذا الأمر لم يتوفر عند موت النبي إلا في شخص الإمام علي ، مما يوجب أن يكون إماماً .

٣١–المصدر السابق،ص٩٨.

٣٢–راجع:حسين مروة،النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية،ص٩٧ ٤/١.
أيضا:الإمام عبدالحسين شرف الدين الموسوي،مؤسسة الأعلى،بيروت،بدون تاريخ،ص ١٨٥،٤٢.

٣٣–راجع:حسين مروة،النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية،ص٩٦ ٤/١

– الإمام يجب ألا يكون قد ارتكب المعاصي ، كعبادة الأصنام وغيرها ، وهذا لا يتوفر إلا بشخص الإمام علي فقد ولد في الكعبة ، ولم يسجد لصنم قط.

– الإمام يجب أن يكون أفضل علما من غيره في زمانه ، وهذا ما عرفته الناس بشخص الامام علي مما يوجب جعل الإمامة فيه.

لكن الشرط الأهم على ما يبدوا يتمثل بأن منصب الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية ، انما هو حق إلهي. (٣٤). لأن الحكومة الإسلامية ليست جمهورية ، ولا ملكية، وإنما هي تنفيذ لتعليمات الله على الأرض.

ثم يأتي الموقف المعرفي لـ (آل بيت النبي) بالفكر الديني الإسلامي ، والذي لايشك فيه الباحثون وتبرز مصداقية الموقف العربي هذا من خلال:

– الإمام علي يتولى القضاء والافتاء بعد النبي حتى تسلمه الخلافة. (٣٥)

– فاطمة الزهراء لها مصحف معروف ، وكذلك سكينة بنت الحسين ت ١١٧هـ المعروفة بمعرفتها ونقلها للحديث. (٣٦)

– الإمام علي زين العابدين مشهود له بسجاله الفكري مع يزيد.

– الإمام محمد الباقر ، فهو إمام متبحر في العلم ، ومن هنا جاءت تسميته بالباقر.

– الإمام جعفر الصادق واضع فقه الفكر الشيعي بأكمله على حد إجماع الباحثين. (٣٧)وربما تذهب بعض الآراء على أنه إمام أئمة المذاهب الأخرى ، فهو أستاذ لـ (أبي حنيفة ١٥٠هـ)

٣٤–راجع:حسين مروة،نفس المصدر،ص١/٥٠٣.
أيضا:الشيخ محمدآل ياسين،مفاهيم إسلامية،مكتبة الحياة،بيروت،ط١٩٧٢،ص١٤٩،١٩٠
٣٥–راجع:عبدالحكيم الجندي،الإمام جعفرالصادق،ص٢٤.
٣٦–راجع:ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ص٦/٢٧٦.
أيضا:الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ص٣/٤٣٥.
٣٧–راجع:محمدعابد الجابري بنية العقل العربي،ص٣٢٦.
أيضا:عبدالحكيم الجندي،الإمام جعفر الصادق،ص٣.

ومالك ت ١٧٩ هـ ، والشافعي ت ٢٠٤ هـ ، ثم ابن حنبل ت (٢٤١ هـ)
وبذلك يكون الإمام الصادق أول من عرف الفقه ، وعلمه للأخرين. (٣٨)

وهذه المعرفة التي توفرت للامام تعود إلى اعتبارين أساسيين هما:

١ – الامام جعفر من بيت علم (= آل بيت النبي).

٢ – تدوين آل البيت للقرآن والحديث منذ أيام الإمام علي .(٣٩)

مما يجعل الشيعة أول فرقة إسلامية عملت بالتدوين ، وهذا بدوره ما يخالف طروحات بعض الباحثين المعاصرين بقولهم: إن عصر التدوين هو عام ١٤٢ هـ (٤٠) وهذا بدوره ما جعل من الإمام جعفر الصادق مدرسة دينية وفكرية ريادية في عصرها، حيث روي عنه ٤٠٠٠ من الرواة ، وكتب عنه ٤٠٠٠ من الكتاب (٤١)

ورغم الإهتمام الديني نجد الإمام الصادق شديد الاهتمام بالعلوم التجريبية ، لا سيما اذا علمنا أن جابر بن حيان كان من تلاميذه المخلصين

. والإمام جعفر الصادق، كما تروي المصادر غير الشيعية: (هو ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام في الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثم دخل العراق ، وأقام بها مدة ، ما تعرض للإمامة قط ، ولا نازع أحداً في الخلافة ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ، ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط...)(٤٢)
وهكذا يبدو للدارس في نص الشهرستاني المأخذ التالي:

– الإمام الصادق رجل علم ، وفكر ، وفقه . إذن ، عمله الفكري أبعده عن السياسة.

لم يطرح الإمام الصادق قضية السلطة أو يفكر بها، وهنا يقع النص في مخالفة النصوص الشيعية إجمالاً قديمها وحديثها، ومرد ذلك .

٣٨–مثل هذا الرأي يذهب إليه بعض الباحثين المعاصرين.

٣٩–المصدر السابق،ص١٨٥، ٢٠٤.

٤٠–راجع:محمدعابد الجابري،تكوين العقل العربي،ص٦٣.

٤١–راجع:عبدالحكيم الجندي،الإمام جعفرالصادق،ص١٥٦.

٤٢–راجع:أحمدأمين،ضحى الإسلام،دارالكتاب العربي،بيروت،ط ١٠،ص٢٦٢/٣.

– الإمام علي كان يطمح للوصول إلى السلطة السياسية ، وهذا ما جعله يعلن بقوله : (ولقد تقمصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى) . (٤٣)

إذن ، الإمام علي كان يحترق لخروج الخلافة من يده ، لا سيما أن الشيعة اجمالاً لا تفصل بين السلطات السياسية والدينية . وإن الإمام هو قائد الدولة وبموجب النص الإلهي.

– الإمام الخميني زعيم الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩ أكد ومارس رؤية آل بيت النبي (= أئمة الشيعة في الجمع بين الوظيفة الدينية والسياسية، وهو لا يتردد في القول : (عرفوا الولاية للناس كما هي: قولوا لهم: اننا نعتقد بالولاية ، وبأن الرسول(ص) استخلف بأمر من الله، ونعتقد كذلك بضرورة تشكيل الحكومة، ونسعى من أجل تنفيذ أمر الله وحكمه ، ومن أجل إدارة الناس وسياستهم ، ورعايتهم. النضال من أجل تشكيل الحكومة توأم الإيمان بالولاية. اكتبوا وانشروا قوانين الإسلام ولا تكتموها . وخذوا على أنفسكم تطبيق حكم إسلامي، واعتمدوا على أنفسكم وثقوا بالنصر) . (٤٤)

ولايشك أحد من الباحثين أن قضية السلطة السياسية والدينية كانت من أكبر المشكلات التي واجهت المجتمع العربسلامي بعد موت النبي ، ولن يغيب عن بال أحد من الباحثين في التاريخ العربي طبيعة السجال السياسي والديني الذي دار آنذاك سواء في السقفية أو بعدها . مع أن ما يهمنا في بحثنا هذا: هو الوقوف على موقف الإمام علي ، على اعتبار أنه أول إمام للشيعة ، ثم معرفة موقفه الفكري والسلوكي من هذه القضية ، لا سيما إذا أخذنا في إعتبارنا أن عليا ظل مدة لم يبايع أبا بكر وكان يقابل الموقف بالصمت درءاً وحقناً للدماء. (٤٥)

ويضع الإمام علي شرطين للامامة وهما:

٤٣–راجع:الإمام عبدالحسين شرف الدين الموسمي،ص٢٨٧.
أيضا:الإمام محمد باقرالصدر،المدرسة القرآنية،ص٢٥٠.
٤٤–راجع:الإمام الخميني،الحكومة الإسلامية،مؤسسةالأعلمي،بيروت،ط ١٣٨٩ ه،ص٢٠.
٤٥–راجع:محمد عوض،مجلة الثقافة الإسلامية،العدد١٨،إصدار المستشارية الثقافية الايرانية،دمشق ١٤٠٨ ه،ص١٤٩.

- أن يكون الإمام من آل بيت النبي.
- أن يصل الإمام للإمامة بالنص من النبي ، أو الإمام السابق . ودليل الإمام علي يستمده من القرآن، سورة الأنفال آية ٧٥ (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله).

إذن ، الإمام هو الوصي على كتاب الله ، وما آل البيت في رأيه إلا : (رفيهم الوصاية والوراثة)(٤٦) يضاف لذلك ، ومن حرص الإمام علي على قيادة المجتمع وحكمه هذه القيادة ، نجده يقترح شروطاً أخرى كالعلم ، والكرم ، والرحمة ، والإنصاف ، ونظافة الكف والقدرة على إحياء السنة . (٤٧)

وعندما يتسلم الحسن كما تروي المصادر الشيعية عند الاثنى عشرية ، فأنه تسلم الإمامة بوصية من أبيه ، وكان شرطه على الناس : (واني أبايعكم على أن تحاربوا من حاربت وتسالموا من سالمت). (٤٨)لاسيما أن الإمام الحسن شديد التمسك بنسبه لآل البيت بقوله : (... وأنكم لو طلبتم ما بين جابص وجابرص رجلا جده رسول الله (ص) ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين وقد علمتم أن الله تعالى هداكم بجدي محمد ، وأنقذكم به من الضلالة ورفعكم به من الجهالة ، وأعزكم به بعد الذلة وكثركم بعد القلة ، وأن معاوية نازعني على حق هو لي دونه). (٤٩)

وعندما تنازل الحسن لمعاوية يعلل تنازله بقوله : (إن الذي صرفني عنكم ثلاث ((قتلكم أبي وطعنكم إياي وإنتهابكم متاعي)). (٥٠)

وعندما تسلم الحسين الإمامة ، ورفض بيعة يزيد بن معاوية ، عبر عن ذلك بالحديث النبوي (الخلافة محرمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء وأبناء الطلقاء). (٥١)

٤٦-راجع:الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي،الراجعة،ص٤٢.
٤٧-راجع:محمد عوض،مجلة الثقافة الإسلامية،العدد١٨،ص١٣٩.
٤٨-نفس المصدر،ص١٤٢.
٤٩-نفس المصدر،ص١٠٥.
٥٠-نفس المصدر،ص١٤٣.
٥١-نفس المصدر،ص١٤٤.

يضاف لذلك قناعة الحسين بأن يزيد يمثل إنساناً فاسقاً ، وسيكون شراً على الأمة، وظل الحسين على مواقفه رغم ما آلت إليه بعض الأمور في كربلاء ، وغدر شيعته به من أهل الكوفة ، وبذلك يكون الإمام الحسين قد سجل بموقفه هذا موقف رجل المبدأ ثم تتابع قائمة الأئمة عند الشيعة الاثنى عشرية لتصل إلى إثني عشر إماما وهم منذ البداية وحتى النهاية.

- الإمام علي بن أبي طالب ت ٤٠ هـ .
- الإمام الحسن بن علي ت ٤٩ هـ .
- الإمام الحسين بن علي (سيد الشهداء) ت ٦١ هـ .
- الإمام زين العابدين ت ٩٥ هـ .
- الإمام محمد الباقر ت ١١٤ هـ .
- الإمام جعفر الصادق ت ١٤٨ هـ .
- الإمام موسى الكاظم ت ١٨٣ هـ .
- الإمام علي الرضا ت ٢٠٢ هـ .
- الإمام محمد جواد ت ٢٢٠ هـ .
- الإمام علي الهادي ت ٢٥٤ هـ .
- الإمام الحسن العسكري ت ٢٦٠ هـ .
- الإمام محمد بن حسن العسكري (= المهدي المنتظر).

وهنا لابد من الإشارة إلى المصير المأساوي لهؤلاء الأئمة جميعاً ،

فمن لم يمت قتلاً مات مسموماً ، أو مات سجيناً ، في سجون الخلفاء ، من بني العباس ، ومع نهاية أئمة الشيعة هؤلاء عند الاثنى عشرية ، تبدأ مرحلة ظهور الفقيه ، والذي يقوم بدور الإمام ما دام الإمام غائبا (٥٢)

---

٥٢ – راجع:سامي ذبيان،ايران والخميني،دارالمسيرة،بيروت،ط١٩٧٩،ص١٩١.

ثالثا:خصوصية الإمام عند الشيعة الإثنى عشرية:

الإمام عند الشيعة الإمامية ، له صلة روحية بالله ، وهو من جنس الأنبياء والرسل، وقد كتب الحسن بن العباس المعروفي إلى الرضا: جعلت فداك . أخبرني ما الفرق بين الرسول والإمام والنبي؟ فكتب أو قال: الفرق بين الرسول والنبي والإمام . أن الرسول هو الذي ينزل عليه جبريل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي ، وربما رأى في منامه نحو رؤيا ابراهيم ، والنبي بما سمع الكلام ، وربما رأى الشخص ولم يسمع ، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص . (٥٣)

إذن ، الفكر الشيعي الإمامي يميز بين الإمام ، والنبي ، والرسول ، وربما قضية المعرفة بذلك على مستوى الأخرين والاتباع لها الدور الكبير في فهم حقيقة الإمام وعمله، لأن الفكر الشيعي ينطلق بهذه القضية من التصورات التالية:

- حكمة الإله أكبر من أن تترك عباده دون هداية ، وتلك لن تتم بعد الأنبياءالابالأئمة.
- هذا الإمام هو الذي سيقيم العدل لأنه عادل.

هذا الإمام هو حجة الله على عباده ، وبذلك يكون وجود الإمام مسألةضرورية وملحة ، والإيمان بالإمام ركن من أركان الدين ، ولهذا نجد في حديث الإمام محمد الجواد إلى أبي حمزة قوله: إنما يعبد الله من يعرف الله ، فإنما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالا . قلت: جعلت فداك فما معرفة الله ، قال: تصديق الله عزوجل ، وتصديق رسوله ، وموالاة على الائتمام به بأئمة الهدى عليهم السلام ، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم هكذا يعرف الله . ومن لا يعرف الله عزوجل ويعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله.

وقال الإمام محمد الجواد: إن من أصبح من هذه الأئمة لا إمام له . أصبح ضالاً تائهاً ، وإن مات على هذه الحال مات ميته كفر ونفاق . (٥٤)

وهكذا تكون معرفة الإمام في الفكر الشيعي الإمامي مسألة على غاية الأهمية كما تبدو للباحث ، وما على الناس الا اتباع الإمام ، وبذلك يفصح الامام الرضا بقوله : (الناس عبيد لنا في الطاعة موال لنا في الدين، فليتبلغ الشاهد والغائب.) ٥٥)

٥٣–راجع:أحمدأمين،ضحىالإسلام،دارالكتاب العربي،بيروت ،ط١،ص٣/٢١٤.

٥٤–المصدرالسابق،ص٣/٣١٤.

٥٥–نفس المصدر،ص٣/٢١٥.

والأئمة هم هداة البشر ، وهم ولاة الله ، وخزانة علمه ، وبذلك يعلن الإمام محمد الجواد : (نحن خزان علم الله ، ونحن ترجمة وحي الله ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ، ومن فوق الارض).(٥٦) والإمام هو نور الله على الأرض ، وهو يدخل نفوس المؤمنين ، ويحجب الله نورهم عمن يشاء ، فتظلم قلوبهم ، ويحل بهم الضلالة. والناس يوم القيامة ، والحساب، سوف تعرض أعمالهم على الله ، والنبي ، والأئمة . وبذلك يعلن الإمام الصادق بقوله : (نحن شجرة النبوة ، وبيت الرحمة ، ومفاتيح الحكمة ، ومعدن العلم ، وموضوع الرسالة، ومختلف الملائكة ، وموضع سر الله ، ونحن وديعة الله في عباده ، ونحن حرم الله الأكبر ، ونحن ذمة الله ، ونحن عهد الله ، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله ، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده) . (٥٧)

وأئمة الشيعة كما تعتقد الشيعة لديهم علم الماضي والحاضر ، والمستقبل ، فهميملكون:

- الكتب السماوية كافة.
- الحديث النبوي.
- مصحف فاطمة.
- الجفر.

وبذلك يعلن الإمام محمد الجواد بقوله : (إن الله عزوجل علمين . علم لا يعلمه إلا هو، وعلم علمه ملائكته ورسله، فما علمه وملائكته ورسله فنحن نعلمه). (٥٨)

إذن ، الأئمة بمنزلة عالية، ولكنهم ليسوا أنبياء... والإمام لا يعرف اللهو ، واللعب، حياته كلها عمل وجد وإذا مات الإمام لا يغسله إلا إمام . (٥٩) والملائكة تدخل بيوت الأئمة ، وتطأ بسطهم، وكل شيء لم يخرج من عند الأئمة فهو باطل . والأرض كلها للإمام ، وأهل البيت هم الذين أورثهم الله الأرض ولهم نصيب من الغنائم ، والمعادنوالملاحة.(٦٠)

٥٦-نفس المصدر،ص٣/٣١٥.

٥٧-نفس المصدر،ص٣/٢١٧.

٥٨-المصدر السابق،ص٣/٢١٧.

٥٩-نفس المصدر،ص٣/٢١٩.

٦٠-راجع:الإمام محمدباقرالصدر،اقتصادنا،ص٤٨٢.

وبذلك يكون الإمام في الفكر الشيعي الإمامي ، هو كل شيء في حياة الجماعة الإمامية ، بل هو المثل والقدوة . (٦١) والإمام هو حافظ للرسالة بعد النبي مع أنه لا يوحى له. (٦٢) وهو مطلع على الرسالة لدرجة الوحدة مع النبي ، وهذا ما يؤكده الحديث النبوي: (أنا وعلي من نور واحد) وبذلك تكون مهمة الإمام حفظ الدين بعد النبي ، وتفسير القرآن لانه على علم ودراية به. (٦٣)

إذن ، الإمام يحدث بما علم وأدرك ، ومن هنا يأتي قول الإمام جعفر الصادق ت ١٤٨ هـ :(كل ما أرويه لكم فقد رويته عن أبي الباقر عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله). (٦٤)

ودرجة إطلاع الإمام على الدين تجعل منه بابا للدخول في مدينة الدين ، وفي الحديث النبوي: (انا مدينة العلم ، وعلي بابها). (٦٥)

أمام صورة الإمام هذه ، والتي وصفها لنا الإمام موسى الصدر ، تتوضح حقيقة وصورة الإمام في الفكر الشيعي الاثنى عشري، والتي ترتقي إلى درجة تقترب من النبوة. لا سيما أن الامام مطلع على الرسالة النبوية لدرجة المعرفة التامة بها، وهذا بدوره ما يجعل الإمام يطرح الإمامة بشكل عام، والتي تتلخص في:

- توضيح الأحكام.
- تفسير الايات. (٦٦)

٦١-راجع:الإمام موسى الصدرفي تقديمه لكتاب،هنري كوربان،تاريخ الفلسفة الإسلامية ص١٥.

٦٢-نفس المصدر،ص٢٤.

٦٣-نفس المصدر،ص٢٥.

٦٤-نفس المصدر،ص١٥.

٥٦-هذاالتفسيرالذي يطرحه الإمام موسى الصدرنجده ينظرللأموربمنظارمختلف عما هو عليه في الفكرالإسماعيلي لأن هذاالحديث يعني صورةموحدة للنبي والإمام في الفكر الإسماعيلي،بينماالإمام شيء والنبيّ شيء آخر في الفكر الشيعي الاثنى عشري.

٦٦-نفس المصدر السابق،ص١٩.

لاسيما أن التشريع يقوم بصورة أساسية على نظرية الإمامة ، وهذه الإمامة وراثية بـ (علي بن أبي طالب) وأولاده من بعده ، وهذه الإمامة تعتمد.

- هي وصية النبي للإمام علي عند غدير خَم كما أسلفنا.
- الإمامة خاصة بأولاد علي من فاطمة. (٦٧)

والإمام عند الشيعة الاثنى عشرية ، هو ركن من أركان الإسلام ، وللإمام صفات قدسية أودعها الله مع ما أودع من العلوم ، وهي تفوق مستوى البشر ، وإلا كيف سيكون هادياً.

وعلم الإمام عند الشيعةالاثنى عشرية معصوم من الخطأ واقتراف الذنوب والأثام، وصورته كما يرويها الكافي عن الإمام الرضا : ((الإمامة منزلة الأنبياء وارث الأوصياء ، والامامة خلافة الله ، وخلافة الرسول ، والإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين ، والإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي ، وبالإمامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتوفير الفيء ، والصدقات وامضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف ، والإمام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ويقيم الحدود ويذب عن الله ، والإمام المطهر من الذنوب والمبرأ من العيوب المخصوص بالعلم المرسوم بالحلم ، الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ، والإله مثل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب ، بل اختصاص من المتفضل الوهاب، لقد راموا صعبا وقالوا أفكا اذ تركوا أهل بيته عن بصيرة ورغبوا عن اختيار الله ورسوله إلى اختيارهم والقرآن ينادي : ((وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم)) فكيف لهم اختيار الإمام؟ عالم لا يجهل وداع لا ينكل مخصوص بدعو الرسول ، إن العبد إذ اختاره الله لأمور عباده شرح صدره وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم الهاماً فلم يع بجواب ، ولا يحيد فيه عن الصواب ، فهو معصوم قد أمن من الخطأ والزل والعار ، يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده وشاهد على خلقه ، والله أمر بطاعتهم ونهى عن معصيتهم وهم بمنزلة رسول الله الا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للأنبياء فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله)).(٦٨)

٦٧-راجع:شوقي ضيف،عصرالدولةوالإمارات،ص٢٦٧.

٦٨-راجع:أحمدمحمودصبحي،نظريةالإمامةلدى الشيعة الاثنى عشرية،ص٢٥.

أيضا:أحمدأمين،ضحى الإسلام،ص٢١٥/٣.

ويكاد يكون مفهوم العصمة من أهم المفاهيم التي يصف بها الشيعة إمامهم ، لا سيما أن العصمة في اللغة تعني المنع ، واعتصام فلان بالله إذا امتنع به ، وبذلك تكون العصمة تفيد الحفظ. (٦٩) وشروط العصمة كما يؤطرها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة تتمثل بأربعة شروط. (٧٠)

١ – أن يكون لنفس الإنسان ملكة مانعة من الفجور داعية للعفة.

٢ – العلم بمثابة المعصية ومناقب الطاعة.

٣ – تأكيد ذلك العلم بالوحي والبيان من الله.

٤ – متى صدر عنه خطأ من باب النسيان أو السهو لم يترك مهلاً بل يعاقب وينبه ويضيق عليه العذر.

والشيعة الإمامية إذ تنسب العصمة في أئمتها،فإنما ترقي بهم إلى درجة أعلى من مستوى البشر على اعتبار أن الإمام حافظ للرسالة بعد النبي وإذا لم يكن معصوماً فكيف يصون الرسالة؟ وهذه الرؤية تجد معارضة لها من غير الشيعة ، بل وربما في الأديان الأخرى من حيث:

– في الفكر التوزاتي: أنبياء اليهود لديهم العديد من الأخطاء.

– بعض المسلمين المعاصرين: لا يترددون في ايراد بعض الأخطاء في حياة النبي أو نزع صفة القدسية عنه. (٧١) وبذلك يمكن تفسير الموقف الشيعي هذا في الأمور التالية:

– مغالاة الشيعة في حب أئمتهم.

– بعدهم عن الإمام مما يجعل المخيال الإجتماعي يصبح أكثر فعالية.

– الأهمية البالغة لأئمة الفكر الشيعي يربطهم بين الفكر والسلوك.

– ربط الدين بالسياسة يحول العصمة الدينية إلى عصمة سياسية،مما يوجب الطاعةالتامة.

٦٩–هي في الأصل من الفعل عصم.وهي ملكةالهية تمنع من فعل المعصيةوالميل إليها راجع:معجم الوسيط،دارأمواج،بيروت،ط٢ ١٩٨٦،ص٦٠٥.

٧٠–راجع:ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة،ص٢/١٦١.

٧١–راجع:ندوة:(الدين وقضاياالمجتمع العربي في الحاضروالمستقبل).مجلة المستقبل العربي،العدد٨٦،مركزدراسات الوحدةالعربية،بيروت،١٩٨٦،ص١٤١.

إذن ، موقع الإمام عند الشيعة الاثنى عشرية يحتل درجة سامية ودليلهم على ذلك ما ورد من أحاديث عن الأئمة ، فهم يذكرون بذلك قول الإمام علي : (إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل .) (٧٢)

وإمامة الإمام تبرز عبر مهامه الفكرية والعلمية عملا بقول الإمام الرضا (لو لم يجعل لهم إماما قيما حافظا مستودعا لدرست الملة) (٧٣)

وتذكر الشيعة بهذا الخصوص الحديث النبوي ، ورأي النبي الواضح والصريح في خلفائه بقوله: (اللهم أرحم خلفائي ، ثلاث مرات ، قيل يا رسول الله ، ومن خلفائك؟ قال: يأتون من بعدي يروون حديثي ، وسنتي ، فيعلمونهم الناس من بعدي). (٧٤)

إذن ، الإمام خليفة النبي ، وهو الذي ينوب منابه ، وقد حدد الإمام علي صفات الحاكم (= الإمام) أو الفقيه بقوله : (اللهم اني أول من أناب وسمع وأجاب ، لم يسبقني إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج ، والدماء ، والمغانم والأحكام ، وإمامة المسلمين ، البخيل فتكون في أموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة). (٧٥)

وهذه الشروط التي نص عليها الإمام علي تنطبق على الفقيه، لان الفقيه،وكما ترى الشيعة الاثنا عشرية. (٧٦)

- العلم بالقانون الإسلامي.
- العدالة.

وشروط الفقيه هذه مستمدة من شروط الإمام ، لأن الإمام كما تراه الشيعة الإمامية

٧٢-راجع:الخميني،الحكومة الإسلامية،ص٥٢.
٧٣-نفس المصدر،ص٧٢.
٧٤-نفس المصدر،ص٥٦.
٧٥-المصدر السابق،ص٥٥.
٧٦-نفس المصدر،ص٤٥.

عامة: هو إنسان حسن الأخلاق ، ويمتاز بالعدالة والنزاهة ، وهو بعيد عن الظلم، بل أنه فاضل عالم بالأحكام و القوانين، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

الا أن غياب الإمام طرح مسألة قيام الفقيه مقامه ، حتى لا تتعطل أحكام الشرع، ويعيش الناس في ضلالة ، مما يتوجب قيام الفقيه ، والذي يتولى مهامه من خلال إجماع الفقهاء عليه. (٧٧)

وتكون طاعة الإمام ، ثم الفقيه من بعده من جماعة المسلمين ، انما هي واجبة وملزمة ، وتذهب الشيعة بذلك إلى حديث فاطمة الزهراء بقولها: (وطاعتنا نظاماً للملة، وامامتنا امانا من الفرقة). (٧٨)

مع أن رأي الإمام علي في الفقهاء ، هو رأي بالغ الدقة ، وعلى غاية الأهمية ، حيث يقول: (لأن المومنين الفقهاء حصون الإسلام). (٧٩)

إذن ، هم مكلفون حفظ العقيدة الإسلامية فكراً وتطبيقاً ، وبذلك يكون القرآن والحديث للفهم والعمل ، وهذه الأمانة يلخصها لنا الحديث النبوي التالي عن الإمام الحسين بن علي قوله: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الفقهاء أمناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا. قيل يارسول الله: وما دخولهم في الدنيا؟ قال: إتباع السلطان ، فاذا فعلوا ذلك ما حذروهم على دينكم). (٨٠)

والفقهاء أمناء الرسول في قيادة الجيوش وإدارة المجتمع والدفاع عن الأمة والقضاء بين الناس ، بل أنه (= الفقيه) هو مرجع للمسلمين ، وأقوال الفقيه وأفعاله هي حجة على المسلمين ، يجب تنفيذها ، ولا مجال للتخلف عنها.

إذن ، الفقيه هو رئيس المسلمين الأعلى ، وعلى كافة المستويات ، الفكرية ، والسياسية، والدينية ، والعسكرية ، والتشريعية .

٧٧–نفس المصدر،ص٤٨.

٧٨–نفس المصدر،ص٣٥.

٧٩–المصدرالسابق،ص٦٣.

٨٠–نفس المصدر،ص٦٧.

خاتمة

وهكذا يبدو للباحث أن البحث في مفهوم الإمام عند الشيعة يطرح التصورات التالية:

– الإمام الشيعي عند الاثنى عشرية هو الإمام الظاهر عند الاسماعيلية.

– الإمام مصدر المعرفة ، والتراث ، وبذلك يكون التراث الشيعي بشقيه الاثنى عشري والاسماعيلي يؤلف تراثاً مشتركاً ، ويبرز ذلك عبر التأكيد على الإمام جعفر الصادق كمصدر مرجعي وتوثيقي لدى الجماعتين.

– عصمة الإمام ظهرت مع بداية ظهور الأئمة، وتجد استمراريتها لدى الشيعة الاثنى عشرية والإسماعيلية.

– إذن ، البحث في مفهوم الامام عند الشيعة الاثنى عشرية، هو بحث تمهيدي وعضوي في مفهوم الإمام عند الإسماعيلية .

الفصل الخامس

صورة إمام الزمان الإسماعيلي في الخطاب الإسماعيلي

ـ مقدمة.

ـ صفات الإمام في الخطاب الاسماعيلي.

ـ شروط الإمام ومهامه عبر الخطاب الإسماعيلي.

ـ مرجعية الخطاب الإسماعيلي في تأكيد الامامة.

ـ خاتمة.

مقدمة

الإمامة عند الإسماعيلية كما يعتقدون ، هي تولية من الإله ، وهي فرع من النبوة ، وفرض من فروض الدين ، وتقابل درجة ((الإيمان)) في اعتقادهم ، وأنها واجبة، ولا يتم اعتقاد ، أو شرع او إحكام إلا بوجودها . (١)

والإمامة يجور أن تنتقل من الآباء الى الأبناء ، ولا يمكن أن تنتقل بين الأخوة.(٢)ويتم انتقال الامامة بموجب وصية (= نص) من الأب إلى الإبن ، وهذا الخيار كما يعتقد الإسماعيليون يكون سليما وموفقا ، لأن الإمام لا يخطيء ، ودليلهم بذلك الآية القرآنية ٢٩ من سورة الزخرف: (وجعلها كلمة باقية في عقبة). وصورة الإمام لدى جماعة الإسماعيلية ، تنال درجة عالية من التقدير ، والاحترام ، والتكريم ، والطاعة فهو يمثل صورة العقل في الرأس ، والقلب في الجسم ، وأنه كل شيء في حياة الجماعة ، وهو صاحب الحق في التحليل والتحريم ، وإقامة الحدود. (٣)

من هنا تبرز أهمية دراسة إمام الزمان الإسماعيلي عبر تحليل آلية هذا الخطاب ، لمعرفة مدى علاقة الإمام بوحدة الجماعة ، وقوة تماسكها ، وشدة ترابطها ، ووحدةعقيدتهاومعتقدها

لكن السؤال الذي يطرح نفسه ولسوف يجد الباحث نفسه وجها لوجه أمامه هو: أين هي حرية الفرد داخل الفكر الإسماعيلي؟ وما هو تأثير النظريات الديمقراطية المعاصرة على استمرار مثل هذا الاعتقاد ؟ أم أن إمام الزمان يأخذ بكل ما هو عقلاني ، وما هو عصروي ، وبذلك يحسم مثل هذا التناقض ؟ وبذلك تكون التساؤلات كثيرة ومعايشة جماعة الإسماعيلية توضح للباحث إن هذه الجماعة ، إنما هي مرتاحة لهذا الواقع ، وتجد

---

١ – راجع:عارف تامر،دائرةالمعارف،ص١٣/٣١٧.

٢ – هنايجدالباحث أنه لولاالتشريع في منع أوتحريم نقل الإمامةبين الإخوةلكانت الإسماعيلية قدتوافقت مع الشيعة الاثنى عشرية في خط سير الإمامة.

٣ – راجع:عارف تامر،دائرةالمعارف،ص٣/٣١٧.

في دعوة إمام الزمان للأخذ بالعصر وقيمه دعوة للتجديد المستمر في كل شيء ، مما يولد الاستقرار النفسي.

إذن ، للإمام في الفكر الإسماعيلي مكانة مميزة ، وعالية ، وهي ربما جعلت منه مرتبة تكاد تصل مرتبة الأنبياء : (الامام يساوي النبي في العصمة والإطلاع على حقائق الخلق في كل الأمور الا أنه لا ينزل عليه الوحي وإنه يتلقى ذلك من النبي لأنهخليفته...).(٤) وربما كان للامام صفات الاله ، وأنه لا يمت إلى البشر بصلة ، وبأنه ((وجه الله)) و ((يد الله)) و ((عين الله)) وغير ذلك من الصفات. (٥)

والإمام الإسماعيلي هو من نسل محمد بن إسماعيل ، ويستمر مدى الدهر، مما جعل جعفر بن منصور يعبر عن عقيدة الإسماعيلية في استمرار الإمامة قائلاً : (فالإمامة لا تتغير أبدا مع الدهر فالأئمة ينتقلون ويصيرون إلى دار كرامته ، ومحل رضوانه ، بغية أشخاصهم وقيام الخلف منهم مقام السلف باتصال الإمامة ، لأن الإمامة تنتقل ولا تزول ، إنما الأئمة صلوات الله عليهم يتوارثون بالإنتقال والإتصال خلفا عن السلف . (٦)

وقد يصبح الامام مصدرا للعلم والعرفان ، كما سنرى فيما بعد ، لأن الإمامة في اعتقادهم هي قيادة العالم ، وكشف الحقيقة للخلق ، ووجود الإمام ضروري في كل عصر حتى لا يبقى العالم جاهلا. (٧)

ودليلهم بذلك ما ورد في القرآن ، سورة الجمعة ، آية ٢ (هو الذي بعث الأميين رسولا فيهم . منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة).

وماورد في سورة سبأ ، آية ٢٨ (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً). وأئمة الإسماعيلية هم الذين يعرفون الباطن ، ودليلهم على ذلك ما ورد في القرآن ، سورة آل عمران آية ٧ (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) وبموجب ذلك أحاط الإسماعيليون أئمتهم بهالة من العظمة والتقديس ، لأنهم مصدر التأويل ، وهم أصحاب

٤–راجع:عبد الفتاح علياء،قرامطة العراق،ص١٧٨

٥–نفس المصدر،ص١٧٩.

٦–نفس المصدر،ص١٨٠.

٧–راجع:الداعية المطلق علي بن الوليد،دافع الباطل وحتفه المناضل،ص١/٨٢.

الحق بذلك ، مع أن التأويل قد يختلف من إمام لآخر ، أو حتى على يد الإمام الواحد . وهذا أمر مشروع ، لأن الزمان في تغير وتغير الزمان سيؤدي لتغير الأحكام. لكن ربما تكون الصورة التالية هي أعظم ، مما تم وصفه سابقاً ، عندما يعلم المرء ، بأن العالم الروحاني تسيطر عليه قوتان هما: العقل الكلي ، والنفس الكلية ، ولهذا كان الإسماعيليون على اختلاف طوائفهم يعتقدون أن روح الله تعالى تحل في إمامهم. (٨)

وتعيين الإمام يكون بالنص ، لأنه محمور العقيدة وفلسفتها بل ركن أساسي لجميع أركان الدين ، ودعائم الدين في الفكر الإسماعيلي: الطهارة ، والزكاة ، والصوم ، والحج، والجهاد ، والولاية. إلا أن الولاية أهمها على الأطلاق ، ومن عصى الإمام ، أو كذبه، فهو أثم في معصية ، وغير مقبول عند طاعة الله ورسوله. (٩)

وبذلك يكون الإمام قد مثل هرم الدعوة ، وجوهرها ، ومضمونها ، والعروة الوثقى ، وهو كالبحر الذي تصب به كافة الأنهار ، والعيون ، والسواقي . وهي منه ، فمنه ظهرت ، وإليه تعود وهو كمولد الكهرباء ، فعندما تمنح المصابيح القدرة نجدها تشع ، وإذا امتنع يتوقف نورها. (١٠)

لكن الإسماعيلية ومن خلال فهمها للدين إجمالا ، نجد فهم الإمام ، يقع ضمن نفس التصور ، فكما أن الإسماعيلية تقول بالظاهر والباطن ، وبضرورة العمل بهما ، كذلك تأخذ صورة الإمام نفس المعنى حيث:

– على مستوى الظاهر: الإمام بشر ، ومخلوق من الطين ، يأكل ويشرب ، ويمرض، ويموت ، وهو بشكل عام يتعرض لكل ما يصيب الإنسان العادي.

– على مستوى الباطن: هو (وجه الله) و (يد الله) و (جنب الله) إنه الصراط المستقيم ، وهو الذي يحاسب الناس يوم القيامة ، وأنه الذكر الحكيم. (١١)

ولما كان العالم عن طريق الإمام يعرف الله ، إذن ، هو وجه الله. ولما كان الإنسان بيده يدافع عن نفسه ، كان الإمام يد الله ، لانه يدافع عن الشريعة ، ويبطش بأعداء الله

٨–راجع:عبدالفتاح علياء،قرامطة العراق،ص١٨٩.

٩–راجع:مصطفى غالب،تاريخ الدعوة الإسماعيلية،ص٥٠.

١٠–نفس المصدر،ص٥٠.

١١–المصدر السابق،ص٥٠.

ولذلك هو يد الله وهو منزه ، بل هو نفي المعرفة ، أي هو حقيقة المعرفة من هنا كان الإمام في الخطاب الإسماعيلي موضع دراستنا هذه ، والتي ستنطلق من المحاور التالية:

- صفات الإمام في الخطاب الإسماعيلي .
- شروط الإمام ومهامه عبر الخطاب الإسماعيلي .
- مرجعية الخطاب الإسماعيلي في تأكيد الإمامة.

أولاً: صفات الإمام في الخطاب الإسماعيلي.

يرى الإسماعيليون ان كل عصر لابد له من إمام ، وهو معصوم عن الخطأ، وإليه يرجع تأويل الباطن ، بل ربما كانت عصمته مساوية لعصمة النبي .(١٢) وكل امام يليهستة أئمة بالتالي، وبنهاية الدور يظهر ناطق جديد ، أي يتم تجسيد جديد في الفكر والواقع، مما يجعل الفكر الإسماعيلي يجدد نفسه باستمرار

عبر هذا السياق ، يكون شيث أساسا لآدم ، وسام لنوح ، وإسماعيل لابراهيم ، وهارون لموسى وبطرس للمسيح عيسى بن عمران ، وعلي لمحمد ، وأما خلفاء الإمام علي فهم: الحسن ، فالحسين ، فعلي بن الحسين ، فمحمد بن علي ، فجعفر الصادق ، فابنه ابراهيم . وأساس محمد بن إسماعيل هو عبد الله بن ميمون القداح ، ثم يليه ابنه أحمد ، خلفه الأئمة الفاطميون والذي اختتم الدور بموته. (١٣)

والإمام يحتل قمة السلم الهرمي ، ثم يليه الحجة ، والمكلف باعطاء الأدلة على ناطق ، والذي يكون له الدور الأكبر في حال استتار الإمام ، ثم يليه الداعي .

مام يظل في نظر الإسماعيليين : (كل إمام في زمانه هو اسم الله في الأصل في سره ، وطاعتهم له وجه لعبادة الله.

فمن عرف إمام زمانه وأخذ عهده وسلم له في جميع أموره ، وعرف حدوده ، فأقر بها ، وأدى لكل ذي حق حقه ، ولم يلحد فيه فقد عرف الله بحقيقة المعرفة ، ووحدة من وجه توحيده). (١٤)

١٢-راجع:ابن الجوزي،تلبيس إبليس،ص١٠٨.

١٣-راجع:ميكال بيان دي خوته،القرامطة،ص١٢٧.

١٤-المصدر السابق،ص١٣٨.

وتروي بعض المصادر عن رأي الإسماعيلية بالنبي محمد ثم خلفائه من بعده قولهما: (محمد . كان رجلا سائسا ، وأبو بكر كان ضعيفاً مهيناً ، وعمر كان فظاً غليظاً ، وعثمان كان جاهلاً أحمق ، وعلي كان ممخرقا). (١٥) ومثل هذه الرؤية إنما تمثل دسيسة حقيقية على جماعة الإسماعيلية ، لا سيما وإذا أخذنا في اعتبارنا أن مكانة النبي محمد وآل بيته مكانة عالية في الفكر الإسماعيلي.

إذن ، للإسماعيلية فهمها الخاص في إمام الزمان ، وهذه الاعتبارات تنطلق من التصورات التالية :

– من حيث جسم الإمام : (ليس جسما ماديا ، وهو شبح يكمن فيه اللاهوت وهو الجانب النوراني). (١٦)

– وأما قدرته : (الإمام يمثل العقل الأول الفعال وأن قدرة الله تحل فيه بحيث يصبح العقل الكلي وجوهر الملكوت ، وعنه تصدر جميع المخلوقات. فهو العلة الأولى ، وعلة الوجود كل سواه). (١٧)

– ومهمته كبيرة : (الإمام الإسماعيلي يأخذ أسماء الله الحسنى ، وإليه تسند تدبير الكون والوجود بكل ما هو موجود وانما هو فيض منه). (١٨) وهذه الرؤية تجعل من الإمام يمثل إلهاً ، وهذا ما يناقض حقيقةالفكرالإسماعيليايضا.

وهؤلاء الأئمة يتوالون في أدوار وكل دور يتألف من سبعة من هؤلاء الأئمة ، يتعاقبون بالتتابع لكن السابع كما يعتقد إنما هو العقل الكلي ، الناطق عن القوى الخارقة، والأئمة الستة السابقون لهم نفوس كلية تمهد له ، وتدعم عمل الناطق قبل ظهوره .

والإمام له نسبتان: الأولى إلى عالم القدس ، والثانية إلى عالم الطبيعة. يضاف لذلك اعتقادهم أن قدرة الله تنتقل إلى العقل الكلي ، أو بعبارة أخرى ، إلى الإمام السابع ، في كل دور ، ولذلك يوصف عندهم ، بما توصف به الذات العلية، من أسماء وصفات.(١٩)

---

١٥ –نفس المصدر،ص١٤٢.

١٦ –راجع:شوقي ضيف،عصرالدول والإمارات،ص١٥٢.

١٧ –نفس المصدر،ص١٥٣.

١٨ –نفس المصدر،ص١٥٨.

١٩ –المصدر السابق،ص٤٣.

وإذا كان الأئمة الإسماعيليون ، يتوالون في سبع حلقات ، أو سبع أدوار ، والسابع أعلاهم درجة إذ هو الإمام الناطق ، المبعوث برسالة تفوق رسالة سبقتها ، حتى رسالة النبي محمد . (٢٠) وبذلك يكون الإمام هو التجلي الأعظم للعقل الكلي. وما الحجة عند الإسماعيليين إلا مرتبة تلي مرتبة داعي الدعاة في المركز الأم ، وهو يقوم بأعمال الإمام في إقليمه.(٢١)

والإمام هو المعلم ، وهو الملهم ، على الرغم من ايمان الاسماعيلية بالعقل، وبذلك يكون الإمام قضية على غاية الأهمية ، وهذا ما يجعل الداعي المطلق علي بن الوليد يقول (والذي أرسل الله به أنبياءه عليهم السلام ، فولوا الخلق عليه ، ودعوهم عليه ، ودعوهم إليه ، وان الاقتصار على الاستدلال بالعقول بمجردها والآراء مع اختلافها مع ترك الهادي، والأعراض عنه ، هو طريق الباطل لأنه لا يخلو الاستدلال بالعقل بمجرده...) (٢٢)

والإسماعيلية إذ تركز على العقل ، فإنما تأخذ ذلك عن الإمام علي بن أبي طالب قوله: (علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم انفتح لي من كل باب منها ألف باب ، أدركت به علم كان ما سيكون إلى يوم القيامة ، ذلك العلم متوارث بين أولاده سلام الله عليهم ، مسمومهم ومقتولهم ، ودين عبادهم ، وباقرهم وصادقهم. متواصل ذلك إلى ظهور مهديهم ، وقيام قائمهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ، ولذلك جعله النبي صلى الله عليهما وصلى إلهما باب مدينة علمه ووارث سر حكمته والحاكم بعده) (٢٣)

فالعالم بحاجة الإمام معصوم ، يهديه ويرشده ، والا سيكون مصيره الخراب ، وسوف يضيع خلقه فهل يعذب الله كل خلقه لأنهم ضلوا ، ولهذا يتوجب وجود الإمام المعصوم ، الذي سيقود الأمة للخير ، والإمام هو حجة الله على الخلق ، يلهم طريق رشادهم ، ويهديهم إلى ما يصلح به أحوالهم في معاشهم ومعادهم ، وهو يقيم الدعوة ظاهراً بسيفه إن أمكن ، أو مستتراً في حال صعوبة ظهوره ، لأن الإمام لا يصرح بالدعوة عندما يجد نفسه محاطاً بالأعداء، ولهذا يتصل بأعوانه سراً ويبلغهم ما ينبغي عمله.

٢٠–نفس المصدر السابق،ص٤٣.

٢٢–راجع:الداعي المطلق علي بن الوليد،دافع الباطل وحتف المناضل،ص١١٦/١.

٢٣–نفس المصدر،ص١١٧/١.

والإمام الإسماعيلي هو إمام معصوم عن الخطأ ، ودليل الإسماعيلية بذلك كما يلخصها لنا الكرماني ت ٤١١ هـ بما يلي. (٢٤)

—ما دام يقوم بمهام النبي في الحفظ على الرسالة فيجب أن يكون معصوماً.

– ما دام يقوم بمهام النبي في جمع الزكاة وتحقيق العدالة فيجب أن يكون معصوماً.

– ما دام يقوم بمهام التأويل للنص القرآني فيجب أن يكون معصوماً.

– مادام يقوم بمهام تنفيذ الحدود على المسلمين فيجب أن يكون معصوماً.

– ما دام يقوم بمهام الإمامة في الصلاة فيجب أن يكون معصوماً.

– ما دام قد ربط طاعته بطاعة الله والرسول فيجب أن يكون معصوماً.

– ما دام يؤدي أمانة النبي بثقة فيجب أن يكون معصوماً.

وهكذا تصبح أحكام الإمام أحكاماً صادقة لا مجال للشك أو الطعن أو التأويل لها ، ما دام الإنسان مسلماً ، لا سيما وأن الإمام يقول بالتحليل والتحريم ، والإمام إذ يعتمد التحليل والتحريم فهو لا يخالف النص القرآني ، ودليلهم (= الإسماعيلية) بذلك هو:

– في القرآن ، سورة النحل ، آية ١١٦ (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون).

– وفي الحديث النبوي ، أن الإمام الصادق سئل فأجاب ، والسؤال هو : (قيل له ان العامة يروون عن علي خلاف ذلك: ما أجبناك إلا بقوله : وما عندنا إلاّ ما أخذناه، غايرنا عن صادرنا ونحن أفراخ علي، فما اديا لكم عنه فهو قوله). (٢٥)

وبذلك تكون صورة الإمام الإسماعيلي تحمل العصمة، كما هي عند الشيعة الاثنى عشرية ، ومرد هذه العصمة ، كما ينقلها لنا الداعية المطلق علي بن الوليد هي. (٢٦)

– الإمام معصوم لأن الدين يأخذه الناس منه ، ولهذا يتوجب عصمته ، وبرهان ذلك ما ورد في القرآن ، سورة الجمعة ، آية ٢ (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم

٢٤–راجع:أحمدحميدالكرماني،المصابيح في إثبات النبوة،تحقيق:مصطفى غالب،منشورات حمد،بيروت،ط١٩٦٩،ص٩٦وما بعدها،

٢٥–راجع:النعمان بن محمدت٣٥١،إختلاف أصول المذهب،ص٩٦،١٦٣.

٢٦–راجع:الداعيةالمطلق علي بن الوليد،دافع الباطل وحتف المتاضل،ص٢٦٤/١.

يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)، وهكذا يكون النبي المعصوم هو المستفاد من حكمته ، ثم يأتي خليفته وهو القائم بعده ذلك المقام وبه حفظ الإسلام.

– لما كانت الذكوات والصدقات' والخمس ، قد تدفع الإنسان للطمع المادي ، لهذا وجب أن يكون في ذلك القائم عليها معصوما.

– لما كان الإمام هو المرجع بعد النبي لهذا يتوجب عصمته حتى لا يقع في الخطأ.

ـ لما كان الدين بحاجة لمن يحميه وبطريقة عادلة لهذا وجب ان يكون الإمام معصوماً

أعمال الشرع مرتبطة بالإمام ، وهي بحاجة للعصمة حتى يثق به الناس ، ويستمر الشرع ، ولهذا وجبت عصمة الإمام

– لما أوجب الله طاعة الإمام ، سورة النساء ، آية ٥٩ (ياأيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ، ولهذا وجبت طاعة الإمام بطاعة النبي المعصوم.

– على اعتبار أن الرسول مقر الوحي ، والحكمة ، والعلم ، وما أنزل اليه حتى يوم القيامة ، وعدم تمكن الناس من استيعابه دفعة واحدة ، مع فارق الظروف المعاشية، والناس. لهذا وجب وجود الإمام الذي يقوم بهذا الدور ، وحتى يقوم مقام الرسول لابد من عصمته.

إذن الفكر الإسماعيلي إذ يستمر في الأخذ بمبدأ عصمة الإمام فإنما أوجد المسوغات الفكرية لذلك وما حاجة الأمة لإمام في زمانها إلا كحاجة الأمة إلى محمد في زمانه .(٢٧)

ويؤكدون قولهم بما ورد في القرآن ، سورة الرعد ، آية ٨ (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد). وجسد الإمام عند الإسماعيلية ليس كجسم البشر العاديين من لحم ، وعظم ، ودم ، إنما هو من مغناطيس كوني ، يمارس عمله على أجساد المستجيبين الأثيرية ، ونفسهم الريحية ، وهله البقايا الأثيرية تتصاعد من سماء الى سماء ، ثم تنزل مطهرة ومعها إشعاعات قمرية، فلا يراها الإدراك النظري ، ثم تحط على شكل ندى سماوي ، على سطح ماء صافي ، أو على بعض الثمار، هو وزوجته يصبح الندى السماوي برعماً لجسد لطيف هو جسد الإمام الجديد. (٢٨)

٢٧–نفس المصدر،ص٢٧٤/١.

٢٨–مثل هذه الرؤية التي يطرحها هنري كوربان يأخذبها إسماعيلية البهرافي الهند أما الإسماعيلية النزارية لاسيما الأغاخانية منها،فهي ترفض هذه الرؤية.

راجع:هنري كوربان،تاريخ الفلسفة الإسلامية،ص١٥٣.

وبذلك يرتبط الإمام بالنور الإلهي، وهنا يصعب الفصل بين مصدر النور ، والنور ذاته ، مما يجعل من أقوال الإمام صورة للنور الإلهي ، وبذلك يتوجب أخذه ، ما دام صادرا عن النور الإلهي.

والإسماعيلية اذ تأخذ بمثل هذا التأويل فهي تعتمد الأحاديث النبوية ، الصادرة عن الأئمة من آل بيت النبي ، حيث نجد:

– في الحديث النبوي: (أنا وعلي من نور واحد) .(٢٩)

– في الحديث النبوي أيضاً :(خلقت أنا وعلي من نور واحد ، قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر الف عام). (٣٠)

– في حديث الإمام جعفر الصادق ت ١٤٨ هـ (خلقنا الله من نور عظمته ، وأرواح شيعتنا خلقوا من فضائل طيننا). (٣١)

وبذلك تكون صورة النورانية للإمام الإسماعيلي ، تجد مرتكزها النصي في الأحاديث النبوية ، أو أحاديث الأئمة ، من بعده ، وهذا ما يجعل الفكر الإسماعيلي ، يستند في تأويلاته ، لكل ما يراه ، إلى مصدر إسلامي نصي .

وربما يذهب بعضهم لتصوير الإمام ، في الفكر الإسماعيلي ، على أنه صورة الله. وهذا بدوره ما يطرح مشروعية السؤال التالي : ما حقيقة الفهم الإسماعيلي للإمام؟ وهنا نجد ومن خلال التراث الإسماعيلي.

– إن الإمام ليس إلهاً ، وإنما هو نور الله ، وهذه العلاقة يربطها الفكر الإسماعيلي بالواقع من خلال فهم العلاقة بين المصباح الكهربائي ، وضوء هذا المصباح.

إذن ، هناك اتحاد وانفصال بنفس الوقت ، وبذلك يكون الإله هو المصدر الأساسي لهذا النور والذي هو الإمام وعلمه. (٣٢)

٢٩–نفس المصدر،ص٩٠.

٣٠–نفس المصدر،ص٩٠.

٣١–نفس المصدر،ص٩٨.

٣٢–راجع:الداعي جعفر بن منصوراليمن،كتاب الكشف،ص٢.

– مرتبة النبي أكبر من مرتبة الإمام ، لأن النبي (= الناطق) هو اصل الدين ، وبذلك يكون أئمة الاسماعيلية قد فهموا أن النبوة أعلى درجة من الإمامة ، وأن النبي في عصره ، يقابل العقل الكلي ، وصفات العقل الكلي تطلق على النبي . أما الإمام فهو خليفة النبي ، والقائم مقامه ، ولهذا يمكن أن تنطبق عليه هذه الصفات ، والتي هي صفات وأسماء العقل الأول . (٣٣) أما مرتبة الأئمة فهي تفوق مرتبة البشر ، لا سيما وأنهم مؤيدون من الإله ، ويسري فيهم التأييد الروحاني ، وهذا ما يجعل من الإمامة عبارة عن رئاسة نفسانية ، ودرجة عرفانية. (٣٤)

والإمام يظهر فضائل الناطق ، ويكشف رموزه ، وممثولاته ، سواء الظاهر ، أو الباطن ، ويقوم بتأويل دعوة الأساس ، وبواطن حكمته ، وإن غاب الناطق قام مقامه الامام الاساس ، ثم امام المستودع ، ثم أقام الحجة ، الذي هو دونه بالبيان . وتظل طاعة الامام كما يتصورها الفكر الاسماعيلي تتصف في :

– كونها اقرار الله في القرآن (اطيعوا الله واطيعوا الرسول ، وأولي الأمر منكم).

– قول الإمام جعفر الصادق : (بنا يعبد الله ، وبنا يطاع الله ، وبنا يعصى الله، فمن أطاعنا فقد اطاع الله ، ومن عصانا فقد عصى الله). (٣٥)

فقديرى بعض الناس أن الإسماعيلية تنظر للإمام بمنظار الإله ، مع أن الفكر الإسماعيلي قد سبق له أن قدم رداً واضحاً على هذه المسألة ، لا سيما ما ذهب اليه الكرماني ت ٤١١ هـ في رده على الذين قالوا بألوهية الامام الفاطمي الحاكم بأمر الله بقوله : (فما أمير المؤمنين إلا عبد الله خاضع وله طبائع ، يسجد لوجه الكريم ، ويعظمه غاية التعظيم ، وباسمه يستفتح ، وعليه في أموره يتوكل وأمره إليه يفوض ، وهو سلام الله عليه يتبرأ إلى الله تعالى ممن يعتقد ذلك فيه). (٣٦)

٣٣–راجع:الداعي أحمدحميد الكرماني،راحة العقل،ص١٦٠.

٣٤–راجع:مصطفى غالب،في تقديمه لكتاب راحةالعقل،لمؤلفه الكرماني، مصدرسابق، ص٣٢.

٣٥–راجع:الكرماني،راحة العقل،ص٢١٦.

٣٦–راجع:أحمد بن ابراهيم النيسابوري،اثبات الامامة،تحقيق:مصطفى غالب،دارالأندلس، بيروت،ط١٩٨٤،ص١٧.

والإسماعيلية ترى أن أول الموجودات هو العقل الفعال ، ويقابله في دنيا الواقع النبي(= الناطق) في عصره ، وفي حال غياب النبي ، وتسلم الإمام ، يصبح الإمام جديراً بهذا الاسم .(٣٧)

وهكذا يصبح الإمام قطباً للدين ، وإذا كانت الإسماعيلية توحد بين النبي والإمام فانما تعتمد بذلك على تأويل بعض الآيات القرآنية:

– في القرآن ، سورة مريم ، آية ٥٤ (واذكر في الكتاب إسماعيل أنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) وبذلك الإمام (= الرسول).

– في القرآن ، سورة البقرة ، آية ١٢٤ (إني جاعلك للناس إماماً) إذن ، إبراهيم النبي هو إمام . وهكذا يتوضح لدينا عبر الخطاب الإسماعيلي الحقائق التالية:

– الإمام يقوم مقام الرسول في زمانه .

– الإمامة هي ضياء الأنفس ، ومنها النور العقلي ، والحركة والعلو.

– الإمام عالم الدين ، وجميع الكواكب والبروج الدينية تحته يعملون.

– الإمام شمس الدين منه تستضيء البصائر ، وتستضيء النفوس بنورالهداية والحكمة.

– الإمام أفضل الجواهر الدينيه والعقلية في وقته وزمانه .

– الإمام رأس العالم وسائسه ومدبره.

– الإمام والرسول ضروريان لتعلم الناس .

– الإمام واحد عصره وزمانه ، وجميع الحدود محتاجة إليه ، فالواحدعلة الحساب، وأصل الأعداد والواحد هو الإمام وحده . (٣٨).

وللإسماعيلية ترتيبها الخاص للأئمة ، وهي تخضعهم لدرجات ، ولكل درجة مهام مختلفة عن الأخرى وهذه الدرجات تأخذ الترتيب التالي : (٣٩)

الإمام المقيم: وهو الذي يقيم مع الرسول الناطق ، ويربيه ، ويعلمه في درجة

٣٧–نفس المصدر،ص١٨.

٣٨–نفس المصدر،ص٥٩.

٣٩–راجع:عارف تامر،دائرة المعارف،ص١٣/٣٢٣.

مراتب الرسالة وأحياناً يطلق عليه اسم ربّ الوقت ، وصاحب العصر ، وإمام الزمان ، وهذه أعلى مرتبة الإمامة وأكثرها سرية.

٢ – الإمام الأساس: ويرافق الناطق في جميع مراحل حياته ، ويمثل ساعده الأيمن، وأمين سره والقائم بأعمال الرسالة الكبرى ، ومنفذ للأوامر العليا ، ومنه تتسلسل الأئمة المستقرة في الأدوار الزمنية ، وهو مسؤول عن التفسيرات الباطنية.

٣ – الإمام المتمم: وهو الذي يتّم أداء الرسالة في نهاية الدور ، والدور يقوم على سبعة من الأئمة وهنا يكون دور السابع وقوته تعادل قوة الستة الذين سبقوه في الدور ، وهو يمثل ناطق الدور والإمام الذي يأتي بعده يكون قائما بدور جديد ، ومؤسس البنيان حديث.

٤ – الإمام المستقر: وهو الذي يملك إمكانية حق توريث الإمامة لمن يشاء من أولاده . إذن ، هو صاحب النص على الإمام الذي يأتي بعده، ويسمى الإمام صاحب الجوهر ، ويتسلم الإمامة بعد زوال الناطق.

٥ – الإمام المستودع: ومهمته تكون في تسليم الإمامة في الظروف والأدوار الإستثنائية يقوم بها نيابة عن الإمام المستقر بنفس الصلاحيات والمسؤليات ، وهو لا يستطيع أن يورث الإمامة لأحد من ولده ، أو يتصرف بالنص ويطلق عليه اسم نائب غيبة . ويضيف مصطفى غالب لهذا التصنيف . (٤٠)

٦ – الإمام القائم بالقوة ناقصاً بذاته .

٧ – الإمام القائم بالفعل : تام في ذاته وفعله هو الأساس .

وبذلك يكتمل ترتيب الأئمة وتصنيفها ، وفق النظام السباعي ، الذي تأخذبه الإسماعيلية.

ثانياً: شروط الإمام ومهامه عبر الخطاب الإسماعيلي:

الباحث في كتب ومخطوطات الإسماعيلية يبرز لديه وبصورة واضحة وصريحة مسوغات الإمامة وشروطها حيث:

– الإمامة تلزم للدنيا لزوم الدين ، ومهمة الإمامة مهمة دينية ، ومسؤولية الإمام تتمثل في:(٤١)

٤٠–راجع: مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية. أيضا: مصطفى غالب في تقديمه كتاب الينابيع، للسجستاني، المكتبة التجارية، بيروت، ط١٩٦٥، ص٢٤.

٤١–راجع: ناصرخسرو، جامع الحكمتين، ص١٠٤.

١ – مسؤول عن تفسير التشابه في القرآن ، لأن ذلك يحتاج إلى العلم والمعرفة ، ومثل هذه المهمة لم يقم بها إلا أهل البيت .

٢ – لما كان الدين يحوي جانباً باطنياً ، وهذا الجانب يحتاج للتأويل ، وهذه المهمة من مهمة الإمام ، لذا وجب وجود الإمام كي يستقيم الدين على الأرض . وأما عن شروط الإمامة فقد سبق لـ (ناصر خسرو) إن حددها بسبعة شروط وهي: (٤٢)

– أن ينص عليه الإمام السابق .
– أن ينتسب إلى آل بيت النبي .
– أن يكون عالما بالدين.
– أن يكون تقيا.
– أن يجاهد الكفار بيده والمنافقين بلسانه.
– أن يكون محمود الخصال.
– أن لا يكون بحاجة للدعوة لنفسه.

إذن ، شروط الإمامة سبع ، وأركان الإسلام سبعة التي شيد عليها أساس الدين ، والحدود السبعة «الشهادة ، والصلاة ، والزكاة للناطق ، والحج للأساس ، والصوم للامام، والجهاد للحجة ، وبالإمام يتم الدين ، ويتم الخلق ، وبه يتوصل الإنسان إلى حدوده ، والعودة إلى طريق الإمام حتى يبلغ العقل . (٤٣)

إلا أن الخطاب الإسماعيلي المعاصر ، ومن خلال اعتماده المرجعية الإسلامية الشيعية، يحدد شروط الإمامة بالتالي (٤٤)

– الإمامة عهد معهود من واحد إلى واحد.
– الأئمة لم يفعلوا شيئاً إلا بعهد من الله وأمر منه.
– ثبات الإمامة في الأعقاب ، وأنها لا تعود في أخ ولا عم ولا غيرها من القرابات.
– نص الله عزّوجل ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد.

---

٤٢ – نفس المصدر، ص٨٤.
٤٣ – نفس المصدر، ص٨٥.
٤٤ – يمكن بهذا السياق مراجعة العديد من الكتابات الإسماعيلية المعاصرة، لاسيما تلك الكتابات القريبة للعقلية الشعبية.

والإمامة بهذا الخطاب ، والذي هو خطاب عصروي ، ويكتبه شاب إسماعيلي ، من خلال المرجعية الإسلامية الشيعية هي : (ان الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى ، على لسان رسوله أو لسان الإمام المنصوب بالنص ، إذا أراد أن ينّص على الإمام من بعده ، وحكمها في ذلك حكم النبوة لا فرق ، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعنيه هاديا ومرشدا لعامة البشر). (٤٥)

إذن ، وعلى ضوء النص تفقد الجماهير مشروعيتها في تحديد من سيتولى مسؤولية ذلك على اعتبار الإمامة تمثل نصاً إلهياً، بل إن هذا النص ، هو في الأصل يعود إلى ما كتبه الإمام الراحل سلطان محمد شاه علي الحسيني: (الإمام هو خليفة النبي في صفته الدينية . إنه الرجل الذي يجب أن يطاع والذي يقيم بين أولئك الذين له عليهم حق الطاعة الروحية). (٤٦)

وهذه النصوص العصرية تمثل امتداداً فكرياً للفكر الإسماعيلي في العصر الوسيط، لا سيما في القرن الرابع الهجري ، حيث نجد تحديد بعض الخصائص والشروط للامامة منها:(٤٧)

- أن يكون الإمام تام الأعضاء .
- أن يكون جيد الفهم سريع التصور لكل ما يقال له.
- أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يسمعه ولما يذكره.
- أن يكون فطناً ذكياً ، وله رأي يكفيه لتبين أدنى دليل.
- أن يكون حسن العبارة يواتيه لسانه على ما فيه قلبه وضميره بأوجزالألفاظ.
- أن يكون محباً للعلم.
- أن يكون محباً للصدق وحسن المعاملة مقرباً لأهله.
- أن يكون غير شره في الأكل والشرب والنكاح.

٤٥-مفس المصدر،ص٦.

٤٦-راجع:الامام سلطان محمدشاه علي الحسيني(=الأغاخاني)،المفهوم الاسلامي وتوري أمام منشورات المجلس الأعلى بالسلمية،سوريا،بدون تاريخ،ص٤٣.

٤٧-راجع:محمد فريد حجاب،الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا،ص٤٣٨.

- أن يكون كبير النفس ، عالي الهمة ، محباً للكرامة.
- أن تكون الدراهم والدنانير وسائر أعراض الدنيا هينة عنده ، زاهداً فيها.
- أن يكون محباً للعدل وأهله ، مبغضاً للجور والظلم وأهله.
- قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل ، جسوراً،مقداماً ، غير خائف ولا ضعيف النفس.

ومثل هذا التحديد الذي يقدمه محمد فريد حجاب وعلى أنه فكر إسماعيلي إنما يجعل الباحث يقر بحقيقة أساسية وجوهرية وهي: ان هذا التحديد يجعل الإمامة كوظيفة سياسية ديمقراطية فإذا توفرت شروطها في فرد معين يمكن أن يكون إماماً ، مع أن البحث في قضية الإمامة في الفكر الشيعي عموماً والإسماعيلي تحديداً توضح لنا قضية الإمامة هي بموجب النص . مع أن الخطاب الاسماعيلي التراثي يرى في الإمامة كافة صفات النبوة عدا قضية الوحي. (٤٨)

والإمامة على إعتبار أنها أساس الدين ، لهذا يكون استمرارها مسألة على غاية الأهمية حتى يستمر الدين ، لا سيما أن الإمام ، هو الوصي ، وهو الوارث الشرعي للناطق (= النبي) ، وهو حافظ الأمة من التبعثر ، والضياع ، ولهذا يكون أمره بمثابة أمر النبي في الأمة ، فهو المسؤول عن الشريعة ، والبيان والعصر . (٤٩)

ولما كانت شريعة محمد كما هو معلوم في الفكر الإسلامي عموماً ، هي الناسخة لكافة الشرائع التي سبقتها ، وهي لا تنسخ على اعتبار أن محمداً هو أخر الأنبياء والرسل، منذ بدء دعوته ، وحتى قيام الساعة و لهذا بقيت الإمامة فيها موجودة على حد تعبير الفكر الإسماعيلي. (٥٠)

إذن ، الإمامة موجودة ، وهي مستمرة و منذ موت النبي ، وحتى يوم القيامة ، والإمام حاكم ، أساس هذا الحكم الموهبة التي ميزته به القدرة الالهية من غيره من البشر، بل إنه الوارث في خلافته للنبي على العباد ، وما دام النبي غائباً. وهذا ما يجعل منه قائماً

٤٨-المصدر السابق،ص٤٣٨.

٤٩-راجع:علي بن الوليد ت٦١٢ه،تاج العقائدومعدن الفوائد،تحقيق.عارف تامر،مؤسسة عزالدين،بيروت،ط١٩٨٢،ص٦٨.

٥٠-نفس المصدر،ص٦٩.

على وضع الإرشاد ، وتنفيذ الحدود في العباد ، ما دام يمثل سلطة الله على الأرض، وهذا بدوره ما يجعل منه الوارث الشرعي للأرض ، والمتصرف بأحكامها ، ودليل الإسماعيلية بذلك ، ما ورد في القرآن (واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون) .(٥١)

وتحليل النص يفصح عن الفهم التالي:

- الإمام خليفة الله على الأرض.
- الإمام يمثل النبي في حال غيابه.
- الإمام لا يجب زواله ولا عدمه بوجه من الوجوه.

ثالثاً: مرجعية الخطاب الإسماعيلي في تأكيد الإمامة:

الفكر الإسماعيلي اجمالاً كأي فكر إسلامي ، يحاول ايجاد المبرر الإسلامي ، من خلال النص القرآني أو الحديث النبوي ، بما يخص معتقداته . وهذا ما يجعل الباحث في الفكر الإسماعيلي يعثر على مجموعة من النصوص والأحاديث حول ضرورة وجود الإمام الحي ، ويبرز ذلك من خلال الحديث المنسوب للإمام جعفر الصادق ت ١٤٨هـ: (من مات لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية فقام إمام دهره حياً . قالوا: لم نسمع حياً ، قال: قدر الله ، قال: ذلك ، يعني رسول الله (ص) يعني بقوله لا يعرف إمام دهره حياً أنه لا ينفعه ولاية الإمام الماضي قبله ، وهم أسباب العباد إلى الرسول وهو السبب إلى الله فلا تقبل طاعة الله ولا بولاية الرسول وطاعته ، ولا تقبل ولاية الرسول وطاعته إلا بولاية وصيته وطاعته ، وطاعة الأئمة الطاهرين وولايتهم ،كما قال الله تعالى: (يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) واحد بعد واحد أوجب الله طاعتهم وافترض ولايتهم. (٥٢)

ويجد الباحث حديثاً أخر ، وهو منسوب للإمام جعفر الصادق والذي يستند

٥١–المصدر السابق،ص٧٠.

٥٢–راجع:الداعي المطلق ادريس عمادالدين القرشي،عيون الأخبار وفنون الآثار،السبع الرابع،ص٢٥٥.

للقرآن، سورة الاسراء آية ٧١ (يوم ندعو كل اناس بإمامهم) قال بمن كانوا يأتمون في الدنيا . يدعى علي (ع) بالقرن الذي كان فيه ، والحسن بالقرن الذي كان فيه ، والحسين (ع) بالقرن الذي كان فيه ، وعدد الائمة واحداً بعد واحد) . (٥٣)

وهكذا يستنتج الباحث الأمور التالية:

- إمام الزمان الحاضر والماضي ، هو بموجب النص الإلهي ، والحديث النبوي.
- إمام الزمان يقوم بأعمال النبي ، باعتبار النبي سوف يموت ، ولن يعمر مدى الحياة.
- إمام الزمان مسؤول عن جماعته ، في الدنيا والأخرة.
- إمام الزمان ركن من أركان الايمان ، بل هو ركن أساسي ، والا مات الإنسان ميتة جاهلية (= كافر بالعقيدة الإسلامية).

والفكر الإسماعيلي إذ يطرح قضية الإمام الوصي بعد النبي فإنما يستضيء بالنص الأصولي للقرآن حيث يجد في العديد من سوره وآياته ما يؤكد صحة رؤيته من حيث.(٥٤).

١ – على مستوى تأليف الشريعة:

- في القرآن ، سورة الشورى ، آية ١٣ (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا).
- في القرآن ، سورة المائدة ، آية ٥١ (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً).
- في القرآن ، سورة الجاثية ، آية ١٧ (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها).

٢ – على مستوى اقامة الوصي. (٥٥)

- في القران ، سورة المؤمنين ، آية ٢٧ ، أيضاً سورة هود ، آية ٣٧:(واصنع الفلك بأعيننا ووحينا).
- في القرآن ، قصة ابراهيم ، سورة الصافات ، آية ١٠٢ (يابني اني أرى في المنام أذبحك).
- في القرآن ، قصة موسى ، سورة البقرة ، آية ٦٧ (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة).
- في القرآن ، قصة عيسى ، سورة المائدة ، آية ١١٩ (اني منزلها عليكم) (=المائدة).
- في القرآن ، قصة محمد ، سورة المائدة ، آية ٦٧ (يأيها الرسول بلغ ما أنزل

٥٣–المصدر السابق،ص٥٥.

٥٤–راجع:أبويعقوب السجستاني،الافتخار،تحقيق مصطفى غالب،دار الأندلس،بيروت، ط١٩٨٠،ص٥٢.

٥٥– راجع : ن ، م ص ٥٣

إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) (= اقامة الوصي علي بن أبي طالب)

– وفي قصة القائم ، سورة الأنعام ، آية ٧٣ (يوم ينفخ في الصور).

– وفي سورة البقرة ، آية ١٢٤ (اني جاعلك للناس اماماً).

– وفي سورة العرفان ، آية ٧٤ (واجعلنا للمتقين اماماً).

– وفي سورة الاسراء ، آية ٧١ (يوم ندعوا كل اناس بامامهم).

– وفي سورة آل عمران ، آية ٣٣ (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين).

– وفي سورة يوسف ، آية ٣٨ (واتبعت ملت أبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب).

والإمامة عند الإسماعيلية كما يوضحها الخطاب الإسماعيلي المعاصر هي الأصل الثالث من أصول الدين ، وبروز دور الإمام نتيجة غياب النبي ، فالإمام عند الإسماعيلية ، هو الصراط المستقيم ، وهو قطب الدين وأساسه ، وهو الجامع للحدود ، والحافظ على الشريعة، والدعوة للعلم والعمل .

والإمامة هي منصب الهي ، لها حضورها على الأرض ومسؤوليتها ، والإله إذ يعين الإمام ، فإنما يمده بسره المخفي ، ولهذا تناط بالإمام مهمة حفظ الشريعة ، ومهمة تطويرها ، بما يتناسب والعصر ، والتقدم العلمي والتكنولوجي ، وبذلك تكون مهمة الإمام مهمة قاسية وشاقة ، بل أنها مهمة النبي على حد تعبير هذا الخطاب .(٥٦)

والإسماعيلية إذ تطرح مفهوم الإمام فانما تستدل على ذلك من أكثر من موقع،في القرآن:

– في سورة يس ، آية ١٢ (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) .

– في سورة البقرة ، آية ١٢٤ (اني جاعلك للناس إماماً).

– في سورة الاسراء ، آية ٧١ (يوم ندعوا كل اناس بإمامهم).

وهكذا يكون وجود الإمام الحي ضرورة دينية ودنيوية ، وله وظيفة ، وهي مستمدة من القرآن ، سورة البقرة ، آية ٣٠ (اني جاعلك في الأرض خليفة) ثم وظيفة الهداية ، سورة الأحزاب ، آية ٤٦ (يأيها النبي أن أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى

---

٥٦ –تلك هي صورة الامام ومهمته كما يفهمهابعض وعاظ الإسماعيلية الأغاخانية

الله بإذنه وسراجا منيراً) ثم مهمة التذكير ، ودليلهم بذلك ما ورد في القرآن ، سورة الغاشية ، آية ٢١ ، ٢٢ (فذكر إنما أنت بمذكر لست عليهم بمسيطر) يضاف لذلك مهمة الشفاعة لمن في زمانه .إلا أن ما يفهم من الخطاب الإسماعيلي العصروي هو إن الإمام :((بشر ، عاقل ، مميز ، معصوم ، مؤيد مختار)) ، وبذلك تكون صفات الإمام نفس صفات النبوة ، لا علاقة لها بالإله . (٥٧) وهذا الامام يشترط به أن لا يكون امرأة ، لأن المرأة تضيع النسب ، وهذا النسب ، هو من قريش وفق الحديث النبوي (الأئمة من قريش). (٥٨) وبذلك تبرز المكانة المميزة للنبي محمد وآل بيته في الفكر الإسماعيلي ، وربما يصل القارىء الى نقطة يدرك من خلالها أنه لا يوجد في الفكر الإسماعيلي إلا النبي محمد وآل بيته ، ومصدر هذا التكريم إنما يعود لتمسك الفكر الاسماعيلي بآل بيت النبي ، وموقعهم الريادي والقيادي في هذا الفكر من خلال:

– صورة النبي محمد وآل بيته صورة مميزة ، ودليل الإسماعيلية بذلك الحديث النبوي: (إن مثل أهل بيتي فيكم لنجوم السماء كلما خوى منها نجم طلع نجم). (٥٩)

– اعتراف الفكر الإسماعيلي بأن النبي محمد قد علّم الإمام علي كل شيء حتى يوم القيامة ، وسندهم بذلك الحديث النبوي عن الإمام علي بقوله : (علمني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ألف باب من العلم فتح لي كل باب ألف باب أدركت به علم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة). (٦٠)

– أصحاب النبي (= آل بيته وبعض الصحابة) هم كما في الحديث النبوي: (أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم) وهؤلاء يحق لهم بموجب الأحاديث النبوية قيادة الجماعة الإسلامية ، من بعد النبي ، ومن هنا تبرز أهمية كون الإمامة من صفوف هؤلاء .

– آل بيت النبي مركز أمان للبشر ، كما في الحديث النبوي (أهل بيتي أمان لأهل الأرض كالنجوم أمان لاهل السماء). (٦١)

٥٧–نفس المصدر،ص١١.

٥٨–نفس المصدر،ص٢٢.

٥٩–راجع:الداعي المطلق علي بن الوليد،دافع الباطل وحتف المناضل،ص١/٢٥٧.

٦٠–نفس المصدر،ص١/٣٤٢

٦١–المصدر السابق،ص١/٢٥٧.

ومن هذا الموقع ، يأتي قول الإمام جعفر الصادق على الأئمة من أبائه وأبنائه: (إنا إذا قرأنا القرآن في منازلنا لنزهر لأهل السماء كما تزهر النجوم لأهل الارض).

– وقد حاول الفكر الإسماعيلي تلمس صورة لذلك في القرآن ، وهذا ما دفعه لاعتبار سورة النحل ومن ضمنها الآيات ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ : (وألقي في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلاً لعلكم تهتدون ، وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفوررحيم).

إذن ، الفكر الإسماعيلي يتمسك بالنبي ، وآل النبي أشد التمسك ، وهذا مايدحض حجة القائلين في مادية هذا الفكر ، بل هو يلتقي أشد اللقاء مع الفكر الشيعي الاثني عشري ، في حبه الشديد لآل النبي ، لا سيما في تركيزه على الإمام جعفر الصادق ، كمرجعية لهذا الفكر.

وبذلك يمكن القول: إن محاولة رسم صورة أمنية للإمام الإسماعيلي تتطلب من الباحث العودة للتراث الإسماعيلي ، ومعرفة ذلك ، منذ بواكيره الأولى ، وهذا بدوره ما يجعل الباحث يقف على صورة تراثية ينقلها لنا الداعية المطلق علي بن الوليد حيث تبدو صورة الامام بشكل واضح خلال التصورات التالية: (٦٢)

– الرسول يقر أنه بشر وأنه جاء لتبليغ رسالة الإله للبشر ، ولما كانت حياته منتهية لهذا يتوجب أن يكون هناك إمام يتولى حمل الرسالة.

– على اعتبار أن ما جاء به الرسول يمكن أن يكون موضع زيادة أو نقصان ، لهذا يتوجب وجود الإمام كحارس وحافظ لهذه الرسالة.

– على إعتبار أن الرسالة جاءت في لغة العرب ، ولغة العرب تحتاج إلى التأويل ، لهذا يتوجب على حامل الرسالة أن يلم بهذه المهمة بحمل الرسالة وايصالها خير أمانة.

– على اعتبار أن قضية التأويل قد تؤدي إلى تفتيت الجماعة اذا زاد عدد العاملين بها، لهذا وجب وجود الإمام الواحد للحفاظ على وحدة الأمة.

– لما كانت بعض النفوس تميل لقهر الأخرين وقمعهم ، وجب أن يكون في الأمة من يوضح خطل هؤلاء وقد ورد في القرآن ، سورة النساء ، آية ٦٥ : (فلا وربك لا

٦٢–نفس المصدر،ص١٥٢/١ وما بعدها

يؤمنون حتى يحكمون فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما).

– لما كان الإله عادلاً ، لهذا أختص الأمة برسول عادل ، يعلمهم أحكام دينهم ، وما لهم وما عليهم ولهذا يتوجب أن يوجد في الأمة من ينوب منابه . وسبيلهم بذلك النص القرآني ، سورة المائدة ، آية ٣٥ (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة).

– الإله جعل مهمة النبي داعية في قومه إلى الخير ، سورة النحل ، آية ١٢٥ :(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).

إذن ، الإمام بعد النبي موكل بهذه المهمة حتى لا يكون الناس في ضلالة من أمرهم.

– لما وجد النبي أوكلت إليه مهمة الزكاة وغيرها ، وفي القرآن ، سورة التوبة ، آية ١٠٣ (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها). إذن ، الإمام سيقوم بهذه المهمة بعد النبي بهدف تطهير أموال المسلمين .

– على إعتبار أن الحياة فيها الفاسد ، وفيها بعض النفوس الشريرة ، فهذا ما يوجب إقامة الحدود بشرع الله ، وهذه من مهمة الإمام بعد النبي.

– لما كان النبي هو الحكم في زمانه ، كما ورد في القرآن ، سورة النساء ، آية٥٨(فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) ولهذا يتوجب أن يكون الإمام هو البديل عن ذلك.

– لما كان القياس محرماً عند الله في القرآن ، سورة الشورى ، آية ١٠ (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) وبذلك يتوجب إيجاد من يفتي بين الناس عند غياب الرسول . كما ورد في القرآن ، سورة الإسراء ، آية ٧١ : (يوم ندعو كل اناس بإمامهم) لذا وجب وجود الإمام بالنص.

– عندما أقر القرآن ، في سورة النساء ، آية ٥٩ : (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) مما يوجب طاعة الإمام.

– واذا كان الله قد نص على الثواب والعقاب ، وبين طريق الخير والشر للإنسان ، وهذه النصوص لا بد من حفظها ثم تعليمها للناس ، لهذا وجب الإمام .

لما كان الدين يحوي مجموعة من الشرائع ، والفرائض كالصيام ، والزكاة ، والحج وكان الرسول يقوم بها وقد مات، لهذا يتوجب من يقوم به (= الإمام) ودليل الإسماعيلية على ذلك ما ورد في القرآن ، سورة المائدة ، آية ٤ (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً).

إذن ، الإمام يقوم بمهام الرسول ، لعدم وجوده على الأرض بين الناس وهذا أمر واضح ، في النص والحديث ، عند الجماعة الإسماعيلية:

خاتمة

ثمة مجموعة من الحقائق والتصورات ، راحت تطرح نفسها في نهاية بحثي هذا ، وأخص منها :

– الإمام الإسماعيلي مرتكز العقيدة ، ومحور الدين ومن خلال شخصيته يمكن دراسة فكر الجماعة مما يفصح عن بناء مركزي ، الإمام يحتل فيه مركز السلطة ، وصنع القرار.

– الإمام الإسماعيلي ، كما تعتقد الجماعة الإسماعيلية ، وصل لمنصب الإمامة بالنص المتوارث ، والذي يعود بجذوره التاريخية للإمام علي بن أبي طالب.

– كل إمام مسؤول عن عنصره ، مما يوجب عليه السير بجماعته وفق مقتضيات العصر (= ربان السفينة) وإلا فهو مقصر في أداء واجباته الدينية نحو جماعته ، وسوف يحاسب من الإله عليها.

– الإمام ممثل النبي على الأرض ، على اعتبار أن زمن الأنبياء قد أنتهى ، وبذلك يتوجب عليه حفظ الرسالة، وتقديم الارشادات ، بما يخدم الجماعة ، والواقع والمستقبل.

– الإمام الإسماعيلي في فكر الجماعة الإسماعيلية يمثل خليفة الله على الأرض ، مما يتطلب تقديم الطاعة والاحترام له ، وأن مخالفة ارشاداته ، إنما هي خروج عن الدين.

– الإمام صورة للعلم ، والعقل ، والعقلانية ، وهذا ما يدفع الجماعة للاستنارة بفكره وعقله كلما دعت الضرورة ، وبذلك يكتسب الصفة المثالية في الفكر والمعاملة ، فهو المثل والقدوة للجماعة .

– الإمام هو رمز الجماعة في وحدتها ، والخروج عنه سيؤدي إلى التشتت ، والضياع ، والاختلاف بالرأي ، مما يعني ضرورة الالتفاف حوله ، كي تصان وحدة الجماعة وعزتها ، وما مرحلة الإنقطاع عن الإمام بالنسبة للجماعة في بعض المراحل إلا مرحلة ضياع حقيقية .

– طاعة الإمام ركن من أركان الدين ، ومرد ذلك المرجعية الدينية ، والتي قوامها النص القرآني ، والحديث النبوي كما تفسره الجماعة . وأخيراً أقول : ان رحلة الباحث

مع بحث إمام الزمان الإسماعيلي هي مسألة على غاية الأهمية والشفافية ، لا سيما أن شخصية الإمام شخصية محورية ، مما يوجب المناقشة العلمية ، والموضوعية والتي تستند بدورها لنصوص وثائقية مصدرها الخطاب الإسماعيلي ، قديمه وجديده ، عبر منهج أكاديمي ، هدفه المزيد من الحقائق العلمية ، والموضوعية .

الفصل السادس

واقع وآفاق التجديد في الخطاب الإسماعيلي(الأغاخاني)

- مقدمة.
- الإمام الإسماعيلي ودوره المحوري في التجديد.
- الإسماعيلية وقضايا العصر.
- الإسماعيلية والإسلام.
- خاتمة.

مقدمة

الإسماعيلية كحركة سياسية ، واجتماعية ، ودينية ، نبتت وترعرعت عبر كافة مراحلها داخل المنطقة العربية ، وربما استطاعت التوسع والانتشار إلى درجة أكبر من الحركات السرية الأخرى ، داخل المملكة الإسلامية . لولا تضافر مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية ، التي وقفت في وجه هذه الحركة ، لكانت الجناح الأكبر داخل الجماعةالإسلامية. والإسماعيلية كما عرف عن رجالها ، عبر التاريخ ، أنهم عايشوا التاريخ ، كما تطلبت الظروف ، فهم في الحرب مضرب مثل في الشجاعة والبطولة. (١) وفي حالة السلم ، هم نموذج المودة، والكرم والشهامة بل إن صح التعبير النموذج الحي للعربي الأصيل ، وهذا ما دفع المفكر الفرنسي النهضوي روسو ت ١٧٧٨ م للقول : (إنهم على جانب كبير من الكرم ، ولطف الأخلاق ويتمسكون بأهداف دينهم الذي يخالف مذهبهم القديم وهم أشداء عند الحاجة). (٢)

وربما تكون المشكلة الأساسية للقارىء والباحث في الفكر الإسماعيلي هي: مسألة التغيير المستمر. وبذلك يترتب المزيد من القراءة ، الكاملة والمتواصلة ، حتى يتمكن القارىء ، أو الباحث ، من الإلمام بالحركة . فالإسماعيلية بذلك تشكل حلقات متصلة ومنفصلة ، فهي متصلة كونها على علاقة كل واحدة بالأخرى ، وهي منفصلة لأنها تعبر عن ظروفها ومرحلتها ، مما يجعلها تبدو للباحث أشبه بالمسباح حيث ترتبط بخيط يجمع حباتها ، بالرغم من أنها مؤلفة من عدد من الحبات .

أمام هذا الواقع ، ورغم قيامنا بتقديم صورة لهذا التواصل والانقطاع ، إلا أنه ورغبة في الايضاح فقد أفردت هذا الفصل للوقوف بشكل واضح ومستقل ، كي تتضح المسألة أمام القارىء ، الذي يصعب عليه تتبع مثل هذه المسألة ، عبر مسار البحث.

والاسماعيلية كحركة سياسية واجتماعية ودينية ، دائمة التجديد ترتبط بشخص

---

١ – يبرز هذاالموقف البطولي أيام الحروب الصليبية بشكل خاص.

٢ – راجع ميشيل لباد،الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف،ص١١٢.

الإمام الإسماعيلي وفي المعطيات المادية والمعاشية للمجتمع الإنساني ثانياً . وبذلك لا تعرف الإسماعيلية الجمود ، أو الإنغلاق ، أو الأصولية ، تلك النزعات التي راحت تبرز وبقوة لدى الجماعات الإسلامية الأخرى من هنا يبرز الهاجس المعرفي لدى الجماعات الأخرى ، سواء أكانت إسلامية أو غيرها ، ومن واقع الإعجاب بالإنسان الإسماعيلي ، كإنسان عصري ، ومتنور ، في الاطلاع والتعرف على هذه الحركة وشعبها من حيث:

- الصورة الواقعية للإسماعيلية .
- كيفية التجديد الإسماعيلي المستمر .
- قوة تماسك الجماعة الإسماعيلية.
- سرية هذه الحركة عدا الأغاخانية.

وربما تبرر صعوبة فهم الإسماعيلية ، لذا يتوجب على الباحث.

- ضرورة فهم إجمالي للفكر الإسماعيلي قديمه وجديده.
- العودة للنص الإسماعيلي.
- الفهم المتكامل لهذا الفكر، وعبر محاوره الأساسية، الديني والسياسي، والاقتصادي، والتربوي. وهذا يتطلب من الباحث في الحركة الإسماعيلية ثقافة شمولية ، وتلك مسألة أصبحت محدودة ، لاسيما بعد ظهور التخصص.

إذن ، ثمة حقيقة لا بد من إقرارها وهي: ان الإسماعيلية كديانة تختلف عن غيرها من الديانات بانها دائمة التجديد. (٣)

وتلك قضية يقرها الخطاب الإسماعيلي نفسه. (٤)

٣-المصدر السابق،ص١١١.
أيضا:عبدالحليم الجندي،الإمام جعفر الصادق،ص٣٨٣.

٤-في خطاب الإمام الإسماعيلي الراحل:سلطان محمد شاه الحسيني(=الأغاخاني)نقرأ: (الإسلام والمذهب الإسماعيلي فيه يستحق الثناءوالإعجاب،إذأن المذاهب الأخرى قدأصابها التوقف أماالمذهب الإسماعيلي فيمثل الحبل المستمر الذي ينبعث مباشرة من رسالةالنبي محمد(ص))
راجع:سلطان محمد شاه الحسيني(=الأغاخاني)،الإرشادات،نيروبي٢٢/٢/١٩٣١،مكتبة المجلس الإسماعيلي بالسلمية ،سورية،بدون تاريخ،ص٢٥.

عبر هذا السياق تبرز أهمية التجديد في الخطاب الإسماعيلي، ومن خلال المحاورالتالية:

- الامام الإسماعيلي ودوره المحوري في التجديد.
- الإسماعيلية وقضايا العصر.
- الإسماعيلية والاسلام.

أولاً: الإمـام الإسماعيلي ودوره المحوري في التجـديـد:

يصدر عن الإمام الإسماعيلي بين الحين والآخر ، أو كلما دعت الضرورة تعليماته لجماعته ، والتي يطلق عليها اسم إرشادات ، والتي تعود بجذورها اللغوية للفعل رشد . أي اهتدى. وأرشد هداه ودله. والراشد: المستقيم على طريق الحق مع تصلب فيه ، ومنه: الخلفاء الراشدون. (٥)

وهذا الإرشاد يتوجب التمسك به، كما ينصح الإمام سلطان بقوله: (تمسكوا بارشاداتنا وتعاليمنا تناولوا السعادة في الدنيا والآخرة، وستكون معكم ، وستظل أرواحكم طاهرةنقية).(٦) والعمل بالارشادات سيحقق السعادة لأنها وجدت لخدمة أفراد الجماعة:(ستصبحون سعداء لو أطلعتم وعملتم بموجب ارشادات وتعاليم إمام زمانكم الذي يسعى دائماً لرفع مستواكم وانقاذ أرواحكم إن ربان السفينة وبحارته يمخرون الصخور . وأين تكون الماء الصالح والعمل الناجح ، والطريق نسير بهم إلى الشاطيء فيصلون بسلام، وهكذا يعلم الإمام موقع الطريق التي تقودكم إلى النجاة والسعادة في الدارين). (٧)

وهذه الارشادات تأخذ طابعاً مقدساً على حد تعبير الإمام الإسماعيلي : (ينبغي أن تعلموا بعيداً عن العواطف الشخصية أن قوانيننا المقدسة يجب أن تطاع وعلى أتباعي أن يطيعوا هذه القوانين المقدسة مهما تكن حتى انسخها، بارادتي المستقلة ، بأمر جديد)(٨) ودرجة الإخلاص لهذه التعليمات يجب أن تفوق كل إخلاص مهما كان نوعه، بما فيه الإخلاص الأبوي: (يخلص له ويتعلق بحبه أكثر من تعلقه بأمه وأبيه ونفسه وبكل ما

---

٥ – المعجم الوسيط، دارأمواج، بيروت ط١٩٨٦،ص٣٤٦.

٦ – الإمام سلطان محمدشاه الحسيني (=الأغاخاني)،الإرشادات،مانجي وادي١٩٠٣/١١/٥ ص١٣.

٧ – نفس المصدر،زنجبار ١٨٩٩/٧/٣٠،ص٤.

٨ – المصدرالسابق،ص٦٧،فنزيهاكس ١٩٤٢/٧/١٦

يملك ، من يتمسك بتعاليم الإمام من ذرية محمد وعلي فلن يخشئ شيئاً في الوجود، ويكمل دينه ، وينال بالتالي السعادة الابدية) (٩)

والإمام الإسماعيلي يمثل رجلا عصريا ، بكل ما تحمله كلمة العصرية من مداليل،ولهذانجد

–الإمام الإسماعيلي الراحل محمد يتولى قيادة عصبة الامم المتحدة عام ١٩٣٧ إضافة لمهامه الدينية .

– الامام الاسماعيلي الحاضر كريم الحسيني يجيد الفرنسية ، والانكليزية ، والفارسية، والعربية ، ويأخذ بكل التطورات العلمية. (١٠) لاسيما اذا أخذنا في اعتبارنا أن الإمام يتدخل بكل شؤون الحماعة الاقتصادية ، والثقافية ، والصحية ، عبر مؤسسات وبرامج يتم وضعها ؛ فهو دائم الاستماع لأخبار جماعته ، عبر توزعهم في العديد من مناطق العالم.(١١) والإمام الإسماعيلي إمام ناطق يصدر مجموعة من الإرشادات ، كلما دعت الضرورة ، كما أسلفنا وربما يجد الباحث في بعض الأحيان قيام الإمام بنسخ بعضها إذا وجد الحاجة لذلك ، وهذا ما يؤكده قول الإمام الراحل محمد حيث يعلن: (لأن الارشاد ينطبع بطابع العصر الذي صدر فيه فلذلك فإن الإمام موجود في كل عصر ليهدي الناس. لقد اجريت فترة امامتي عدة تغيرات في ارشاداتي مسايرة بالطبع تغيرات العصر...) (١٢)

والامام الاسماعيلي هو امام عصره ، وهو مسؤول عن عصره ، وما يربطه بالماضي هذا النور الخالد وبذلك يفصح الامام الراحل سلطان محمد عن ذلك بقوله: (نحن الأئمة تتغير صفاتنا الجسدية، أما ذلك النور فخالد سرمدي ينتقل من إمام إلى أخر ، ولن يطرأ عليه أي تبديل ، وسيبقى مستمرًا حتى يوم الفصل تأكدوا بارتياح أن نور جدي علي منجسد فيّ).(١٣)

ويظل الإمام الإسماعيلي يمثل نموذجاً متواضعاً، ولن يقول إلا ما يعرفه ، وهذا ما دفع الإمام الحاضر للقول: (الشيء الأول للإنسان أن يتعلم عندما يكون طفلاً ينبغي أن يكون متواضعاً ، وأنا نفسي لا أتجرأ أن أصرح بأنني أعرف كثيراً حول بعض الأشياء

٩–نفس المصدر،ص١١،دارالسلام،١٩٣٧/٢/٣

١٠–راجع:عارف تامر،الأمانة فيالإسلام،ص٢٣٧.

١١–انظرالمقابلة الصحفيةالتي أجراها الصحفي(لاكين ميشال كارلتون)مع إمام العصر الإسماعيلي(=الأغاخاني)،بلندن،تاريخ٢٦أيلول لعام ١٩٧٩،ص٥،٦.

١٢–الإمام سلطان محمدشاه الحسيني(=الأغاخاني)،الإرشادات،يص٨،لندن١١/٦/ ١٩٥١

١٣–المصدر السابق،ص١،٢،بومباي٨/٩/١٩٨٥

فالطبيب الذي أمضى خمساً وعشرين سنة بدراسة علومه، أو المهندس الذي قضى سنوات عدة في حقله فليس لي الحق أن أقول له ما ينبغي أن يفعله.)(١٤)

والإمام الإسماعيلي على اعتبار أنه مصدر القرار ، وهذا ما يجعل بعضهم يظن أن علاقة الإمام بجماعته هي علاقة مطلقة الصلاحيات ، مع أن الواقع المعاصر قد يفصح بعكس ذلك، إذا علمنا أن مشاكل الجماعة ، في منطقة معينة ، يتم مناقشتها أول الأمر ، في المجلس الاسماعيلي ، داخل المنطقة نفسها ثم ترفع المناقشة للمجلس الوطني ، ثم يقوم برفعها لمجلس الإمام ، بعد مناقشتها من جديد ، وبعد مناقشة مجلس الإمام لها وطرح رأيه ، يقوم الإمام بطرح رأيه ، وعندئذ يصبح القرار ملزماً للجماعة.

إذن ، الإمام هو آخر المتحدثين ، لكن طاعته واجبة ما دامت من صلب الدين ، وهذا ما يجعل الإمام الإسماعيلي المعاصر يقر بذلك بقوله: (فلا سلطة حكومية قادرة على فرض التنمية على المجتمع بل يجب أن تكون منفذة من الشعب ذاته ، ولكي يتمكنوا أن يفعلوا ذلك ينبغي علينا أن نخلق البيئة التي يتمكنون من خلالها أن يتحركوا). (١٥)

وبذلك يجد الباحث نفسه وجهاً لوجه أمام تطور معاصر لقرار الإمام الإسماعيلي ، بل أن تفاعلاً بين إمام العصر وجماعته قد تم ، وهذا التفاعل يجعل من قرار الإمام يمثل قراراً شعبياً بالرغم من النص الديني الذي يوصي بطاعة الإمام على اعتبار أن الإمام هو الناطق في عصره، وهو المسؤول عن عصره . (١٦)

لاسيما أن جماعة الإسماعيلية تأخذ بالحديث النبوي القائل : (من مات ولم يعرف إمام دهره مات ميته جاهلية). (١٧) وقول الإمام جعفر الصادق : (الجاهلية جاهليتان ، جاهلية ضلال ، أما جاهلية الكفر فما كانت قبل مبعث النبي (ص) وأما جاهلية الضلال فهي من جهل إمام زمانه فضل عن معالم دينه وغرق في طوفان البدع والضلالات).(١٨)

---

١٤ – راجع نص المقابلة الصحفية لوسائل الإعلام الأندنوسية مع الإمام كريم(=الأغاخاني) تاريخ ٢١ تشرين الأول ١٩٩٠،ص٦

١٥ – نفس المصدر،ص٣.

١٦ – راجع:هبة الله الشهرازي ت٤٧٠ه،المجالس المؤيدة،تحقيق مصطفى غالب،دار الأندلس،بيروت،ط١٩٧٤،١،ص٢٧٥.

١٧ – نفس المصدر،ص١١٩.

١٨ – نفس المصدر،ص١١٩..

حتى أن قضية العبادات ، تربطها الجماعة الإسماعيلية ، في تراثها ، من صوم وصلاة، بشخص الإمام . (١٩)

عبر هذا السياق ، يكون الإمام الإسماعيلي ، هو إمام عصره ، وهو مطالب بالعصر، وأخذ بما يجعله من تقدم ، مما يجعلنا نجد الإمام الحاضر لا يتردد بالقول لجماعته : (وليكن تطلعكم لعشر سنوات وخمس عشره سنة مقبلة، وليس فقط لسنة أو سنتين....)(٢٠)

وهذا التوجه المستقبلي ، جعل الإمام الإسماعيلي الراحل يدرك أهمية الشباب والعناصر الشابة ، بهدف التجديد ، مما جعله يوصي بالإمامة لحفيده كريم قائلاً: (نظراً للظروف التي تغيرت تغييراً أساسياً في العالم في السنوات الأخيرة ، ونظراً للتغيرات الكبرى التي وقعت ومن بينها اكتشاف العلوم الذرية فأني على يقين أن مصلحة الطائفة الإسماعيلية تقتضي أن يخلفني شاب نشأ وترعرع في السنوات الأخيرة وسط هذا العصر الحديث ، وأن تكون له نظرة جديدة للحياة عند تولي زعامة الطائفة الإسماعيلية لذلك أختار حفيدي ((كريم)) ليكون خليفة لي، وزعيماً للطائفة من بعدي...)(٢١)

وبذلك يكون الإمام الراحل قد أدرك ومنذ أياهه حاجة البلدان النامية للعلوم العلمية، وهي البلدان التي تنتشر فيها الجماعة الإسماعيلية ، مما جعله يدعو جماعته للأخذ بها قائلاً: (علموا أولادكم العلوم العلمية وأبعدوهم عن العلوم النظرية ، فالعالم قادم على انقلاب خطير وتطور سريع في ميدان الاستنباط والاختراع) (٢٢)

ويتابع حفيده كريم طريقه في الحض على العلمية والتقدم التقني بقوله : (كثيراً ما ذكركم جدي بأنكم تعيشون في العصر الذري ، ولكن ماذا نعني حقاً عندما نقول لكم؟ إن ما نعنيه ليس بكل تأكيد عصر اكتشاف القمر وحسب وانما هو مصدر الطاقة الجديدة غير المحدودة التي يستعملها البشر . ففي أمريكا اليوم تنشأ محطات الطاقة التي

١٩–نفس المصدر،ص٢٠١،٢٠٧.

٢٠–مثل هذا الرأي يبرزفي أكثرمن موقع.راجع:الإمام شاه كريم الحسيني(=الأغاخاني) ،ارشادات وتعاليم،ص٨ بومباي١٣/١٠/١٩٦٣.

٢١–راجع:مصطفى غالب،تاريخ الدعوةالإسلامية،ص٤٠٢.

٢٢–راجع:عارف تامر،الإمامة والإسلامية،ص٢٣١.

لا تحتاج إلى الفحم أو الزيت ولا إلى قوة للماء لادارتها ، هذه المحطات تعمل بقوتها الذاتية. وهذا شيء قريب مما يسمى سر الحركة الدائمة . من المؤكد تقريباً أنه في حياتي ستصدر الطاقة الى البلدان النامية، ومن هذه المحطات سوف تنطلق الطاقة وتخلق مدنا جديدة، وخطوطاً حديدية ومصانع وكل أسس) (٢٣)

والإمام لا ينفصل عن قضية أخرى ، تبدو في يومنا من أهم القضايا الفكرية المطروحة وهي: قضية التراث ، وربما تبرز خطورة هذه القضية في تحويلها إلى موروث، مما يجعل الجماعات الإسلامية وغيرها أكثر تمسكاً به ، وهذا التراث ، يأخذ مشروعية الاستمرار ، بحجة أنه تعبير عن نتاج الأمة وخصوصيتها من ناحية ، وأنه تعبير عن تجاربها الحياتية والمعاشية ، حتى أوشك أن يأخذ شكلاً مقدساً ، لا يصح تبديله ، أو تغييره ، أو الخروج عنه ، وأي محاولة للتبديل والتغيير يجب أن تنطلق من هذا التراث لتنال مشروعيتها. (٢٤)

إلا أن الإسماعيلية، ظلت بعيدة عن مثل هذه الإشكالية التراثية ، والجماعة الإسماعيلية تتطلع على هذه النتاجات ، على اعتبار أنها نتاجات فكرية ، ولم تقدم أي محاولة في هذا المجال ، وظل هذا التراث ، كما تنظر إليه الإسماعيلية ، على أنه تراث فقط ، مما أفقده إمكانية تحويله الى موروث.

ومثل هذا الإعتبار لدى الجماعة الإسماعيلية ينطلق من التصور التالي:

- تراث كل مرحلة يصور مرحلته ، ويلتصق بها.
- إمام العصر أو المرحلة، هو الذي يقرر ويطرح مشروعية فكرية معينة انطلاقاً من حاجات المرحلة وفق تغيرات الظروف.

وهكذا تكون الجماعة الإسماعيلية على خلاف الجماعات الإسلامية الأخرى في نظرتها لهذه القضية ويظل التراث لديها في موقع التراث، ولا علاقة له بالحاضر والمستقبل،

---

٢٣ – راجع: الإمام الحاضر كريم الحسيني (=الأغاخاني)، الارشادات، ٨١، الدرر الثمينة ص ٣٣.

٢٤ – برز في السنوات القليلة الماضية العديد من المشاريع التراثية على امتداد الساحة العربية. وأخص منها: كتابات حسين مروة، طيب تيزيني، محمد عمارة، محمد عابد الجابري، حسن حنفي بالرغم من اختلاف منهجيتها في تناول هذا الموضوع.

وبذلك تتمكن الجماعة الإسماعيلية التلاؤم مع الحاضر، وتنظر للمستقبل دون أن تجد العوائق في محالفة التراث. إذ المؤلفات التراتية هي تعبير عن مرحلة معينة، هي تمثل عصرها فقط، لكن ذلك يجب ألا يفهم منه على إنه دعوة للإبتعاد عنها، وعدم معرفتها، وكشف خفاياها.

ويبرر ذلك ، عبر تأكيد الإمام الحاضر بقوله : (لا ثقافة كاملة بلا مطالعة واسعة،إذ يستطيع الإنسان بواسطة الكتب والاتصالات الشخصية أن يفهم لماذا يفكر) (٢٥)

وهذه الثقافة كما يفهمها الإمام الحاضر ، يجب أن لا تكون ثقافة للثقافة ، وإنما للخبرة والحياة : (ليست الثقافة مجرد اكتساب المعلومات وحسب ، بل هي خبرة الحياة الطويلة حيث تحقق النزاهة والتواضع والأمانة والتفكيرالصحيح). (٢٦)

لأن العلم على حد تعبير الإمام الإسماعيلي هو مصدر السعادة: (انكم ستحققون مستقبلاً سعيداً ومزدهراً بالعلم والثقافة والعناية بأموركم الصحية . إذكروا هذا جيداً)(٢٧) لكن دراسة الكتب غير كافية دون العودة إلى إرشادات الإمام: (قراءة الكتب الدينية واجبة، ودراسة تعاليم الإمام وارشاداته ضرورية ، بهذا وحده تتنور عقولكم . قوموا بعملكم الدنيوي خلال النهار وطالعوا الكتب الدينية خلال الليل. (٢٨)

ويظل الإمام بالنسبة للجماعة الإسماعيلية ، هو كما لها العصروي : (لاشك بأن التغيير والتبديل قد طرأ على كل شيء في هذه الحياة، ان هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ البشرية تتطلب وجود الإمام ليهديهم إلى الطريق القويم ، ليس للإسماعيلية أي كتاب يهتدون به ، إمام زمانهم الحي موجود بينهم من اجل هدايتهم).(٢٩) فإمام الزمان لديه التعليمات الخاصة بعصره:خاصة بعصره: (لدى كل إمام عصر تعاليم وارشادات تتفق وعصره) (٣٠)

٢٥-راجع:الإمام كيم الحسيني(=الأغاخاني)،الارشادات،كراتشي٦/١١/١٩٥٨،ص٤٩.
٢٦-نفس المصدر،ممباسا،١٦/١١/١٩٥٧،ص٥٠.
٢٧-المصدرالسابق،دار السلام،٢٨/١١/١٩٥٧،ص٥١.
٢٨-الإمام سلطان محمدشاه الحسيني(=الأغاخاني)،الارشادات،زنجبار٢٨/٢/١٩٢٥، ص٢٩.
٢٩-نفس المصدر،بومباي٢٨/١٢/١٩٤،.ص٨.
٣٠-نفس المصدر،زنجبار٣٠/٧/١٨٩٩،ص٥.

فالإمام الإسماعيلي على درجة كبيرة وعالية من مواكبة العصر ، حتى أن الباحث لا يمكنه الفصل بين علاقته بالعصر ، أو علاقة العصر به ، فهو دائم السعي لمواكبة العصر.

عبر هذا السياق تفخر الإسماعيلية بانها تحمل فكراً وتراثاً لهما نزعة عقلانية تنويرية، وتفخر الإسماعيلية بأنها تعالج مشاكل العصر بروح العصر. وهذا ما يجعل الإمام الراحل سلطان محمد يعلن: (ليس في الكلمات المسجلة والأمثال السائرة ما يكفي لارشاد العالم في الدين . لأن الارشاد ينطبع بطابع العصر الذي صدر فيه، لذلك فأن الإمام موجود في كل عصر ليهدي الناس، ولقد أجريت خلال فترة إمامتي عدة تغيرات في ارشاداتي سايرت بالطبع تغيرات العصر. (٣١)

اذن ، هناك مستجدات ، وهناك إمام ومهمة الإمام النظر في المستجدات ، في التطور ، في العصر، ونقل الجماعة لهذا العصر ، حتى تعيش يومها ، بل ومستقبلها ، وبذلك يطرح الفكر الإسماعيلي مشكلة الحاضر والمستقبل.

وهذا ما دفع إمام العصر كريم شاه الحسيني ليخاطب جماعته قائلاً: (سابقوا زمانكم وتخطوا مشكلاتكم قبل أن تواجهكم). (٣٢)

وهذه المواجهة كما حددها لهم امام الزمان الحاضر ، تتمثل في قوله : (لا تخافوا من مستقبلكم ولا تتهربوا منه . استخدموا ثقافتكم وخبرتكم وعقلكم.... تطلعوا الى الإمام دون الالتفاف إلى الوراء وإذا ما تمكنتم من التطلع إلى أبعد من ذلك فافعلوا واستخدموا كل امكاناتكم من اجل خلق مستقبل زاه لكم) .(٣٣)

وعندما يصرح إمام الزمان بمثل هذا القول ، فأن هذا التصريح ، يمثل فكراً وسلوكاً للجماعة ، وبذلك تبرز لدينا الإسماعيلية ، كفكر مختلف عن الفكر الديني الأخر، لأن الفكر الأخر ما زال ينظر للحاضر بمنظار الماضي، في الوقت الذي راحت الإسماعيلية تنظر للمستقبل،ومن خلال المنطق والعقل والرؤية المستقبلية،لتجعل من أفرادها صورة للمستقبل المزهر

٣١–مثل هذا الرأي نجده في أكثر من موقع.
راجع:الإمام الراحل سلطان شاه الحسيني(=الأغاخاني)،الإرشادات،مانجي وادي٥/١١/٣. ص١٣.
٣٢–المصدر السابق،ص١٢.
٣٣–نفس المصدر،ص١٢.

ثانياً: الإسماعيلية وقضايا العصر:

لكل عصر طروحاته، وقضاياه ، وربما تكون هناك بعض القضايا تأتي في قمة سلم الأوليات ، من هنا يبرز نشاط بعض الأشخاص أو القوى، أو الجماعات ، على طريق تحقيق ذلك، وعبر كافة المستويات.

– على المستوى التنظيمي: يبرز التنظيم في حياة الجماعة ، بهدف تحقيق المزيد من الإنضباط ، والذي بدوره يؤدي للقوة ، ووحدة الصف ، وقد يرافق هذا التنظيم أحياناً، التجديد المستمر خدمة لذلك.

عبر هذا السياق تبرز الإسماعيلية كقوة منظمة، وهي دائمة التجديد ، لا سيما على مستوى الوظائف الدينية ، والعمل الديني ، حيث تبدو هذه القوى في كل مرحلة مختلفة عن سابقتها، ومحاولة معرفة الصورة الجديدة تبرز عبر الهيكلية التالية.(٣٤)

١ – سيف الدولة – أو وزير الدعوة ، أو وارث: وهي رتبة فخرية شرفية تمنح عادة لكبار زعماء الطائفة، يضاف إليها رتبة شرفية أخرى مثل: اتمادي ، رأي، علي جاه، كونت.

٢ – مكي: يشرف على تعيين موظفي المساجد ، ويراقب جباية الأموال وجمعها ويترأس المصلين وفي معظم الأحيان صاحب هذه الرتبة لا يتمتع بأي ثقافة دينية ، وهذا ما يخالف العهود السابقة ، وله في كل مسجد (جمعة خانا) أو يسمى وكيلا.

٣ – كاميرا – أو كاماديا: مهمته المحافظة على خزانة الدعوة ، والإعتناء بالشؤون المالية فقط.

٤ – ناظر مراقبة سير أمور الدعوة من الناحية المالية ، والاجتماعية ، والدينية.

٥ – واعظ: مهمته وعظ الاتباع ، وحضور المأتم لتلاوة آيات القرآن. ومع بداية عهد الإمام الحاضر ، سجلت الدعوة الإسماعيلية، وعلى المستوى التنظيمي ظهور المجالس والهادفة لخدمة الجماعة وخيرهم على حد تعبير الإمام الإسماعيلي. (٣٥)

٣٤–راجع: مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص٤٦، ٤٧.

٣٥– يقول الامام الحاضر(= الأغاخاني) بهذا الخصوص :(لا تنسوا أنني قد شكلت المجالس من أجل خيركم واذا كان لكم مأخذ على أحد المسؤولين اكتبوا إلى إمام زمانكم، إلا أن خلافاتكم يجب أن لا تنشر وتشاع في أي واسطة أو وسيلة إعلامية ، إني أعتبركم عائلة واحدة كبيرة ، وعليكم أن تحلوا الخلافات عن طريق التحكم والمفاوضات الودية (. راجع: الإمام الحاضر: شاه كريم الحسيني) = الأغاخاني(، الارشادات ، ص ٢٧ ، تالجفر ١٩٦٤/١٢/٢٣

وتتألف من:

١ – المجلس الإسماعيلي الأعلى: وتنحصر مهمته في الإشراف على شؤون الإسماعيلية من جميع النواحي وهو يعين من قبل الإمام ، ويتألف من الرئيس ، أمين السر ، وعدد من الأعضاء ، قد تصل في بعض الأحيان إلى عشرة.

٢ – اللجنة الثقافية: ومهمتها الإشراف على الأمور الثقافية ، والمدارس ، وانتخاب البعثات العلمية وفي البلدان الإسماعيلية كالهند والباكستان هناك عدة منظمات أخرى ، كالجمعيات الخيرية ، والنسائية ، والصحية ، والرياضية ، وروابط الطلاب مع إضافة أي منظمات حديثة تتوافق وتطور المجتمع الدولي المعاصر.

وبذلك تبرز صورة التنظيم الإسماعيلي أشبه بالتنظيم السياسي والاجتماعي العصروي، مما يجعل الجماعة الإسماعيلية ، تبدو منظمة ومتماسكة ، من حيث تقسيم العمل ، وعدم التداخل بين وظائف الأعضاء ، وتكون مسؤولية العضو عن عمله ، هي سمة عصرية تتناسب وخصائص المجتمع العصري الذي يأخذ بتقسيم العمل ، بهدف زيادة الانتاج .

– على المستوى الاقتصادي: القارىء للفكر الاقتصادي الإسلامي يقع على طرحين متناقضين وهما:

الأول: يصور الاقتصاد الإسلامي أنه اقتصاد اشتراكي.

الثاني: يصور الاقتصاد الإسلامي أنه اقتصاد رأسمالي.

وحقيقة الأمر أن المذاهب الاقتصادية المعاصرة ، رأسمالية أو اشتراكية ، انما هي مذاهب عصروية والفكر الإسلامي على إعتبار أنه يعود للعصر الوسيط ، فأنه على حد تعبير بعض الأئمة الشيعة الإمامية ، لم يقدم تصوراقتصادياً محدوداً رأسمالياً أو اشتراكياً.(٣٦)

عبر هذا السياق تبرز الإسماعيلية بدعوتها للعدالة في زمن المد الاشتراكي ، ويعبر عن ذلك إمامهم الحاضر بقوله : (إن هذا اللهاث وراء الراحة المادية ينبغي أن يحد منه لقاوة العقل والضمير والقيم التي يجب أن تصان وإلا فأن الإنسان سيتحول بكل بساطة إلى غرائز الحيوان الهمجية، فيطعم نفسه قبل الأخرين وعلى حسابهم ، ومن ثم يختزن

٣٦–راجع الإمام محمدباقرالصدر،اقتصادنا،ص٣٨١، ٣٨٤.

كل ما يستطيع على حساب الفقراء والمرضى، والجائعين . وستكون مأساة وجيعة لو أن أركان التقاليد الإسلامية في العدالة الاجتماعية والمساواة والتواضع وكرم النفس قد أضاعت قوتها أو تطبيقها الواسع في مجتمعنا الناشيء.....). (٣٧)

لكن التخلخل الذي حدث في المنظومة الاشتراكية ، جعلت الإمام الحاضر يطرح الاقتصاد الرأسمالي بقوله : (فالتطور الأقتصادي الرأسمالي الإسماعيلي مرتبط بالمفاهيم الغربية التي هي ليست مفاهيمنا ولكن الإمام له حق اتخاذ القرار في عدد كبير من المشاكل المطروحة وفي حال عدم توفر الإمام لجماعة مسلمة يمكن للدولة أن تعطي فتوى بعدم ايقاف المعامل خمس مرات في اليوم. وان شهر الصيام يجب أن لا يعيق الانتاج، فبأي مقياس يمكن أن نوفق بين مفاهيمنا والمفاهيم الغربية إن لم يكن في هذا العمل الدائم الحساس...).(٣٨)

ومثل هذا الطرح نجده يتسرب إلى بعض الدول الإسلامية ، ليطرح قادتها مثل هذا الطرح ضمن عملية الإسلام السياسي . (٣٩)إلا أن الحركة الإسماعيلية ومن موقعها كحركة تعيش في البلدان النامية (= سكانيا) وهذه البلدان تشهد حالة انهيار اقتصادي فقد كانت السباقة في دعوتها للترشيد الاقتصادي، وعدم التبزير ، منذ العشرينيات من هذا القرن وحتى اليوم ، وهذا الترشيد يتناول كافة جوانب الحياة.

– في مجال الألبسة: نقرأ قول الإمام الراحل سلطان شاه قوله: (يجب أن لا تسرفوا في انفاق المال على شراء الملابس ، وارتدوا الثياب البسيطة القابلة للغسل والتنظيف وتجنبوا تبذير المال من أجل اقتناء الحلي الثمينة).(٤٠)

– في مجال حفلات الزواج: دعوة الإمام واضحة بقوله: (يجب أن تقام حفلات الزواج ببساطة واقتصاد متناهيين) (٤١)

٣٧–راجع:الإمام كريم شاه الحسيني(=الأغاخامي)،الارشادات،ص٢٤،جامعةبيشاور ١٩٦٧/١١/٣٠.

٣٨–راجع:مجلةايله الفرنسيةعدد نيسان١٩٦٩،ص٣.

٣٩–تبرزهذه المواقف عندالرئيس التونسي الحبيب بورقيبة.
راجع:المنصف وناس،مجلة المستقبل العربي،العدد١٣١،لعام١٩٩٠،ص١٠٨.

٤٠–راجع الامام الراحل:سلطان محمدشاه الحسيني(=الأغاخاني)،الارشادات،ص٣٨، كراتشي ١٩٢٠/٥/١.

٤١–نفس المصدر السابق،ص٤٠،يونا١٩٥١/١/١٤.

– في مجال التدخين والمشروبات الروحية: يتابع الإمام الراحل قائلاً: (تجنبوا التدخين وشرب المسكرات لا لأن هذا السلوك يعتبر ذنباً وحسب بل لأنه عملية تسم الصحة واسراف في صرف المال فقيما يتعلق بنفقاتكم اليومية على شؤونكم الدنيوية فكروا مرتين قبل أن تسرفوا قرشاً واحدا) (٤٢)

والهدف من هذا الإدخار، هو للظروف الحرجة على حد رأي الإمام الراحل بقوله: (...لأن اليسر ليس بالأمر الدائم. إلا أنكم بالتوفير ، وزياده الطاقة الإحتياطية، تستطيعون أن تراجهوا الاوقات الصعبة في المستقبل القريب أو البعيد) (٤٣)

ويتابع الإمام الإسماعيلي كريم شاه الحسيني خطة جده في ضرورة الترشيد ، وعدم التبذير بقوله: (لاتسرفوا في الإنفاق ، عيشوا عيشة معتدلة في سبيل أن توفروا من دخلكم ما وسعكم ذلك ومن ثم ضعوا ما وفرتموه وديعة في المصارف لتؤمنوا استمرار الكسب لكم ولأولادكم وأحفادكم أيضاً) (٤٤) وبذلك تفصح الإسماعيلية عن فهم دقيق للواقع الاقتصادي لجماعتها ، بل هي تفصح عن حلول عملية كانت السباقة في طرحها على مستوى المجتمعات النامية. (٤٥)

على المستوى السياسي: ربما تكون مسألة علمنة الدولة من أهم القضايا التي يطرحها الخطاب السياسي في البلدان التي تعيش حالة تعدد ديني يكاد يوصل بعضها إن لم نقل أوصل بعضها لمرحلة الحرب الفئوية (= لبنان).والخطاب العربي بشكل عام، لم يستوعب حتى الأن فكرة العلمنة ، وهو يرفضها، ورفضه لها يعتمد على رؤية بأنها بعيدة عن الإسلام وإن الإسلام هو دين ودولة، من هنا نقرأ في الخطاب العربي على لسان محمد عابد الجابري قوله : (نحن نرى أن الإسلام دين ودولة ، ولكنه لم يشرع للدولة كما شرع للدين) (٤٦)

٤٢–نفس المصدر،ص٣٩،رسالة الىافريقيا،١٩٤٣/٣/١٧.

٤٣–نفس المصدر السابق،ص٤٢،مرسيليا١٩٥١/٥/٣١.

٤٤–راجع:الإمام الحاضركريم شاه الحسيني(=الأغاخاني)،الإرشادات،ص٦٥،حيدرآباد ١٩٦٤/١٢/٢١.

٤٥–الاعتمادعلى الذات بهدف التنميةفي طروحات بعض الإقتصاديين العرب اليوم. راجع:يوسف الصايغ،مجلة المستقبل العربي،العدد١١٤،لعام١٩٨٨،ص٨.

٤٦–راجع:محمدعابدالجابري،العقل السياسي العربي، ص٣٥٨

ويتحدث محمد عمارة بقوله : (العلمانية وافد غربي... استلهمها نفر من مصلحينا عندما ظنوا أن الإسلام هو ما قدمته لهم المؤسسات التراثية التقليدية التي عاشت وماتت في اطار التصورات الفكرية لعصر المماليك والعثمانيين) (٤٧)ويتحدث محمد سعيد رمضان البوطي بقوله : (أما العلمانية التي يدعوا إليها هواة التقليد فإنما هي سلاح كيد للإسلام وجسر ينصب إلى حربة والقضاء عليه...) (٤٨) لأن الإسلام كما هو معروف في الأوساط الاسلامية ، وأعني الإسلامية المحافظة ، فأن مفهوم سيد قطب ما زال هو المسيطر عليها حيث يعلن: (فالإسلام منهج ، منهج حياة ، حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها ، منهج يشمل التصور الإقتصادي الذي يفسر طبيعة الوجود ، ويحدد مكان الإنسان في هذا الوجود كما يحدد غاية الوجود الإنساني... ويشمل النظم والتنظيمات الواقعية التي تنبعث من ذلك التصور الاعتقادي وتستند اليه) (٤٩)عبر هذا الرفض للمشروع العلماني ، يأتي تأكيد أئمة الإسماعيلية في العصر الحديث على حض أنصارهم للتمسك بها ، يعلن الإمام سلطان محمد شاه الحسيني ، ومنذ سنوات بقوله: (... وان عليهم إذا كانت لهم شكاوى سياسية أن يراجعوا حكوماتهم الشرعية بإخلاص وولاء لقد كانت جميع تعاليمي وتوجيهاتي لاتباعي تحقيقاً لهذا المبدأ : اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) (٥٠)على المستوى الاجتماعي: تتميز الإسماعيلية في تأكيدها المستمر على العمل ، ورفض الزهد والتصوف واعتباره يمثل طريقا سلبيا ، في حياة الإنسان المعاصر. (٥١)

---

٤٧ – راجع: محمد عمارة، التراث في ضوء العقل، دار الوحدة، بيروت، ط ١٩٨٠، ص ١٨٢.

٤٨ – راجع: محمد سعيد رمضان البوطي، العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر، مطبعة خالد ابن الوليد، دمشق، ط ١٩٨٩، ص ٢٤٩.

٤٩ – راجع: محمد حافظ دياب، سيد قطب الخطاب والايديولوجيا، ص ٩٦.

٥٠ – راجع: الإمام سلطان محمد شاه الحسيني (= الأغا خاني)، المفهوم الإسلامي ودوري كإمام منشورات المجلس الإسماعيلي بالسلمية، سورية، بدون تاريخ، ص ٣٨.

٥١ يكتب الإمام الإسماعيلي الراحل سلطان محمد شاه الحسيني (=الأغاني). حيث يقول: فبعض المذاهب والجماعات والأفراد، قالوا : إن الوصول إلى الإستنارة والاتصال بالمطلق يتطلب قهراً للجسد وإماتة للشهوات وقد تكون هذه الطريقة سبيلاً للوصول لكنها برأينا طريقة سلبية لا تليق بإنسان هذا العصر الذي من أبرز سماته وأهم صفاته التي يقوم على أساسها أن يكون ملتزماً بهذا العالم وبقضاياه المصيرية...(. راجع: الامام الراحل سلطان شاه علي الحسيني) = الأغاخاني(، المفهوم الاسلامي ودوري كامام، ص ٦ ..

وبهذا المنظار فإنما تدعو إلى الجد والعمل في الحياة ، بل إن هذه النظرة للتصوف والزهد لا تختلف عن الدراسات العصرية عندما تعتبر التصوف انما هو موقف سلبي من الحياة. (٥٢)

و الاسماعيلية اذ تصف التصوف بالمرض فأنها دعت للعلاج ، وهذا العلاج يتمثل في التوازن ، بين الجسد والنفس. (٥٣) ومن هنا تبرز دعوة الإمام سلطان محمد شاه الحسيني لاتباعه بالزواج بقوله: (إن الرجل الذي لا يتزوج ، والذي يرفض ان يتحمل مسؤوليات الأبوة وانشاء بيت وتكوين عائلة عن طريق الزواج ، يذم ذماً شديداً . ليس في الاسلام انكارات متطرفة ولا قهر للجسد لخلاص النفس ولا إماتة للشهوات) (٥٤) والإمام الإسماعيلي سلطان محمد شاه ، لم يفهم الحياة بسلفيتها ، ولا الدين بمظاهره ، وانما كان يرى أن زيادة مظاهر الطقوس الدينية انما هي تعبير عن وهن ، وهي بعد عن الواقع ، فالعصر عصر علم، ومن يمتلك من هذا العلم أكثر ، سيكون له النصر ، دون النظر في دينه ، ولهذا كتب يقول: (يعتقد معظم الناس في باكستان أن انحطاط الدولة الإسلامية خلال الأعوام المئتين أو الثلاثمئة الأخيرة كان بسبب نسيان المبادىء الأساسية للإسلام . وأنا أوافق على هذا القول لكن يجب الانتباه لمعرفة ما هي المباديء التي نسيناها حقاً ، والمباديء التي لم ننسها ففي ايران مثلاً كان علماء الدين ذوي قوة ونفوذ في بدايات القرن التاسع عشر ، وكانت الطقوس الشرعية مصانة ، والاحتفالات الدينية منتظمة . وذهب الايرانيون إلى الحرب ضد الروس معتمدين على الصلوات فقط وعلى أسلحتهم

---

٥٢ – راجع:حسين مروة،النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية،ص١٠٠/٢.

٥٣ – نقرأ في الخطاب الإسماعيلي:(وبكلمة،ان من يحب ان يعيش حياة مليئة، غنية،متزنة،عليه أن يقيم توازنا بين واجباته تجاه روحه،فمن ناحية أولى عليه،أن ينظر الى الحياة الدنيوية على أنها كما قال الإمام واجب عظيم نبيل،وليست شيئا خسيسا حقيرا،إنها قدر شامخ رفيع،وعليه، من ناحية،ثانية أن ينظر إلى الحياة الروحية،على أنها شيء يجب أن يصلى باستمرار من أجل الوصول اليه)
راجع:الإمام الراحل سلطان شاه علي الحسيني(=الأغاخاني)،المفهوم الإسلامي ودودي كامام،ص٧.

٥٤ – نفس المصدر،ص،٢٠.

البدائية . فكانت النتيجة أن ذبحوا وهزموا . وفي تركيا وشمال أفريقيا كان الاستقلال يسلب برغم التشدد في إقامة الطقوس الدينية) (٥٥)

إذن ، الإسماعيلية تركز على العلم، والعمل ، والحياة العصرية ، وفي كافة المجالات، لا سيما الاجتماعي منها ، وهذا بدوره ما يدفعها وعلى الرغم من موقفها الريادي من تحرر المرأة ، إلى التأكيد بصورة مستمرة ، وعلى لسان أئمتها . فهم لا يتركون مناسبة إلا تحدثوا فيها عن تحرر المرأة وعن الفهم الديني ، والتاريخي ، لهذ القضية . وربما جاء موقف الإمام الإسماعيلي الحاضر سباقاً في الكشف عن حقيقة الحجاب ، والدعوة لخلفه بقوله : (الحجاب ليس إسلاماً وانما كان يوضع قبل الإسلام ، وكان القصد في بداية الأمر التمييز بين المرأة الحرة والجارية ، فالجارية لم تكن تضع حجابا وكان بالإمكان بيعها أو مبادلتها أما المرأة التي تضع الحجاب فلم تكن تحت تصرف الجماعة ومع ذلك لم يكن الحجاب رمز مميز وإنما أصبح زياً شعبياً) (٥٦)

ومثل هذه الرؤية التي تفصح عن فهم تاريخي لهذه المشكلة المتنازع عليها بين دعاة المحافظة ودعاة التحرر تأخذ طريقها لدى بعض المفكرين المسلمين مما يدفع أحدهم للقول : (وقد كانت عادة العربيات التبذل وكن يكشفن كما يفعل الإماء (النساء العبيد) والعاهرات ، وكان ذلك داعية إلى نظر الرجل إليهن . وكن يتبرزن في الصحراء (في عهد التنزيل) قبل أن تتخذ الكنف (دوريات المياه) فكان بعض الفجار يتعرضون للمرأة أو الفتاة من المؤمنات على مظنة أنها أمة أو عاهرة...) (٥٧)

وبذلك يفصح الخطاب الإسماعيلي عن دور ريادي في طرح بعض القضايا الإسلامية ، والتي تشكل في يومنا موضوعاً للنقاش ، بين المؤيد والرافض . ويفصح أيضاً عن موقف تنويري ، يهدف للكشف عن حقائق الأشياء ، حتى لا يستغلها أعداء الإسماعيلية للتشهير ، خلال رؤية المرأة الإسماعيلية وهي سافرة.

---

٥٥ – وهكذا تبرز الإسماعيلية أهمية التقنية في الحرب الحيّة عبر الاستفادة من دروس التاريخ

٥٦ – راجع: مقابلة الإمام شاه كريم الحسيني (=الأغاخاني) مع مجلة ايلله الفرنسية، ص ٣.

٥٧ – راجع: محمد سعيد العشاوي، معالم الإسلام، سينا، القاهرة، ط ١٩٨٩، ص ١٢٤.

– على المستوى التعليمي والثقافي: ما يميز الإسماعيلية عن غيرها من الحركات الاسلامية هذا الاهتمام الكبير في العلم والتعليم مما انعكس على درجة وعي وثقافة الجماعة بشكل عام، حتى وصلت نسبة المتعلمين والمثقفين في المناطق الإسماعيلية إلى أضعاف مثيلاتها في البيئات الإسلامية الأخرى ويبرز هذا الاهتمام بالتعليم من خلال:

– زيادة الاهتمام بالمعلمين بقول الإمام الحاضر: (أحبكم أن تتذكروا أنني أعتبر المعلمين قادة للجماعة ، وأن مهنة التعليم هي أكبر أهمية وشرفا بين المهن والمعلم هو إرث ابنائكم . اني امنح بركاتي الحبيبة الخاصة إلى العاملين في هذه المهنة ، وأحب أن أرى الكثير من الشباب يمتهنون التعليم لأن المعلم يصنع الرجال) (٥٨)

– والمدرسة يجب أن تكون حديثة البناء ، حتى تحقق راحة الطلاب: (ليس البناء المدرسي هو الذي يصنع الطلاب ، إنما المعلمون والطلاب هم الذين يبنون المستوى الثقافي الرفيع . والمدارس الجيدة البناء تسهل إمكانية إكمال التحصيل العلمي . والطالب الذي يدرس في مدرسة قذرة مظلمة لا يقدر على تحصيل العلم بالشكل الصحيح والمناسب)(٥٩)

وللمدارس مهام اجتماعية ، على حد تعبير الإمام الإسماعيلي الحاضر : (يجب أن تؤدي المدارس دوراً اجتماعياً وتعليمياً وذلك بأن تقوم بتوجيه الأطفال توجيهاً يرفع من مستواهم الحياتي ويجعلهم حريصين على رفع مستوى أولادهم في المستقبل وعلى المدارس إيضاً أن تكيف وجهات نظر الطلاب فتجعلهم يؤمنون بضرورة تطوير أسلوب الحياة المتبع حالياً.(٦٠)

والمطلوب من الشباب التعليم العلمي المعاصر ، في رأي الإمام الإسماعيلي المعاصر : (إني أريد من أبنائي الروحيين الشباب الذين تلقوا التعليم الحديث أن يقدموا خدماتهم إلى الجماعة كأن يقوم أولئك الذين نالوا الشهادات الطبية بجولات على المراكز الصحية دورياً. وأن يقوم المعلمون بخدماتهم التعليمية في المناطق الريفية خلال فترة معينة ، وأن

٥٨–راجع:الإمام شاه كريم الحسيني(=الأغاخاني)،الارشادات،ص٢٩، ٣٠ملتان ١٩٦٤/١١/٢٨.

٥٩–المصدرالسابق،ص٥٦،رانفوان١٩٦٠/٣/٢٣

٦٠–نفس المصدر،ص٥٦، ٥٧،كراتشي١٩٦٣/١١/٢١

يخصصوا شيئاً من جهدهم من أجل تقدم الجماعة. إني أمنح بركاتي الحبية لأولئك الذين تلقوا التعليم الحديث وقاموا بتقديم خدماتهم إلى الجماعة) (٦١)

فالتعليم هو غاية الحياة ، وهو الأمل والهدف ، ويفوق الأعمال الأخرى كالتجارية وغيرها ، لأنه المستقبل في رأي الإمام الإسماعيلي المعاصر : (إني أريد من أبنائي الروحيين أن يتموا تحصيلهم العلمي ، وان لا ينصرفوا إلى العمل في تجارة البيع بالمفرق ، بل أن يعلموا في مجالات الطب والقانون والهندسة والعلوم والمهن الحرة الأخرى. عندما تساعدون أبنائكم في اكمال تحصيلهم العلمي تتفتح أمامهم جميع المجالات فيعملون في المجال الذي يناسب، ويحقق لهم المستقبل الأفضل. (٦٢) فالعلم الحديث هو مفتاح المستقبل: (لقد شددت خلال السنوات الماضية على أهمية التحصيل العلمي ونيل الثقافة الكاملة اذ أن العلم الحديث هو مفتاح مستقبلكم، وبه تتدرب عقولكم على التفكير الذي ينتظركم وتختارونه لمستقبلكم) (٦٣)

ويربط إمام الحاضر تعليم المدرسة بتعليم البيت قائلاً: إذكروا أن تربية الأولاد وتثقيفهم في المدرسة امتداد واستمرار لتربيتهم في البيت ، وكما أنه يترتب على المعلم أن يولي اهتمامه للبيت الذي نشأ فيه كل طفل، يجب على الأباء متابعة اتصالاتهم بالمعلم للتعرف على النشاط الذي يمارسه أولادهم) (٦٤)

وهكذا يفصح الموقف الإسماعيلي من العلم والتعليم عن مواقف عصرية تفتقر إليها الجماعات الإسلامية الأخرى ، لا سيما اذا أخذنا في اعتبارنا أن الحركات الإسلامية بشكل عام ، تذهب عكس ذلك ، حيث تمنح التعليم الديني الدرجة الأولى والأخيرة، وتعتبر التعليم الحديث إنما هو ضرب من الكفر والالحاد.

إذن ، الحركة الإسماعيلية كانت السباقة في تلمس أهمية العلم الحديث والمعاصر ، وكانت السباقة في تعريف جماعتها على مشاكل التعليم، والأسس العلمية السليمة ، في بناء الشباب المتعلم والمعاصر . وظلت الجماعة الإسماعيلية إذ تنظر للحاضر ، وتتطلع

٦١-المصدرالسابق،ص٢٩،بومباي٣/١٠/١٩٦٢

٦٢-نفس المصدر،ص٥٦،ممباسا٣/١٠/١٩٥٩

٦٣-نفس المصدر،ص٥٤،دارالسلام٩/١٠/١٩٥٩

٦٤-نفس المصدر،كمبالا٢٧/١٠/١٩٥٧

للمستقبل تحاول الأخذ بكل ما يخدم الحاضر والمستقبل ، مما يجعلها تأخذ بكل العلوم ، ومن كافة الجماعات والأفراد ، سواء أكانت هذه العلوم علمية ، أو سياسية ، أو اجتماعية ، أو تربوية.

فالمكتبة الإسماعيلية لا تعرف الإنغلاق الفئوي، أو التخصص ، وهي تضم مؤلفات في كافة المجالات الفكرية ويمكن لأي قارىء سواء أكان من داخل الجماعة أو خارجها أن يتعامل وبنفس الطريقة والأسلوب. (٦٥)

وسوف يجد الزائر للمكتبة مجموعة كبيرة من الشخصيات الثقافية التي ترشده إلى الكتاب الذي تكمن به حاجته ، وربما يتمكن الزائر للمكتبة من إجراء المزيد من الحوارات، لا سيما أن المسألة الثقافية تمثل هاجساً حقيقياً لدى الجماعة الإسماعيلية ، فهم يحبون النقاش والحوار ومع كافة الناس. من هنا تبرز أهمية الإسماعيلية في مرحلتنا المعاصرة كحركة فكرية ، كانت السباقة في طرح الحوار الفكري قولا وعملا ، تلك المسألةالتي تأخذ طابعاً نظرياً عند الحديث عن الديمقراطية وضرورة الحوار بين الفصائل الفكرية والسياسةفي العالم كافة.

إذن ، الإسماعيلية كانت سباقة لمثل هذا الرأي ، وهي إذ تقدم على ذلك فإنما رائدها بذلك ضرورة الفهم المنطقي (=العقلاني) ، وربما كانت دعوة الإمام الإسماعيلي ، هي السباقة بهذا الخصوص ومنذ مطلع الستينات حيث، يقول: (يجب أن يكون لديكم في كل منحني من مناحي الحياة مفهوم منطقي قدموا تاريخ عقيدتكم بالشكل المنطقي ، فالمبدأ الأساسي في الإسلام يشير إلى انه دين منطقي مفهوم وواضح للعقل(٦٦)

وهكذا تكون الإسماعيلية قد فتحت مرحلة جديدة ، في حياتها الفكرية ، تنطلق من التلقين التي تعتمد المعلم إلى مرحلة الفهم والتحليل . وتلك هي مسألة على غاية الأهمية،لاسيمااذا أخذنا في إعتبارنا أن التعليم بشكل عام،وخاصة الديني ما زال يعتمد التلقين (= خطبة الجمعة في المسجد) مما يجعل الإسماعيلية تطوح بالطرق التقليدية لتطرح روية عصروية متقدمة تعتمد الحوار والبرهان العقلي والمنطقي.

٦٥-يمكن لأي شخص زيارةالمكتبةالإسماعيلية في السلمية،والتأكيدمن صحةما طرحناه ،سواءأكان على مستوى محتويات المكتبة،أوعلى مستوى نظام العمل في المكتبة.

٦٦-راجع.الإمام الحاضر:كريم الحسيني(=الأغاخاني)،الارشادات،ص١٣،كراتشي ١٩٦٠/٩/٢٧.

– على مستوى الطفولة وصحتهم: وتبرر الإسماعيلية الاهتمام الخاص والمميز بالأطفال على إعتبار أنهم أمل المستقبل ويمكن تلخيص هذا الاهتمام بالأمور التالية:

– ضرورة مراجعة الطبيب في حالة ظهور المرض: (خذوا أطفالكم إلى الطبيب حالما تبدو عليهم أعراض المرض ، لأن كثير من الأمراض ما يسهل شفاؤها في مرحلة الطفولة وتستعصي على الشفاء عند اكتمال النمو) (٦٧)

– ضرورة معرفة البيئة الجغرافية ، وتحقيق التلائم الصحي معها: (اذكروا أنه يجب أن توجهوا عناية خاصة إلى أطفالكم في الأشهر الحارة، فجنبوهم العيش في الأجواء المشبعة بالغبار لئلا يتعرضوا عندما يكبرون للوقوع ضحايا الربو انتبهوا إلى هذه المسألة وجنبوا أطفالكم عدوى هذا الداء الوبيل) (٦٨)

– ضرورة تلقيح الأطفال ، وهي مسألة توليها الدول المتحضرة أهمية كبيرة : (لقحوا أطفالكم ضد شلل الأطفال أنه لقاح محرب يؤدي الى المناعة ضد الشلل ويطور العلماء اليوم دواء وقائياً ضد الشلل يمكن تعاطيه عن طريق الفم ، فلا تتناولوا هذا الدواء إلا بعد اختباره وأني لأعتقد أنه من مصلحة أبنائي الروحيين تجنب هذا المرض ، لأنه داء يفقد كل طفل يصاب به، ويوجد بعض الظروف الأخرى للشفاء من هذا المرض ، إلا أنها تستغرق زمناً طويلاً وهي:

١ – ارتداء جهاز خاص للمعالجة.

٢ – التدليك الذي يستغرق زمناً طويلاً . اعيروا هذا الأمر الأهتمام الذي يستحقه)(٦٩)

– الاهتمام بالأطفال لا يكون بالتنظير ، وإنما بقوم الإمام بجولات ميدانية ، وعندئذ يصدر ارشاداته (لقد زرت كريم أباد ، ورأيت في بعض الشقق أطفالاً نائمين على أرض الغرفة أن هذا التصرف مؤذ لصحتهم. أنا لا أقول أنكم تستطيعون تغيير هذا

٦٧–نفس المصدر،ص٦٧،ممباسا١٤/١١/١٩٥٧.

٦٨–نفس المصدر،ص٦٩،كمبالا٢٥/٩/١٩٥٩

٦٩–المصدر السابق،ص٧٠،نيروبي٢٥/٩/١٩٥٩

الوضع خلال أسبوع ، إنما يجب أن تحاولوا بصورة مؤقتة رفع فراش أطفالكم عند مستوى أرض الغرفة حرصاً على صحتهم) (٧٠)

– وخير وسيلة لضمان صحة الأطفال في ممارستهم الرياضة : (شجعوا جميع الأطفال على القيام بالتمارين الرياضية في الهواء الطلق لمدة ساعتين على الأقل ، إن الرياضة هي الطريقة الفضلى لضمان صحة الجسم ، والتي هي أمر جوهري بالنسبة للعقل النشيط (٧١) لكن هذا الاهتمام بالصحة والرياضة ، ليس هو الغاية والنهاية ، وإنما المطلوب أيضاً إبعاد الأطفال عن الأعمال التافهة والضارة : (يجب عليكم أن توجهوا أبنائكم الوجهة التي تبعدهم عن الامور التافهة والضارة كشرب الخمر ، ولعب الورق (القمار)(٧٢) وبذلك يفصح الخطاب الإسماعيلي ، عن فهم متقدم لهذه القضايا ، لأن مثل هذه القضايا ، والتي كانت موضع اهتمام الإسماعيلية ، منذ الخمسينات هي الهاجس الأساسي لمجتمعات العلم لا سيما مجتمعات البلدان النامية في نهاية هذا القرن.إذن ، الخطاب الإسماعيلي ، يمثل خطاباً فكرياً متقدماً ، وهذا بدوره ما يجعل الجماعة الإسماعيلية في بلد معين، تمثل نموذجاً متقدماً ، إذ ماقيست بغيرها من الجماعات الإسلامية.

ثالثاً: الإسماعيلية والإسلام:

لا أحد من الباحثين ينكر أن الإسماعيلية هم جماعة إسلامية حيث:

١ – يكتب الكرماني ت ٤١١ هـ في مقدمة كتابه قائلاً: (الحمد لله رب الأباء والأمهات ، وخالق الحيوان والنبات ، الذي يسبح له ما في السموات والأرض أحمده وأشكره وأومن به ولا أكفره ، وأشهد إن لا إله الا الله المعبود الحق الذي أبدع الأشياء كلها على اختلاف جواهرها محمدا عبده المختار الذكي ، ورسوله البر التقي)(٧٣)

٢–ويكتب الداعي المطلق عبدان بنهاية كتابه شجرة اليقين : (الحمد لله الأعلى ، والصلاة على

٧٠–نفس المصدر،ص٧٠،كراتشي٢/١٠/١٩٦٠

٧١–نفس المصدر،ص٧٢،ماسيكا٢٩/١٠/١٩٥٧

٧٢–نفس المصدر،ص٧١،بومباي١١/٣/١٩٥٨

٧٣–راجع:أحمدحميدالكرماني ت٤١١هـ،كتاب الرياض،تحقيق:عارف تامر،دارالثقافة، بيروت،١٩٦٠،ص٤٧.

محمدنبي الهدى،وعلىوصيه وأساس دينه،وعلى الأئمةمن ذريتهم-حسبناالله نعم المولى الوكيل والسلام علىالمرسلين)(٧٤)

٣ – ويكتب الإمام الإسماعيلي الحالي قائلاً: (الإسماعيليون هم مسلمون والديانة الإسلامية تتفرع إلى فريقين هامين هما أهل السنة والشيعة، والإسماعيليون ينتمون إلى الشيعة الذين يتبعون بصفة خاصة أعضاء السلالة النبوية في الدين الإسلامي ، كما هو حال عائلتي المتحدرة من الإمام علي. إذن ، نحن فرع من الشيعة ، ولقد كانت مصر واليمن فيما مضى شيعتين واليوم فن قسما من العراق وإيران شيعة) (٧٥)

٤ – الجماعة الإسماعيلية كانت السباقة في الدفاع عن الإسلام والجماعة الإسلامية(٧٦) . الا ان ما يميز الجماعة الاسماعيلية عن غيرها ، هو في فهمها للإسلام حيثنجد:

– العصر الذهبي للإسلام هو الحاضر والمستقبل ، وهذا ما يفصح عنه إمام الإسماعيلية الحاضر بقوله: (من الأفضل أن تباشر بمشروع أمل المستقبل ينبغي على العالم الاسلامي أن يتجرأ ويواجه التحديات العديدة) (٧٧)

إذن ، الإمام الإسماعيلي يشغله هاجس الحاضر والمستقبل ، والذي هو هاجس علمي، وهذا ما دفع الإمام سلطان محمد عندما طلب منه المساهمة في بناء كلية اسلامية في مدينة مباسا–كينيا للقول (إنني لا أساهم إلا بإنشاء مدرسة صناعية كبرى لتعليم الصناعات المختلفة والمهن الحرة ، فقد كفانا نوماً وركضاً وراء الخيلات والاحلام) (٧٨) .

إذن ، الإسماعيلية تريد العصر بكل ما يحمله من قيم علمية ، وحضارية ، إنها تريد إنسان الحاضر والمستقبل ، وبذلك يكون الماضي لديها هو تراث ، ولن يتحول إلى مورث ، إنه في متحف التاريخ للحفظ والأمانة وإذا كانت الإسماعيلية في مرحلة العصر الوسيط قد عرفت حب الذات ، وتفضيلها على الآخرين لا سيما في مجال الفكر ، حيث يصور

٧٤–راجع:عبدان،شجرةاليقين،ص١٦٥.

٧٥–راجع:الامام شاه كريم الحسيني(=الأغاخاني)،الارشادات،ص١٧،مجلةاللهالفرنسية ١٩٦٩

٧٦–راجع:عبدالحليم الجندي،الامام جعفر الصادق،ص٣٨٣.

٧٧–راجع:نص مقابلةصحفيةمع وسائل الاعلام الأندونسيةتاريخ١٢/١٠/١٩٩٠،ص٦

٧٨–راجع:عارف تامر،الامامةفيالاسلام،ص٢٣٣.

الفكر الإسماعيلي على أنه النموذج العقلاني ، والمثالي ، وفكر الجماعات الأخرى قريب للخطأ ، إن لم نقل إنه على خطأ) (٧٩)

إلا أن الإسماعيلية المعاصرة ، وكما يبدو تأخذ بحديث الإمام الصادق ت ١٤٨ هـ: (خالقوا الناس بأحسن أخلاقكم ، وصلوا في مساجدكم وعودوا مرضاكم واشهدوا جنائزكم)(٨٠)

ولهذا نجد الإمام الراحل يعلن عن هذا الموقف المتسامح قائلاً: (إننا نحترم دائماً مذهب الآخرين ونقوم بالدفاع فقط عندما نهاجم) (٨١)

وهذا التسامح يساعد على حل المشاكل بالطرق السلمية أن يبقوا على علاقات طيبة مع كل الجماعات الأخرى غير الإسماعيلية ، فإذا كانت هذه العلاقات غير ودية فإن مشاكلنا ستكون صعبة ، وكلما كانت علاقاتنا مع الجماعات الأخرى أفضل كان حل مشاكلنا أسهل) (٨٢)

وهذا التسامح لن يجد طريقه إلا عبر الحب والتسامح والتعاون: (.... وانظروا إلى أبناء الطوائف الأخرى نظرة حب وتسامح وتعاون) (٨٣)

وهذا التسامح لن يجد طريقه إلا بالعمل الحقيقي: (إنني أرغب من جماعاتي أن ينالوا احترام كل إنسان وإعجابه اذكروا هذا وأفهموه جيداً واسلكوا سلوك الإسماعيليين المخلصين والجماعات الشريفة) (٨٤)

والجماعة الإسماعيلية رغم طابعها الإسلامي فهي تختلف عن الجماعات الإسلامية في موقفها المتسامح من الآخرين ، إنها تنظر لقضية الدين كمسألة شخصية ، فهي لا تبح حياة شخصاً ترك دينه ولهذا نجد:

١ – عندما أعلن المعري ت ٤٤٩ هـ عن تحريم أكل اللحوم ، وكانت سلطة الدولة الفاطمية ، نجد المراسلات الخطية حول ذلك بين أبي العلاء المعري ، وداعي الدعاة

٧٩–راجع:أحمدحميدالكرماني،تنبيه الهادي والمستهدي،ص١٩ومابعدهامن الجزء الأخير

٨٠–نفس المصدر،ص٣٧.

٨١–راجع:الإمام الراحل:سلطان محمد(=الأغاخاني)،الارشادات،ص٦٧،كان٤/١/١٩٣٢

٨٢–راجع:الإمام الحاضر:كريم الحسيني(=الأغاخاني)،الارشادات،ص٢٤،دمشق٢٣/٣/ ١٩٧٢.

٨٣–نفس المصدر،ص٢٥،دمشق٢٣/٣/١٩٧٢

٨٤–نفس المصدر،ص٤٧،نيروبي١٢/١٠/١٩٥٧

الفاطمي ((المؤيدفي دين الله)) ، ورغم إصرار المعري على موقفه ، نجد الموقف المتسامح للمؤيد بقوله : (والله تعالى يعلم أني ما قصدت به غير الاستفادة من علمه والاغتراف من بحره وسلام) (٨٥)

٢.. – وهذا الإمام الراحل: سلطان محمد عندما يعلم أن أحد أفراد الجماعة قد أقدم على قتل ثلاثة أشخاص لتخليهم عن الإسماعيلية ، نجده يعلن طرده وحرمانه من كافة الحقوق ، ومنع دفنه في مقابر العامة ، وبأنه سيترك الإمامة والقيادة لو تكررت مثل هذه الحادثة. (٨٦)

وبذلك يفصح الموقف الديني الإسماعيلي عن حرية الإنسان في تبني الإسماعيلية أو تركها ، حيث يبرز الامام الراحل سلطان محمد ، في موقع آخر يقول : (أوصيكم بأن لا تحملوا حقداً في نفوسكم لأولئك الذين أرتدوا عن مذهبكم دعوهم يسلكون طريقهم واسلكوا أنتم طريقكم القويم . من مبادئنا الرئيسية أن لا تحقد على أي مخلوق في هذا العالم . في عصرنا هذا توجد ديانات عديدة ، بينما كانت واحدة في عصر آدم ، ومع ازدياد البشر تعددت الأديان وتبنى كل فرد ديانة باختياره ، فاحترموا ديانة هؤلاء ليحترموا ديانتكم) (٨٧)

ثم يعلن : (لا تسيئوا بالكلام للاديان الأخرى ، ولا تسخروا من أحد) (٨٨)

وبذلك تكون الإسماعيلية أول جماعة جعلت من الدين مسألة شخصية ، في الوقت الذي مازلنا نشهد المزيد من أعمال العنف والإرهاب ، الذي تمارسه القوى الأصولية ، على بعض الأشخاص ، إذا بدر منهم أي موقف تحرري.

٨٥–راجع:نص الرسائل بين أبي العلاء المعري وداعي الدعاةالفاطمي المؤيدفي دين الله، خمسة رسائل مفيدة،المطبعةالسلفية ،القاهرة،ط١٣٤٩هـص٣٨.

٨٦–راجع:عارف تامر،الإمام الإسلام،ص٢٣٤.

٨٧–راجع:الإمام الراحل سلطان محمد(=الأغاخاني)،الإرشادات،ص٢٧،نكربور٢٥/١١/ ١٩٨٣

٨٨–نفس المصدر،ص٢٨،زنجبار١٦/٩/١٩٠٥

خاتمة

إذن ثمة مجموعة من الحقائق طرحت نفسها ، في نهاية بحثنا هذا ، وأخص منها.

– الإسماعيلية تحمل برنامجاً متكاملاً ، سياسياً ، واجتماعياً ، واقتصادياً ، وتربوياً ، وفكرياً ، وهي لا تتردد في الإفصاح عنه ، عبر سياق آلية الخطاب الإسماعيلي ، بكل وضوح وبساطـة.

– الإسماعيلية دائمة التجديد ، وآلية التجديد تتم من خلال .

١ – الإمام الإسماعيلي ، حيث يصدر إرشاداتـه ، وتعليمـاتـه ، بصورة مستمرة ، والتي تضمن بدوره ما يجب عمله في الحاضر والمستقبل ، وهو يمثل النور الذي يمتد من الماضي إلى الحاضر وصولاً للمستقبل.

٢ – الإمام يستمد إرشاداته وتعليماته من هذا النور أولاً ، ومن تجربة الغرب المتقدم ثانياً ، عبر إقامته هناك ، حيث يبرز ذلك بقوله : (بصورة مبدئية أعيش لأكون على اتصال مع المفاهيم الحديثة التي أمل تطبيقها في البلدان التي تأخذ طريق التطور. كما أن السفر إلى المغرب يسمح بأن أكون دائماً مجارياً للتقدم ويسمح لي أيضاً التخلص من وضع سياسي محلي)(٨٩)

– ثقافة العصر (= الحاضر) هي المطلوبة ، والتوجه للمستقبل إنما هو هاجس أساسي ، من القمة وحتى القاعدة ، وما التراث إلا صورة فكرية لمرحلة تاريخية معينة، وهي ليست في موقع الأهمية ما دام الإمام مسؤولاً عن عصره ، ويمثل عصره.

– الخطاب الإسماعيلي ، هو أول خطاب ديني طرح التسامح ، وجعل الدين قضية شخصية للإنسان مع حرية أفراد الجماعة في الإستمرار تبني الإسماعيلية أو تركها.

وأخيراً أقول : إن الإسماعيلية تنفرد عن غيرها من الديانات ، بأنها تمثل خطاباً متجدداً ، مما يدفع الباحث والمهتم لمزيد من الاطلاع والمتابعة، كي يتمكن من الإحاطة بها.

٨٩–راجع:مجلة ايلله الفرنسية،مصدرسابق،ص٢.

الفصل السابع

مناقشة التفسيرات العربية الإسلامية الراهنة للإسماعيلية

ـ مقدمة.

ـ الإسماعيلية عبر الخطاب الإسماعيلي المعاصر (الملتزم).

ـ الإسماعيلية عبر خطاب خصومها (الاسلام المحافظ).

ـ الإسماعيلية عبر الخطاب العلمي (الأكاديمي).

ـ بروز الإشكالية وإشكالية الحل.

ـ خاتمة.

مقدمة

ربما تكون الميزة الأساسية للفكرالإسماعيلي هذا النزوع الفلسفي .وقد تبرز الصورة بشكل واضح عبر التراث الإسماعيلي في العصر الوسيط (= كتابات الكرماني ت ٤١١هـ) مما يجعل الدارس يحس وكأنه أمامحاكاة الفلسفة اليونانية ، لا سيما أرسطو ، على اعتبار فلسفته مثلثمرتكز النزعة الفلسفية للعقل العربي القروسطوي . (١)

وهذا النزوع الفلسفي ، جعل هذا الفكر يبرز بصورة الفكر الحائر والمتمرد. حيث السعي الحثيث نحو معرفة الحقيقة من ناحية ، ومحاولة الانتقال من عالم النقل إلى عالم العقل من ناحية ثانية . لكن تجاوز البيئة الإجتماعية ، والثقافية العربية الإسلامية لم يكن بالأمر السهل ، ولهذا برزت الإشكالات بين أصحاب هذه النزعات من ناحية ، والبيئة العربسلامية بشكل عام من ناحية ثانية ، على اعتبار أن هذا النزوع الفلسفي كان يحمل بزور التغيير الاجتماعي والثقافي كما يفهم. والسلطوية الحاكمة تبحث عن الاستقرار من ناحية ثانية ، مما ولّد التناقض ، والصراع

عبر هذا السياق، ظهرت التناقضات، والعوائق، والإشكالات، أمام حركة النزوع الفلسفي وانتشارها. ونظر لأصحابها نظرة الشك والريبة، حتى انعكس على معاملتهم، مما دفع بعضهم للتستر(=اخوان الصفا). مع أن الجدل والشك الذي دار على ساحة الفكر والواقع لم يكن بالأمر السهل تجاوزه، وربما لم يكتب له الحسم حتى يومنا، مما جعل حصيلته مجموعة من التساؤلات تخص هذه الجماعة، بل وتذهب مذاهباً عدة، واذا كان بعضهم يعتبرهم من جماعة الإسماعيلية فإن بعضهم الآخر يرفض ذلك زاعماً أن تجربة إخوان الصفا تمثل تجربة فلسفية إنسانية، تجعل من أصحابها فوق النظرة الفئوية.

إذن ، ثمة سجال فكري ، ما زال قائماً فيما يخص حقيقة إخوان الصفا ، وهل هم جماعة إسماعيلية أم جماعة فكرية مستقلة؟ وربما ينقلنا هذا السجال إلى قضايا أخرى

---

١ –راجع:معن زيادة،معالم علىالطريق تحديث الفكرالعربي،عالم المعرفة،العدد١١٥، الكويت١٩٨٧،ص١٢٨.

كانت وما زالت موضع الدرس والبحث ويبرز في مقدمتها: قضية التأويل ، والباطن والظاهر ... تلك القضايا التي كانت وما زالت تمثل الهاجس الأساسي في الفكر الإسماعيلي أولاً، وفي الفكر العربي ثانياً(٢)وبذلك يسجل الفكر الإسماعيلي مع غيره (= المعتزلة) بادرة سجالية كانت وما زالت قائمة، حتى أنها قادت بعض الباحثين إلى اتجاهات عدة.

من هنا يكون الفكر الإسماعيلي ، ومن خلال تضمنه بعض النزعات الفلسفية أولاً، وقضية الباطن والظاهر ثانياً ، قد سجل بادرة سجالية في بواكيره الأولى (= بين الغزالي وعلي بن الوليد) وما زالت مستمرة حتى يومنا وحتى نتمكن من التعرف عليها ، أو نلامس بعضها لابد من الوقوف عليها عبر الخطاب العربي المعاصر . وهل ستكون صورة سجال اليوم هي تكرار للأمس أم أنها تحمل الجديد؟

ومعرفة هذا الواقع على حقيقته ، قد يكون على غاية الأهمية ، من حيث أنه يجعل الباحث يقف وجهاً لوجه أمام رؤية الفكر العربي المعاصر على حقيقته، أي هل هو فكر إبداعي ؟ أم أنه فكر جمودي ما زال يجتر الماضي ؟ ولهذا أجد أن مسوغات البحث وموضوعيته تدفعني لبحثه عبر المحاور التالية:

- الإسماعيلية عبر الخطاب الإسماعيلي المعاصر (= الملتزم).
- الإسماعيلية عبر خطاب خصومها (= الإسلام المحافظ).
- الإسماعيلية عبر الخطاب العلمي (= الأكاديمي).
- بروز الإشكالية وإشكالية الحل.

أولاً: الإسماعيلية عبر الخطاب الإسماعيلي المعاصر (= الملتزم):

الاسماعيلية كحركة باطنية ما زالت تحافظ على سريتها ، عدا قسمها الأغاخاني. مع استمرار تحفظه في بعض القضايا والمواقع ، أحياناً ، أمام هذه السرية لم يكن بالإمكان دراسة الحركة دراسة علمية ، وظلت مسألة الشك أحياناً ، أو محاولة وضع تصورات فكرية أحياناً أخرى هي الطاغية على الساحة الفكرية.

---

٢ –من هنا قادتخوف السلطويةالعربسلاميةإلىإحراق رسائل إخوان الصفافي الشارع العام ووسمهابالخروج عن الشريعةالدينية خشيةانتشارها.
راجع::ت–ج–دي بورتاريخالفلسفة في الإسلام،مصدرسابق،ص١٧٥.

عبر هذا السياق أقول: إن معرفتنا كمعاصرين بالإسماعيلية إجمالاً ما زالت محدوده عدا فرعها الأغاخاني، والذي ساهم في تقديم بعض المعلومات عن الإسماعيلية كتراث أولاً، وكصورة عصرية فيما يخص فرعها الخاص .

من هنا عرفت الساحة الفكرية ، بعض الكتابات الإسماعيلية ، بعضها كان محققاً ، وبعضها الآخر يمثل عملاً إبداعياً. والحديث عن هذا النشاط الفكري يدفعنا للوقوف أمام الشخصيات التي أسهمت فيه وأخص منها:

– عارف تامر : شاعر ، وكاتب ، وأحد الوجوه الإجتماعية الإسماعيلية ، بل وأبرزها فكراً ، عرف بخدمته للإسماعيلية والفكر الإسماعيلي منذ بواكيره الكتابية ، وحتى اليوم. بين محقق للتراث الإسماعيلي من ناحية، وكتابة فكره وتاريخه من ناحية ثانية (=للفكر الإسماعيلي) ، وبذلك يكون قد كرس حياته لخدمة الإسماعيلية ، إلا أن ذلك لم يمنع بعض معاصرينا من تسجيل بعض التحفظات على أسلوبه في الكتابة. (٣)

–أسلوب أدبي روائي.

– بعض التناقضات والمغالطات التاريخية.

– تكرار ما قاله سابقاً.

أسلوب قديم، وبعيد عن منهج البحث العلمي، لا سيما فيما يخص تحاهل المصادر التي اعتمدها في كتاباته.

– تركيزه على الذات والإرث العائلي.

ومثل هذا النقد يبدو أنه على غاية الأهمية في البحث العلمي المعاصر ، ويجعل من كتابات عارف تامر تفقد صيغتها ، التأريخية والعلمية ، ويحكم عليها بالكلاسيكية والروائية ، وتلك سمة سلبية في مسيرة البحث والكتابات بالنسبة لأي باحث.

لكن هذا النقد يجب أن لا ينسينا فضائل عارف تامر ، وربما تكون فضيلته تعريف المجتمع الإنساني بالإسماعيلية عبر الكشف عن كنوزه الدفينة من ناحية ، والكتابة فيه من ناحية ثانية أعظم من أي نقد يوجه إليه ، لا سيما وأن عارف تامر ، وكما هو في الواقع مرجع الفكر الإسماعيلي . إذن ، هل يحتاج المرجع والأصل إلى مرجع؟ وهل من علمية البحث العلمي أن

---

٣ –راجع:رضوان السيد،مجلة الناقد،العدد٥٠،لعام ١٩٩٢،ص٣٢ومابعدها.

تكون معظم مصادر الباحث ،ان لم نقل كاملها للباحث؟ و لماذا لا يوفر الباحث على نفسه بمثل هذه الحالة تدوين المصادر ما دامت صادرة عنه؟ وهل ذلك يغير في مسار البحث ونتائجه إذا كان الكاتب هو المصدر نفسه؟ وهنا يخيل لي: إن عارف تامر لو سجل مصادره لسوف يتهم بالغرور والذاتية ، لذا يكون في عدم تسجيله لمصادره فضيلة علمية وموضوعية تسجل له.

يضاف لذلك أن عارف تامر كشف الستار عن حركة ظلت مستترة منذ بواكيرها وحتى اليوم ، ومثل هذا العمل يحمل الكثير من المخاطر لصاحبه لأن الجماعة قد تعتقد أنه كشف أسرارها ، مما يوجب عقابه ولن يكون العقاب بهذه الحالة بسيطاً ، لذا قد يجد عارف تامر نفسه مضطراً لعدم تدوين مصادره كي يقال إذا احتاج الأمر أن ما كتبه رؤية ذاتية . لكن هل ذلك حقيقة ، وهنا يخيل لي أن قراءة كتابات عارف تامر أولاً ، والتراث الإسماعيلي ثانية ، تكشف للباحث أن هذه الكتابات من مصادر إسماعيلية وقد أخذت بدقة متناهية (٤) مما يسدل عليها ستار العلمية والمشروعة.

–مصطفى غالب:وقدعرف عنه خلال حياته التزامه بالفكر الإسماعيلي ، بل ويمكن القول:ان حياته كانت في خدمةالفكر الإسماعيلي بين التحقيق والكتابة منذ بواكيره الأولى وحتى موته عام١٩٨١إلا أن ثمة بعض المآخذ يسجلها بعض الباحثين من معاصرينا على مسيرته الفكرية ، ومنها: (٥)

–التمسك المتشدد في المذهب الإسماعيلي.

– نسبة بعض القضايا الفكرية للاسماعيلية في الوقت الذي لم يستقر بها البحث بعد(= إخوان الصفا) .

– وسم التاريخ الإسماعيلي بالإيجابية المطلقة ، في الوقت الذي تعتبر فيه الأحكام المطلقة ، أحكام العصر الوسيط.

٤–قارن بهذالخصوص بحثه القيم عن الإسماعيليةوالنشورفي دائرةالمعارف،العدد١٣ ، بيروت١٩٨٠ .وبين كتاب الداعي حسن بن نوح الهندي البهروجي،كتابالأزهار،ومجمع الأنوار،تحقيق:عادل العوا منشورات الجامعة السورية، عام ١٩٥٨.

٥ –راجع:علي زيعور،مجلةالباحث،السنة التاسعة،العدد٤٥،بيروت١٩٨٧صص١٠١،١٠٢.

– إسقاط بعض المصطلحات العصرية على القضايا التراثية بحيث تبدو وكأنها عصرية ، وبذلك تفقد بعدها التاريخاني ، مما يقلل من مصداقيتها .

– الذاتية في البحث (= العاطفة) حيث المديح على من نحب والسب والشتائم على من نكره ، وبذلك تفقد الموضوعية وجوديتها ومثل هذه الاعتقادات تطوح بالموضوعية والعلمية في بحوث مصطفى غالب وتجعل من كتاباته كتابات أقرب إلى مستوى كتابات كتاب الفرق الإسلامية في العصر الوسيط ، من خلال التزام هؤلاء الكتاب بفئة معينة ، في الوقت الذي يسجل العصر سمة العلمية والموضوعية. وهنا يخيل لي أن مشكلات مصطفى غالب في الكتابة ، ربما تكون قريبة لمشكلات عارف تامر ولذا يمكن القول: إن عارف تامر ، ومصطفى غالب ، هما شخصيتان إسماعيليتان قد تمكنا من تسجيل الدور الريادي في الفكر الإسماعيلي المعاصر ، سواء أكان ذلك على مستوى التحقيق أو الكتابة.

إذن ، عارف تامر ، ومصطفى غالب كان لهما دور الريادة في مجال الفكر الإسماعيلي المعاصر لسببين أساسيين وهما:

– الكشف عن تراث هذه الحركة بعد أن عاش سنوات عديدة في بيوت التقية.

– كتابة تاريخ وأعلام ، وقضايا الفكر الإسماعيلي بأسلوب سهل وبسيط يمكن فهمه دون السير وراء التفسيرات الباطنية.

وبموجب ذلك أصبح الباحث المعاصر ، ومن غير الجماعة الإسماعيلية يمكنه الدرس والبحث لهذه الحركة السرية. وتوفير هذه النصوص قد يحمل في بعض الأحيان الخطر على هذه الجماعة ، على اعتبار أنه يكشف عن حقيقتها ، والتي ربما يرفضها الآخرون، مما يقود لبروز حملة عنف جديدة تشنها الجماعات الأخرى ، بحجة من قمة أدنية. والباحث المعاصر إذ يدرك مثل هذه الإشكالات ، سوف يدرك أهمية ودور عارف تامر ليس على مستوى الفكر الإسماعيلي وإنما على مسار الفكر والبحث العلمي المعاصر.

ثانياً: الإسماعيلية عبر خطاب خصومها (= العربي الإسلامي)

– محمد عابد الجابري: وتصور الجابري للإسماعيلية يحمل الدلالات التالية:

١ – يطرح الرؤية الإستشراقية لا سيما الفرنسية.

٢ – يطرح تصور النص السلطوي العربي الكلاسيكي.

٣ – يحمل التناقضات التاريخية ويبرز ذلك في عدم دقتها.

٤ – عدم دراسة الإسماعيلية من الداخل ، وبذلك ينتج عدم مفاعلة الداخل بالخارج، وتلك قضية منهجية تبدو على غاية الأهمية في البحث العلمي المعاصر.

عبر هذا السياق يتهم الجابري الشيعة بالتهرمس. (٦) ثم يعمم هذه التهمة ليطبقها على الفكر الإسماعيلي بشكل عام . (٧) وهذه النزعة (= الهرمسية) يأخذ بها الجابري عن الباحث الفرنسي فوستيجيير ، حيث يعتبر الهرمسية تجمع بين الدين والفلسفة ، مما يؤدي إلى تشويه العلم والدين على حد رأي الجابري. (٨)

لكن ما فات الجابري هو أن الإقرار بالهرمسية يعني التسليم بالمركزية الأوربية ، لأن البحث الأوربي المعاصر إذ يطرح الهرمسية إنما يهدف للقول: أن ثقافة المنطقة العربية تعود بجذورها إلى أصول أوربية وبذلك يقع الباحث العربي عند تسليمه بمثل هذا الرأي ضحية المركزية الأوربية من ناحية ، وضمن تصورات السلطوية العربية الإسلامية القروسطوية التي انطلقت من اعتبار هذه الحركات هي حركات شعوبية ، مما يوجب ضرورة الخلاص منها.

من هنا جاء قول الجابري إن الإسماعيلية تعود بجذورها التاريخية إلى ميمون القداح.(٩) وهو إذ يحدد ميمون كمؤسس للدعوة الإسماعيلية إنما يهدف للقول: إنها حركة شعوبية ، مع إن مراجعة النص الإسماعيلي توضح أن ميموناً هذا من أصل عربي . لكن المغالطة الأكبر تتم عندما يضع التزامن بين حمدان قرمط زعيم الحركة القرمطية في العراق ، وبين أبي الخطاب مؤسس فرقة الخطابية. (١٠)

علماً أن أبا الخطاب قد عاش في زمن جعفر الصادق ت ١٤٨ هـ ، وأن الإمام جعفر قد طرده من مجلسه وأعلن بطلان دعوته ، حيث قتل عام ١٣٨ هـ . في حين أن حمدان قد برزت دولته حوالي ٢٨٧ هـ .إذن ، هناك أكثر من قرن من الزمن بين حمدان وأبي الخطاب.

٦–راجع:محمدعابدالجابري،تكوين العقل العربي ص ٢٧٥.
٧–نفس المصدر،ص٢٧٢.
٨–راجع:محمدعابدالجابري،نحن والتراث،دارالتنوير،بيروت،ط١٩٨٥،ص٣٠٥.
٩–راجع:محمدعابدالجابري،بنيةالعقل العربي،ص٣٣٣.
١٠–راجع:محمدعابدالجابري،تكوين العقل العربي،ص٢٢٩.

ثم يضيف الجابري قائلا: وتحولت الفرقة الخطابية إلى فرقة إسماعيلية. (١١) وهنا يبدو للباحث أن الجابري يجهل تاريخ الفرق الإسلامية، والمصير الذي آلت إليه ، ثم يجهل حقيقة الإسماعيلية التي ترفض ربطها بالخطابية. (١٢) يتابع الجابري حديثه اللاتاريخي في تاريخ الإسماعيلية عندما يعتبر أن أولنجاح لها كان في تونس عام ٢٩٦هـ(١٣) وبذلك يطوح بالدولة الفرمطية في العراق كأول دولة إسماعيلية ، ثم تأتي الدولة الفاطمية في مصر بعد أن فشلت الدولة الإسماعيلية القرمطية من الاستمرار في الشرق.

ثم يضيف الجابري أن هذا النجاح للدولة الفاطمية في مصر لم يتجاوز الخاصة(=الدعاة). (١٤) ودليله على ذلك زوال العقيدة الفاطمية من مصر . وهنا يبدو لي أن الجابري يتجاهل حقيقة أساسية أثرها الفكر الخلدوني مع أنه ممن يتمسك به ، ومفادها: الناس على دين ملوكهم . إذن، من الطبيعي أن زوال الدولة الفاطمية سيرافقه زوال العقيدة أيضاً.

وأما عن رأيه بشأننجاح الدولة الإسماعيلية في الشرق بالفكر والثقافة . (١٥) وجاء في مرحلة متأخرة (= حسن الصباح) : في الوقت الذي نجد أن مراجعة النصوص التاريخية للإسماعيلية وغيرها يفصح عن أن مرحلة حسن الصباح قد جاءت متأخرة من عمر واستقلالية الدولة العربسلامية . بحيث دخلت البلاد العربية في مرحلة الانحطاط ، والإحتلال الإستعماري . يضاف لذلك أن الواقع يفصح عن عكس ما ذهب إليه الجابري من نجاح الإسماعيلية في الشرق حيث يبرز نجاحالإسماعيلية في الأمور التالية:

١ – زرع الثقافة الإسماعيلية داخل بنية الدولة العربية.

٢ – استمرار إيمان بعض المناطق بها حتى اليوم ، كما في بعض مناطق سورية،واليمن

١١–نفس المصدر،ص٢٢٨.

١٢–راجع:النعمان بن محمد ت٣٦٣هـ،كتاب المجالس والمسايرات،تحقيق:الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح،محمدالهلاوي،المطبعةالرسميةللجامعةالتونسية،ط١٩٧٨،ص٨٤.

١٣–راجع:محمدعابدالجابري،تكوين العقل العربي،ص٢٦٨.

١٤–نفس المصدر،ص٢٦٩.

١٥–نفس المصدر،ص٢٧٠.

إذن ، خطاب الجابري عن الإسماعيلية بحاجة لمراجعة جديدة ، وهو يحمل الكثير من الجهل بحقائق التاريخ ، حيث يبدو وكأنه يقحم نفسه بموضوع لا علاقة له به ، بل ربما أقدم على مثل هذا الحديث ليبرز بطلان الفكر العربي غير السلطوي ضمن اعتبارات التشويه التاريخي تارة ، وضمن عملية توجيه المرسمية تارة ثانية.

– الشيخ طه ولي: الخطاب الفكري للشيخ طه ولي عن الإسماعيلية ، يبدو على غاية الأهمية ، وبل يحمل الإشكالية الممثلة في إشكالية المادة والمنهج:

– على مستوى المادة: يناقش الشيخ طه الحركة القرمطية ، ويحاول رسم خطوطها العامة ، وربما كانت أبرز طروحاته.

١ – الحركة القرمطية ، حركة شيعية ، والتشيع جاء ستاراً لهدم الإسلام . (١٦)

٢ – التشيع حركة شعوبية ، وهذه الحركة متعاونة مع الأجنبي . (١٧)

٣ – القرمطية حركة فارسية ، وعدوانية . (١٨)

٤ – الإسماعيليون هم القرامطة ، وهم الحشاشون . (١٩)

٥ – الإسماعيلية لديها الإباحة الجنسية. (٢٠)

٦ – الإسماعيلية تؤمن بتناسخ الأرواح . (٢١)

ومثل هذه الطروحات تجعل الباحث الموضوعي يطرح التساؤلات التالية: إذا كان الشيخ طه قد هدف من كتابه إلى القول: أن القرامطة أول حركة إشتراكية في الإسلام فهل مثل هذه الطروحات هي طروحات في الإشتراكية؟ ؟ ثم أين هو البناء الاقتصادي للدولة القرمطية ليعرف القارىء إذا كانت الحركة القرمطية هي حركة اشتراكية أم لا ؟ ثم هل في اجترار أقوال الآخرين من الغزالي ت ٥٠٥ هـ والشهرستاني ت ٥٤٨ هـ والبغدادي ت ٤٢٩ هـ هو عمل إبداعي ؟ وهل تكتمل عملية البحث العلمي والموضوعي

١٦–راجع:طه ولي،القرامطة،دارالعلم للملايين،بيروت ط١٩٨١،ص١١.

١٧–نفس المصدر،ص١٣.

١٨–نفس المصدر،ص٣٠،٦٣.

١٩–نفس المصدر،ص٣٧،٥١.

٢٠–نفس المصدر،ص١١٤.

٢١–نفس المصدر،ص١١٧.

من خلال النظرة والمرجعية الأحادية الجانب ؟ وهل كلف الشيخ طه نفسه عناء البحث الميداني وعايش الجماعة الإسماعيلية ؟ بل وشاهد بنفسه ما دونه بكتابه ؟ ....

وهنا أزعم أن ما ذهب إليه الشيخ طه لم يكن أكثر من اجترار للتراث السلطوي العربسلامي وأن حركة التشيع كما هو معروف في الخطاب العربي إجمالاً ، قديمه وجديده، هي حركة الفقراء الذين وقفوا لجانب علي بن أبي طالب في قضية الخلافة كما أسلفنا عبر بحثنا ، وأن إطلاق أحكام التعاون مع الأجنبي في عصر الإسلام الراشدي ، والعباسي، بحاجة لدراسة وتصويب من جديد ، على اعتبار أن الرابطة الأساسية في الدولة هي الرابطة الإسلامية ، فالجميع من سلطة ومعارضة يتعاون مع الآخر تحت مظلة الإسلام . إذن ، إتهام التشيع أنه تعاون مع الأجنبي ، هي محاولة لرميه بالشعوبية كي يمنح السلطوية العربية آنذاك مشروعية الحرب عليه .

– وأما عن قوله : أن الحركة القرمطية هي حركة فارسية عدوانية لأن الداعية القرمطي حسين الأهوازي من أهواز فهذا ما يجعل الشيخ طه في مغالطة جغرافية حتى ولو صحّ ما قاله من نسب حسين الأهوازي إلى أهواز ، ومرد ذلك هو : إن الأهواز في اقليم عربستان ، وهي أرض عربية ، إلا إذا كان الشيخ طه لا يعترف بعروبة هذه المنطقة (= عربستان) .

– وأما عن قوله في الإباحية الجنسية في ليلة الإفاضة: وهنا أزعم أن كتب التراث مليئة بما هو أعظم من ذلك ، ويدخل من ضمنها إتهام بعضهم في نكاح الأمهات مع العلم أن المجتمع الإنساني لم يسجل مثل هذه الوقائع قبل الإسلام بمئات السنين ، بل وآلافها ، وبذلك يكون مثل هذا الطرح إنما يدخل في باب التشهير والتجريح الأخلاقي والذي مارسته الفرق على بعضها بهدف تنفير الناس من تلك الفرق بحجة أنها ترتكب الفواحش.

وأما قوله: إن الإسماعيلية تؤمن بالتناسخ ، فهذا يحتاج إلى الدليل أيضاً ، ومجرد أخذها عن القدماء غير كاف والسبب في ذلك هو : أن القدماء قد عمموا أحكامهم على كافة الفرق ، وأعني بذلك إذا كانت بعض الفرق الباطنية تأخذ بالتناسخ فإن الإسماعيلية بعيدة عن ذلك ، وقد بينا ذلك عبر بحثنا.

– وأما عن جمعه بين القرامطة ، والإسماعيلية ، والحشاشية فأقول / القرامطة فرقة إسماعيلية ، وليست الإسماعيلية بالكامل ، ولها رؤيتها الخاصة والحشاشية: إفتراء من الخصوم على الإسماعيلية أيام الحروب الصليبية نتيجة بروز المواقف النضالية لهذه الجماعة مما جعل

خصومهم يفسرون اندفاعهم تحت مؤثر الحشيش ، وهذا بجملته ما يفقد التضحية من أجل الأرض والوطن قيمتها النضالية .

ثم كيف يقول أن القرامطة قد انتهوا عام ٤٧٠ هـ من العالم . (٢٢) ثم يعاود لوصلهم بالحاضر (= الإسماعيلية اليوم) . إذن ، مثل هذه المواقف تجعل من كتاب الشيخ طه في الحركة القرمطية سلبية ، وهذا بدوره ما يفصح عن السؤال التالي: إذا كانت صورة القرامطة بهذه السلبية فكيف يسمح لنفسه بأن يطلق عليهم اسم حركة ثورية ؟ (٢٣) وهل الحركة الثورية تتمثل في إثارة مشاعر الآخرين ؟ وبذلك يتأكد لدينا أن ما ذهب اليه الشيخ طه هو بحاجة لإعادة بناء من جديد ، وربما مرد ذلك هذا الخطأ في المنهجية والذي يمكن تحديده في.

١ – مرجعية الشيخ طه ، مرجعية أحادية تعتمد النص السلطوي العربسلامي ، وتغيب عنها النصوص الخاصة بالحركة القرمطية. اذن ، ما ينقص الشيخ طه في بحثه تفاعل الخارج بالداخل .

٢ – البعد عن التوثيق ، مما جعل الكتاب يظهر وكأنه كتاب كلاسيكي يعتمد فيه المؤلف قوله : قال الغزالي .... وقال ابن الجوزي .... وبذلك يعكس خطاب الشيخ طه خطاباً سلطوياً عربسلامياً هاجسه الأساسي مسألة العقيدة في الوقت الذي خص عنوانه بالإشتراكية ، وما الإشتراكية إلا نزعة إنسانية تأخذ في اعتبارها الأول القضية الإقتصادية، وتلك قضية غابت في خطاب الشيخ طه وكتابه .

ثالثاً: الإسماعيلية عبر الخطاب العلمي (– الأكاديمي):

– حسين مروة ت ١٩٨٨ م. وحديث حسين مروة عن الإسماعيلية يجده الباحث عبر كتابه العتيد (= النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية) .(٢٤)

ورؤيته للإسماعيلية بذلك تتلخص في:

–الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفرالصادق.(٢٥)

٢٢–نفس المصدرالسابق،ص١٥١.

٢٣–نفس المصدر،ص٦٧.

٢٤–الكتاب صادرعن دارالفارابي،بيروت،ط١ ١٩٧٩.

٢٥–راجع:حسين مروة،النزعات المادية في الفلسفةالعربيةالاسلامية،ص٢٣٠/٢.

-الإسماعيلية شكلت الدولة القرمطية . (٢٦)

– الإسماعيلية عقيدة الدولة الفاطمية . (٢٧)

– الإسماعيلية كونت أول دولة عربية علمانية ، من خلال الدولة القرمطية . (٢٨)

– الإسماعيلية نزعة ديمقراطية عبر تكوين المجلس السياسي والديني للتشاور (=مجلس العقدانية عند القرامطة.) (٢٩) والمؤلف من ست نواب وينوب عنهم ستعندغيابهم.

– الدولة القرمطية منحت الأولية للجانب الاقتصادي والاجتماعي . (٣٠)

وقراءة حسين مروة التقدمية هذه يمكن أن تفصح عن التصورات التالية:

– قراءة الإسماعيلية كانت قراءة عصروية ، لم تاخذ في اعتبارها العمقالتاريخي.

– مجلس الشورى القرمطي هذا يمثل مجلساً صورياً لأن المركز (= الإمام) المقيم في السلمية آنذاك هو صاحب القرار.

– وأما عن موقفه النقدي من الإسماعيلية (= القرمطية) وتركيزها على العامل الاقتصادي ، فتلك هي رؤية ماركسية ، ولم يشهدها التاريخ قبل الماركسية ، وبذلك ينتج لدينا أن عملية الإسقاط التاريخي منحت الدولة القرمطية صورة عصروية متقدمة جديرة في اعتبارها المثل والقدوة ، وبالتالي لا بد من محاكاتها . مما يعني الوقوعفيسلفيةالماضي.

– وأما عن تصوره للدولة القرمطية بأنها دولة علمانية ، فهذا ما يحتاج إلى دليل لا سيما واذا أخذنا في اعتبارنا:

١ – تصور الدولة العلمانية هو تصور أوروبي حديث.

٢ – الخطاب العربي لم يستقر بعد على موضوع العلمانية ، وبل وحتى صورتها، وهل هي رفضللدين أم هي بقاء للدين من خلال التسامح الديني؟ مع أن الباحث في التراث يجد أن الدولة القرمطية هي دولة متدينة ، وعقيدتها بذلك (= الفكر الإسماعيلي) وصورة النزاع بينها وبين السلطة إنما تعكس صورة من صور الصراع الديني أولاً ،

٢٦–نفس الصدر،ص٢/١٨.

٢٧–نفس المصدر،ص٢/٢٣٠.

٢٨–نفس المصدر،ص٢/٢٠.

٢٩–نفس المصدرالسابق،ص٢١/

٣٠–نفس المصدر،ص٢/٢٢.

وصراع على القيم السياسية والإجتماعية ثانياً، إذن ، ما دام الصراع القرمطي السلطوي يحمل في أحد وجوهه صورة الصراع الديني ، فهذا ما يبطل علمانية الدولة القرمطية وبذلك ينتج لدينا : إن حسين مروة حاول قراءة القرمطية على ضوء النظرية الماركسية والتي هي نظرية حديثة (= القرن التاسع عشر) مما جعل علمية الإسقاط هذه تمنح الدولة القرمطية صورة إيجابية نحن بحاجة لها كمعاصرين للخلاص من واقعنا ، وهذا ما يشكل وقوعاً في خندق السلفية.

– بندلي جوزي ت ١٩٤٥ م : موقف الكاتب الفلسطيني بندلي جوزي من الإسماعيلية يتصف بالتأييد ، والتضامن ، والتعاطف ، ويبرز ذلك من خلال:

– الإسماعيلية كانت ومنذ بواكيرها حركة إشتراكية . (٣)

– الفدائيون أو الحشاشون كانوا مضرب المثل في الدفاع عن الوطن ضدالغزوالصليبي.(٣٢)

– الإسماعيلية جماعة أخلاقية بعكس ما تحدث عنها الإسلاميون . (٣٣) ودليله على ذلك : خلفاء العصر الفاطمي لم يتزوج معظمهم بأكثر من واحدة ، وربما فكر بعضهم لجعل ذلك ما يمثل قانونا عاما في البلاد .

– الإسماعيلية حركة دينية بعودتها إلى إسماعيل بن جعفر الصادق . (٣٤) وسياسية في مرتقيها من القضايا الإجتماعية والإقتصادية.

– الإسماعيلية نشرت الحرية ، ولولا ذلك لما تمكن المعري من نشر أفكاره . (٣٥)

– الإسماعيلية حركة ثقافية ، وليست عسكرية ، ولولا ذلك لما اهتمت بالفكر.(٣٦) ولما طرحت رسائل إخوان الصفا.

– الإسماعيلية حركة تبدو طروحاتها على غاية الأهمية على المستوى الإجتماعي من خلال:

١ – طرح المساواة بين الجنسين.

٣١–راجع:بندلي جوزي،من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام،ص١١٨.

٣٢–نفس المصدر،ص١٢٥.

٣٣–نفس المصدر،ص١٣١.

٣٤–نفس المصدر،ص١٤٥.

٣٥–نفس المصدر،ص١٥٢.

٣٦–نفس المصدر،ص١٥٤.

٢ – إبطال ملكية الأرض .

وأظن أن مثل هذا الرأي يخرج عن الموضوعية للاعتبارات التالية:

– قول الباحث: أن الإسماعيلية حركة إشتراكية هو قول عصروي ، فالإشتراكية لم تطرح نفسها على المجتمع الإنساني بهذه الجدية إلا في العصر الحديث ، وبعد انتصار الثورة الإشتراكية في روسيا عام ١٩١٧ وقيام الاتحاد السوفياتي.

– الإسماعيلية نشرت الحرية ولولا ذلك لما تمكن المعري من نشر أفكاره ؟ هي رؤية لم يؤكدها البحث في التاريخ العربي ومرد ذلك أن هذا التاريخ ، هو تاريخ عنف، وكل فريق يصل للسلطة يحاول تصفية الفريق الآخر مادياً، وجسدياً، ومعنوياً، وإن اختلفت درجة العنف وطرائقه.

– وقوله: الإسماعيلية حركة ثقافية وليست عسكرية ، اهتمت بالفكر ، حيث انتجت رسائل إخوان الصفا . نجد أن البحث التاريخي للإسماعيلية يقف على محطة عسكرية هامة (= القرمطية) وربما هدف القرامطة بذلك إلى نشر مذهبهم السياسي والإجتماعي بالقوة . ويبدو أن التحول الجذري في تاريخ الحركة الإسماعيلية هو بعد ذلك (= بعد القرامطة) و ما زال قائماً حتى اليوم ، حيث التسامح الديني والمذهبي مع الآخرين، بل وربما تكون درجة التسامح والدعوة إليه تجعل الباحث يقف على طروحات المسيح بذلك ، مما يعني أنها (= الإسماعيلية) قد استفادت من تجربتها أولاً ، وحققت تحولاً جذرياً من ناحية ثانية ، لا سيما وأنها عانت العنف ، وعرفت معناه ، وفي أكثر من مرة في التاريخ ، كماأسلفنا عبر بحثنا.

– وأما عن قوله إبطال الإسماعيلية ملكية الأرض: وهنا أظن أن الباحث يجهل حقيقة أساسية في الفكر الإمامي عموماً والإسماعيلية خاصة وقد بينا ذلك خلال عرضنا، لا سيما عند الحديث عن الاقتصاد القرمطي حيث تبين لنا : أن الأرض هنا تعود ملكيتها للإمام ، وليست للشعب كما هو الحال في الطروحات الماركسية الحديثة .

إذن ، كما يبدو يحاول بندلي جوزي أن يقدم رؤيته للإسماعيلية على أنها حركة ماركسية ، وكانت السباقة للماركسية ، وبذلك يسقط بندلي جوزي رؤيته السياسية العصروية على مسار الحركة الإسماعيلية ليمنحها رؤية سياسية عصروية ، ومثل هذا الإسقاط التاريخي يقع في مطب يبدو لي أنه على غاية الخطورة وهو: الوقوع في مطب السلفية ، دون إرادة أو قصد ، لأن مثل هذا التأويل الذي يجعل من الإسماعيلية ماركسية في ولادتها

لا يترك للماركسية المعاصرة أي جديد ، بل هي اجترار للماضي الإسماعيلي وغيره علماً أن الطروحات الماركسية الحديثة قد عكست الواقع الأوربي في القرن التاسع عشر ، وربما كان التوقع الأكبر لنجاح الماركسية في بريطانيا. (٣٧) وهنا يجب أن لا يفهم من كلامي على أني أرفض ما جاء به بندلي جوزي جملةً وتفصيلاً ، بل أرفض هذه المغالاة من ناحية، وعدم توضيح الأمور عبر سياقها التاريخي، لأن الإسماعيلية إذ طرحت العدالة الاقتصادية في بواكيرها ضمن أرضية جماهيرية من الفقراء فهي تطرح الليبرالية في يومناهذا.

رابعاً: بروز الإشكالية وإشكالية الحل:

ليست قضية الإسماعيلية كفكر وتاريخ هي القضية الوحيدة المتنازع عليها ، بل ربما يكون الاختلاف يشمل كافة القضايا وهو يبرز لدى كافة الشعوب ، وعبر كافة المراحل، وهذا الاختلاف بالرغم من أنه يشكل تناقضاً وتبايناً في وجهات النظر فأنه وفي الوقت نفسه يشكل عامل إغناء وتنوع ، حيث تبرز الآراء العديدة ، والتصورات المتنوعة حول النص الواحد ، والقضية الواحدة ، وإذا ما حاولنا البحث والتعرف على أسباب هذا التنوع فأننا سنقف أمام الحقائق التالية:

- التربية الاجتماعية: وتتمثل في الاختلاف والتنوع في العادات والتقاليد بين منطقة وأخرى ، وهذا التناقض إذا تعمق قد يتحول إلى صراع ، مما يخلق مسألة التجزيء والتشتت للجماعة الواحدة ، والبلد الواحد.

- التربية السياسية : (= العقائدية) ، وربما يكون لكل باحث حاضنته العقائدية، سواء أكانت هذه الحاضنة سياسية أو دينية ، وربما بعضهم مازال ملتزماً بهذه الحاضنة وبإرادته، وبعضهم الآخر بمعزل عن إرادته (= اللاشعور) وبذلك ينتج التحزب السياسي والديني ، والذي يفرز بدوره التناقض في وجهات النظر.

- النزعة الذاتية: لكل إنسان سواء أكان باحثاً أو إنساناً عادياً رؤيته الخاصة في الحياة وقضاياها ومشاكلها ، وهذا ما ينعكس على نتاجه الفكري مما يمنحه التفرد فيالرأي

٣٧-راجع:قضاياوحواراتالنهضةالعربية،الإشتراكية،إعداد:محمدكاملالخطيب،وزارة الثقافةالسورية،دمشق،ط١٩٩١،صص ٤١،٧١

إذن ، مسألة التنوع والإختلاف نجد مصداقيتها على أرض الواقع ، مما جعلها تنعكس في بحثنا عبر تناقضات في الآراء بين الملتزم ، والمعارض ، والمؤيد / المحايد . لكن محاولة النظر للقضية بمنظار عصروي تجعل الباحث يؤكد التصورات التالية:

– هذا التنوع في التفكير هو تعبير عن التعددية في المواقف الفكرية والسياسية ما دام عصرنا يطرح التعددية ، لذا تكون هذه المواقف هي مواقف مشروعة.

– الحرية مسألة على غاية الأهمية للإنسان عامة لاسيما للباحث . (٣٨) والباحث سيحكم عليه بالسجن إذا فقد حريته ، وبذلك تبرز قضية الحرية كمسألة ضرورية ، يجب التأكيد عليها رغم الإختلاف والتناقض. ويمتد هذا التناقض ليتناول قضايا فكرية، وربما تكون رسائل إخوان الصفا في مقدمة هذا التناقض . فالرسائل كانت وما زالت تطرح وحتى يومنا التساؤل التالي: هل رسائل إخوان الصفا إسماعيلية؟ والإجابة على هذا السؤال يضعنا أمام التصورات التالية:

– الخطاب الإسماعيلي المعاصر لـ . عارف تامر ، أو مصطفى غالب يؤكد على أن الرسائل إسماعيلية وهي من صنع الأئمة الإسماعيلية، ،وإنها الإطار الثقافي والفلسفي والمرجعي للجماعة منذ وجودها وحتى اليوم . (٣٩)

– محمد عابد الجابري يعتبر الرسائل من صنع الإسماعيلية ، وأنها جاءت لتمثل الإيديولوجية السياسية للرد على سلطة المأمون (٤٠) في الوقت الذي تفصح الحقائق التاريخية عن التباين بين عصر المأمون وظهور الرسائل.

– بعض الباحثين المعاصرين ، لا سيما أولئك الذين نظروا للقضية في بعدها المعرفي، لا سيما عادل العوا ، فإنه يرفض أي إنتماء مذهبي أو ديني للرسائل ، بل يعتبرها

٣٨–راجع:سليم بركات،الحرية في الفكر العربي الحديث،مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر،دمشق،ط١٩٨٢،١،ص٣٣٤.

٣٩–راجع:ما كتبه عارف تامر في تقديمه لجامعة الجامعة،مكتبة الحياة،بيروت،بدون تاريخ،ص١١.

٤٠–راجع:محمد عابد الجابري،تكوين العقل العربي،ص٢٣٢.

برنامجاً سياسياً وثقافياً ، ومن المستحيل أن تكون من وضع فرد بمفرده ، وأن الجماعة الإسماعيلية هي التي أخذت بفكر الرسائل . (٤١)وبذلك يفصح الخطاب العربي المعاصر عن التباين في الرأي ، بالرغم من أن الرسائل كانت وما زالت تطرح مجموعة من التصورات تبدو في موقع الأهمية للبحث العلمي المحايد حيث:

– الرسائل تضع رئيس الدولة في الإنتخابات ، في الوقت الذي يضعه الفكرالإماميبالنص.

– الرسائل تهدف إلى الانتقال من الديني إلى الفلسفي ، والإمام الإسلامي بعكس ذلك يمنح الأولوية للنص الديني.

إذن ، الرسائل تمثل مشروعاً ثقافياً ، وسياسياً يناقض السلطوية العربية الإسلامية، وربما يكون من الموضوعية القول: إنه يخص جماعة إصلاحية لا علاقة لها بدين أو مذهب . (٤٢) . لا سيما وأن الرسائل جاءت بعد مرحلة العنف العسكري ، والذي عرفته المنطقة العربية زمن الدولة القرمطية ، والذي بدوره ربما يكون موضع خلاف في البحوث المعاصرة من حيث:

– الخطاب الإسماعيلي ينظر إليه على أنه دفاع مشروع في وجه السلطان المعتدي.

– الخطاب الإسلامي يعتبره يمثل خروجاً عن الإسلام ، والشرعية الدينية ، بل هو عدوان ضد الإسلام والمسلمين . وربما وقفت بعض الاتجاهات الفكرية المعاصرة في مرحلة الستينات لجانب هذا العنف تحت اسم (العنف الثوري) لكن تحليل تلك المرحلة عبر منظار علمي وموضوعي ، إنما يفصح عن الحقائق التالية:

– اعتماد العنف دليل فشل ، أو انعدام الحوار الفكري بين الأطراف المتناقضة ، بل ربما كان تعبيراً عن فشل الحوار السياسي والذي بدوره ربما كان معدوماً بين التيارات الدينية والسياسية آنذاك .

– اعتماد العنف هو مظهر الفعالي ، وهو دليل على انعدام التوازن في حياة الفرد والجماعة وربما يكون العنف هو آخر ما يفكر به الإنسان لتحقيق أهدافه إذا فشلت كافة محاولاته السلمية.

---

٤١ –راجع:عادل العوا،الموسوعة الفلسفية،القسم الثاني،الجزء الأخير،ص٦٨.

٤٢ –هذاما توصلنا إليه في دراسة سابقةلنا حول رسائل إخوان الصفا.

راجع:مجلة دراسات عربية،العدد١٢،بيروت لعام١٩٨٨،ص١١٨.

– هذا العنف ربما بررته بعض القوى السياسية تحت تسميات مختلفة ، تارة باسم الجهاد في سبيل العقيدة ، وثانية باسم الحفاظ على الشريعة ، وثالثة تحت اسم العنف الثوري.

عبر هذا السياق يكون العنف في الماضي قد وجد مبرراته الشرعية ، وتحت صيغ عدة ، لكن المرحلة المعاصرة تطرح في يومنا تصورات جديدة قوامها الحوار ، والعقلانية، وحرية الرأي الآخر (= الديمقراطية أو التعددية) وبذلك يصبح الأمر معكوساً ، فما كان مشروعاً أصبح ممنوعاً . وبذلك يمكن للمرحلة المعاصرة أن تفصح عن طروحات جديدة ، وتصورات جديدة ، ربما تكون أبعد عن السياسة والتسييس ، مما يولد الحاجة للعلمية والموضوعية في البحث والنقد ، والتأريخ . وبذلك يمكننا القول: إن مناقشة الخطاب العربي المعاصر وموقفه من الإسماعيلية وغيرها لن ينفصل عن تلك المرحلة ، بل يعكسها بكل أمانة وصدق ، ولذا سيكون الحكم عليها بمعزل عن هذه الوضعية إنما هو حكم تعسفي لا يأخذ في اعتباره للظروف المحيطة بأصحابه.

إذن ثمة تناقضات كانت وما زالت موضع الدرس والبحث ، وهذه التناقضات إذا نظرنا إليها نظرة علمية فأنها تطرح التصورات التالية:

– أحادية المصادر في البحث لدى كل فريق.

– البعد عن الدراسة الميدانية ، وأعني العيش مع هذه الجماعة للتأكد من مصداقية ما طرح وما يتم طرحه.

– التخفيف من الذاتية ، وتلك قضية لن يكتب لها النجاح إلا في ظل الاعتبارات التالية:

١ – تربية الإنسان تربية علمية ، قوامها العلم والقوانين العلمية ، والانطلاق من أن للطبيعة وبكل أنواعها (= الطبيعي ، والإجتماعي ، والسياسي ...) قوانين تحكمها. مما يوجب رفض النزعة التقديسية للأشياء ، حتى يتاح للإنسان حرية السؤال والبحث.

٢ – التمسك بالقوانين العلمية أثناء الدراسة والبحث ، بحيث تبدو هي التي تسير البحث لا العكس حتى ولو نتج عن ذلك غياب شخصية الباحث. فالموضوعية والعلمية في البحث المعاصر تحتل مكاناً مميزاً ، والبعد عن الموضوعية له مسوغاته المادية و الفكرية، وربما يكون ذلك ينسحب على كافة القضايا الفكرية الأخرى ، في الفكر العربي ، سواء أكانت سياسية ، أو تاريخية ، أو إجتماعية ، أو دينية ....

ويخيل لي أن تبني الموضوعية كمنهج في الحياة أولاً ، وفي البحث ثانياً سيجعل الإنسان العربي أقرب للعصر إن لم نقل أنه سينقله للعصر وتفكيره ، وسوف يجعله أكثر

موضوعية وعقلانية ، وتلك سمات عصروية نحن بحاجة لها. وهكذا تبدو المسألة وكأنها مجتمعية لا فردية ، وربما لن تجد لها الحلول الناجعة عبر بعض الأصوات العلمية والموضوعية ، وهذا يتطلب السعي الجاد والحثيث في بناء المجتمع على أسس عصروية ، لا سيما أن مسألة النهوض المجتمعي تمثل هاجس الخطاب العربي منذ عصر النهضة وحتى اليوم ، وتلك قضية لن تتم بمعزل عن البناء التربوي كما فصح خطاب النهضة.(٤٣)وهكذا يكون في قراءة الفكر العربي أولاً ، والثقافة العالمية ثانياً ، منذ القديم وحتى اليوم إمكانية تلمس الحقيقة التالية:

الثقافة نتاج السياسة والتحزب السياسي ، وربما معظم الكتابات التي ابتعدت عن السياسة لم تر النور ، وحكم عليها بالموت مع موت أصحابها ، ومجموعة الذين أطلعوا عليها لا يتجاوز أصدقاء الكاتب أو الباحث . وبذلك تبقى إشكالية العلاقة بين المثقف والسياسة.

والإسماعيلية كتاريخ أو فكر خضع لهذا السياسي في البحث ، والدرس والنتائج ، مما عكس تباين وجهات النظر بما يخدم المصالح السياسية ، وربما يكون في القول مبالغة إذا قلنا: أن البحث العلمي ، والرؤية الموضوعية الحيادية لم تعرفها الإسماعيلية حتى الآن، وقد يكون في ذلك ما ينطبق على الثقافة العربية والتاريخ العربي بشكل عام.

اذن ، هذه المرحلة المعاصرة ، وبعد انتهاء الحرب الباردة بين المعلاقين ، سيشهد العالم نوعاً من الهدوء. وهل ستمكن الباحث المعاصر من كتابة ومعالجة القضايا دون تعصب سياسي ؟ أم أن النزعات البدائية التي رحنا نشهدها في بلدان العالم الثالث سوف تفرز المزيد من التعصب العرقي والمذهبي ؟ وهكذا يبدو أننا أمام مرحلة جديدة لم تتوضح فيها الأفق والإمكانات أمام الباحث وحريته.

عبر هذا السياق يكون ما تم إنجازه من دراسة وبحث ، والذي جاء بمعظمه يحمل طابع المذهبي (= الديني السياسي) يجد مسوغاته ، بل ومشروعيته ما دام الباحث ابن بيئته ، وهو إنسان ، ويحيط به مجتمعه من كل الجوانب ، الإجتماعية والسياسية ..... من هنا جاءت كتابات ما قبل انتهاء الحرب الباردة ، هي كتابات سياسية بمجملها ، رغم تنوع موضوعاتها واتجاهاتها فهي متعصبة في مواقفها المؤيدة والمعارضة.

٤٣–راجع:علي مبارك،رحلة علم الدين،تحقيق:ناجي نجيب:دارالكلمة،بيروت،ط١٩٨١.

خاتمة:

ثمة مجموعة من الحقائق لا بدّ من إقرارها وهي:

– الخطاب الإسماعيلي المعاصر إنما هو خطاب مسالم ، وهو بعيد عن الحرب ، واللغة الحربية ، وربما يكون في توجيهات الإمام المعاصر أكبر برهان على ذلك . وما حقيقة ما قدمه الخطاب الإسماعيلي حتى الآن للقارىء العربي لا يتجاوز بعض النصوص التراثية ، والتي ما زالت بعيدة عن متناول القارىء العربي بشكل عام ، وهي اذا ما قيست بالمؤلفات المعارضة تكون ضئيلة ونسبية ، وبذلك تبرز وكأنها تفصح عن التصورات التالية:

– استمرار التمسك بنهج الجماعة الإسماعيلية.

– الكشف عن المضمون الفكري للجماعة.

وربما كان لهذا الواقع أثره الكبير في غياب الدراسة الفكرية للحركة الإسماعيلية من الداخل.

– الخطاب المعارض : ما زال كما كان بالأمس ، ينظر للإسماعيلية بمنظور المرجعية العربية الكلاسيكية الإسلامية السلطوية وربما عذره بذلك.

– استمرار التربية السلفوية السلطوية.

– جهله في التراث الإسماعيلي ، وهذا ما يوصله إلى مقولة : (من جهل شيئا عاداه).

لهذا جاءت دراسات هذا الخطاب مليئة بالنصوص السلطوية التراثية ،والتي بمجملها ما زالت تحمل صورة السلبية للإسماعيلية.

– الخطاب المعتدل: وهو خطاب أكاديمي بحثي سواء أكان مرده المدرسة الإشتراكية أو الليبرالية وربما كانت أبرز سماته:

– التعاطف مع الإسماعيلية ، وحركتها عبر التاريخ.

– صورتها الفكرية والاقتصادية صورة إيجابية.

– الإسماعيلية نزعة عقلانية في الفكر العربي.

إذن ، هناك مفارقات في فهم الخطاب العربي المعاصر للإسماعيلية ، وهي بدورها ستدفعنا إلى إقرار الحقائق التالية:

– أهمية العودة للنصوص التاريخية، لاسيما الإسماعيلية ، ودراستها ، ثم إجراء التفاعل العلمي بينها وبين ثقافة العصر آنذاك ، وبذلك تتحقق عملية ربط الداخل بالخارج.

– الترفع عن استخدام عقلية القرون الوسطى ، والمثلة في توجيه تهمة الشعوبية ، والخيانة والعمالة لكل رأي مخالف لا سيما أن الفكر المعاصر يطرح مسألة التعددية في الرأي ، سواء أكان على مستوى العقيدة أو السياسة.

– النص الباطني في الفكر الإسلامي إنما يطرح الموقف الفقهي والسياسي في الصراع على السلطة بين المعارضة والسلطان. (٤٤)

– بحث الإسماعيلية لن يكتب له النجاح إلا عبر منهج علمي يأخذ في اعتباره:

١ – دراسة التاريخ الإسماعيلي عبر المؤلفات الإسماعيلية وغير الإسماعيلية.

٢ – الأخذ بالقوانين العلمية والموضوعية وجعلها هي المحور والموجه للبحث.

٣ – وجود الباحث العلمي والموضوعي ، وهذا لن يوجد دون تربية. لكن ربما يكون من باب الفضيلة الاعتراف بالقول: إن المشكلة ليست قائمة في الإسماعيلية وتاريخها، بل المشكلة هي مشكلة مجتمعية ترتبط بنا كجماعة نختلف في تاريخنا بمجمله ، مما يجعلنا نسمع ومنذ الاستقلال وحتى اليوم المزيد من الدعوات لكتابة التاريخ العربي ، وربما تم إنجاز بعضها وضمن جهود فردية ، بحيث شهدنا التعسر أحياناً ، والتوقف أحياناً أخرى ، وربما وصلت بعضها إلى طريق مسدود.

---

٤٤ – راجع: وفاء شعراني، الموسوعة الفلسفية/القسم الثاني، الجزء الأول، ص ٢٤٤.

المصادر:

كتب اسماعيلية

مؤلفات تاريخية:

– القرشي ، ادريس عماد الدين ، عيون الأخبار وفنون الأثار ، السبع الرابع ، الخامس ، تحقيق: مصطفى غالب ، دار التراث الفاطمي ، بيروت ، ط ١٩٧٣ .

كتب اسماعيلية عامة (– الينابيع):

– الامام ، ثقة ، المجالس المستنصرية ، تحقيق: محمد كامل حسين ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ.

– بن محمد ، النعمان ت ٣٥١ هـ ، اختلاف أصول المذهب ، تحقيق: مصطفى غالب ، دار الأندلس بيروت ، ط ١٩٨٣ .

– برون حسن ، القرامطة بين الدين والثورة ، دار الحقيقة ، بيروت ، ط ١٩٨٨.

– تامر ، عارف ، الامامة في الاسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدونتاريخ.

– التميمي ت ٣٦٣ هـ ، الداعية نعمان بن حيون ، أساس التأويل ، تحقيق: عارف تامر ، ط ١٩٦٠ .

– الحسيني ، الامام الراحل سلطان شاه محمد ، المفهوم الاسلامي ودوري كامام، منشورات المجلس الاسماعيلي بالسلمية ، بدون تاريخ.

– ناصر خسرو ، جامع الحكمتين ، ترجمة: ابراهيم الدسوقي شها ، دارالثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

– ناصر خسرو ، سفر نامه ، ترجمة: يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديدة ، بيروت ،ط١٩٧٣.

– السجستاني ، أبو يعقوب ، اثبات النبوّات ، تحقيق: عارف تامر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٦ .

– الافتخار ، تحقيق: مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت ، ط ١٩٨٠ .

– الينابيع ، تحقيق: مصطفى غالب ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ،١٩٦٥.

– الشيرازي ت ٤٧٠ هـ ، هبة الله ، المجالس المؤيدة ، تحقيق مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت ، ط ١٩٧٤ .

- عبدان ، الداعية القرمطي ، كتاب شجرة اليقين ، تحقيق: عارف تامر ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط ١٩٨٢ .
- العياش ، سامي ، الاسماعيليون في المرحلة القرمطية ، دار ابن خلدون،بيروت،بدون تاريخ.
- غالب مصطفى ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط ١٩٦٥.
- علياء ، محمد عبد الفتاح ، قرامطة العراق ، مكتبة المجلس الاسماعيلي ،الرقم العام ٤٠٥.
- الكرماني ، أحمد حميد الدين ، الأقوال الذهبية ، تحقيق : مصطفى غالب ، دار محيو ، بيروت ، ط ١٩٧٧ .
- راحة العقل ، تحقيق: مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت ، ط ١٩٧٣ .
- كتاب الرياض ، تحقيق: عارف تامر ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ١٩٦٠ .
- المصابيح في اثبات الامامة ، تحقيق: مصطفى غالب ، منشورات حمد ، بدون تاريخ.
- الكرماني واخرون ،منتخبات اسماعيلية،تحقيق:عادل العوا،مطبعة جامعة دمشق،ط١٩٥٨.
- محمد ت ٣٥١ هـ ، نعمان ، اختلاف أصول المذهب ، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس ، بيروت ، ط٣ ١٩٨٣ .
- المعري ، أبو العلاء + المؤيد في دين الله ، خمس رسائل مفيدة ، المطبعة السلفية، القاهرة ، ط ١٣٤٩ هـ .
- منصور ت ٣٨٠ هـ ، جعفر بن ، سرائر أسرار النطقاء ، دار الأندلس ، بيروت،ط ١٩٨٤ .
- كتاب الكشف ، تحقيق: مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت ، ط ١٩٧٣.
- النيسابوري ، أحمد بن ابراهيم ، اثبات الامامة ، تحقيق: مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت ، ط ١٩٨٤ .
- هشي ، سليم ، في الاسماعيلية ، بيروت ، ط ١٩٧٥ .
- الوليد ، الداعية المطلق: علي بن ، دافع الباطل وحتف المناضل ، ج ١ + ج ٢ ، تحقيق: مصطفى غالب ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، ط ١٩٨٢ .

مخطوطـات إسماعيليـة:

– الكرماني ، أحمد حميد الدين ، تنبيه الهادي والمستهدي ، مكتبة المجلس الإسماعيلي الأعلى بالسلمية ، سوريا .

أحاديث ومقابـلات اسماعيليـة:

– الحسيني ، الإمام الراحل سلطان محمد (= الأغاخاني) ، الارشادات ، مكتبة المجلس الإسماعيلي الأعلى بالسلمية ، سوريا .

– الحسيني ، الإمام الحاضر كريم شاه (= الأغاخاني) ، الارشادات ، مكتبة المجلس الإسماعيلي الأعلى بالسلمية ، سوريا .

كتب تـاريخيـة:

– ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، دار الرشاد الحديثة ، بدون تاريخ .

– ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١٩٨٧ .

– الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ .

– المسعودي ، مروج الذهب ، دار الأندلس ، بيروت ، ط ١٩٨٣ .

كتب عـامـة:

– ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، بدون تاريخ.

– إسبر ، محمد علي ، هل قرأت أبا ذر؟ دار الأصالة، بيروت ،ط ١٩٨١ .

– آل ياسين ، محمد حسن ، مفاهيم إسلامية ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،ط١٩٨٢.

– أمين ، سمير ، نحو نظرية للثقافة ، معهد الانماء العربي ، بيروت ، ط ١٩٨٦.

– بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة : أمين فارس + منير البعلبكي ، دار القلم ، بيروت ، ط ١٩٧٩ .

– البغدادي ، الفرق بين الفرق ، تحقيق: محمد محي الدين عبد المجيد ، دار المعارف، بيروت ، بدون تاريخ .

– دي بور ، ت – ج – ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة: عبد الهادي أبو ريده ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٥ ، بدون تاريخ .

- البوطي ، محمد سعيد رمضان ، العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر ، مطبعة خالد بن الوليد ، دمشق ، ط ١٩٨٩ .
- الجابري ، محمد عابد ، بنية العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط٣ ١٩٩٠ .
- تكوين العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط٣ ١٩٨٨.
- العقل السياسي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ١٩٩٠.
- الجبار ، فالح عبد ، بنية الوعي الديني والتطور الرأسمالي ، مركز الأبحاث الاشتراكية في العالم العربي ، ط ١٩٩٠ .
- الجندي ، عبد الحليم ، الإمام جعفر الصادق ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ، ط ١٩٧٧ .
- جوزي ، بندلي ، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ، دار الجليل ، دمشق، ط٣ ١٩٨٢ .
- حجاب ، محمد فريد ، الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا ، تقديم: عز الدين فوده ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط ١٩٨٢ .
- الخالدي ، طريف ، دراسات في تاريخ الفكر العربي الإسلامي ، دار الطليعة، بيروت ، ط٢ ١٩٧٩ .
- خان ، محمد عبد المعيد ، الأساطير والخرافات عند العرب ، دار الحداثة ، بيروت ، ط ١٩٨١ .
- الخربوطلي ، علي حسني ، ١٠ ثورات في الإسلام ، دار الأداب ، بيروت،ط١٩٨٦.
- الخميني ، روح الله ، الحكومة الإسلامية ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ،١٣٨٩هـ
- خوته ، ميكال يان دي ، القرامطة ، ترجمة: حسني زينه ، دار ابن خلدون ، بيروت ، ط٢ ١٩٨٠ .
- خليل أحمد خليل ، لبنان يسارا ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٧٢ .
- دراز ، محمد عبد الله ، الدين ، دار القلم ، الكويت ، ط٣ ١٩٧٤ .
- دياب ، محمد حافظ ، سيد قطب ، الخطاب والايدلوجيا ، دار الطليعة ، بيروت، ط ١٩٨٨ .
- ذهبان ، سامي ، ايران الخميني ، دار المسيرة ، بيروت ، ط ١٩٧٩ .

- ربيع ، حامد ، التجديد الفكري للتراث الإسلامي ، دار الخليل ، دمشق،ط١٩٨٢.
- الرهيمي ، عبد الحليم ، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ، دار الينبوع ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- زكريا ، فؤاد ، الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة ، دار الفكر ، القاهرة ، ط٣ ١٩٨٨ .
- سرحان ، منير مرسي ، في اجتماعات التربية ، دار النهضة ، بيروت ، ١٩٨١.
- الشهرستاني ، الملل والنحل ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١٩٨٢ .
- الصالح صبحي ، معالم الشريعة الإسلامية ، دار العلم للملايين ،بيروت ، ط١٩٨٢
- صالح أحمد عباس ، اليمين واليسار في الإسلام ، المؤسسة العربيةللدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- صبحي ، أحمد محمود ، نظرية الإمامة لدى الشيعة الأثنى عشرية ، دار المعارف، مصر ، ط ١٩٦٩ .
- الصدر ، الامام محمد الباقر ، اقتصادنا ، المجلس العلمي للشهيد الصدر،ط٢بدونتاريخ.
- بحث حول المهدي ، مطبعة أوفست المياء ، بغداد ، ط ١٩٧٨ .
- المدرسة القرآنية ، دار التعارف ، بيروت ، ط ١٩٧٩ .
- صعب ، حسن ، الإسلام وتحديات العصر ، دار القلم ، بيروت ، ط ١٩٧٤
- المقاربة للمستقبلية للانماء العربي ، دار العلم ، بيروت ، ط ١٩٧٩ .
- صيف ،شوقي ، عصر الدول والإمارات ، دار المعارف ، مصر ، ط ١٩٨٠.
- طاليس ، أرسطو ، الأخلاق ، ترجمة: اسحق بن حنين ، تحقيق: عبد الرحمن البدوي ، الكويت ، ١٩٧٩ .
- عبده ، محمد ، الإسلام دين العلم والمدنية ، تحقيق: عاطف العراقي ، سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
- عبد الملك ، أنور ، تغيير العالم ، عالم المعرفة ، العدد ٩٥ ، الكويت ، ١٩٨٥.
- العروي ، عبد الله ، الإيديولوجية العربية المعاصرة ، دار الحقيقة ، بيروت ، ط٣ ١٩٧٩ .
- العشماوي ، محمد ، معالم الإسلام ، سينا للنشر ، القاهرة ، ط ١٩٨٩ .

- العظم ، صادق جلال ، نقد الفكر الديني ، دار الطليعة ، بيروت ، ط٣١٩٨٢.
- عمارة ، محمد ، التراث ، في ضوء العقل ، دار الوحدة ، بيروت ، ط ١٩٨٠.
- العوا ، عادل ، الكلام والفلسفة ، مطبعة جامعة دمشق ، ط ١٩٦٤ .
- فضل الله ، مهدي ، فلسفة ديكارت ومنهجه ، دار الطليعة ، بيروت ،ط٢١٩٨٦.
- قاسم ، عون الشريف ، في معركة التراث ، دار القلم ، بيروت ، ط١٩٨٠ .
- القرضاوي ، يوسف ، العبادة في الاسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٥١٩٧٧.
- كرابيفين ، ما هي المادية الديالكتيـة ؟، ترجمـة: الياس شاهين ، دارالتقـدم ، موسكـو ، ١٩٨٦ .
- الكردي ، أحمد الحجي ، أحكام المرأة في الفقه الإسلامي ، دار الامام البخاري ، دمشق ، ١٤٠٠ هـ .
- كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٧٠.
- الكواكبي ، عبد الرحمن ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، تحقيق: أسعـد السحمراني ، دار النفائس ، بيروت ، ط٢ ١٩٨٦ .
- كوفا لزون ، م + ف - كيللي ، المادية التاريخية ، ترجمة: أحمد داود ، دار الجماهير ، دمشق ، ١٩٦٧ .
- متز ، أدم ، الحضارة العربية ، في القرن الرابع الهجري ، ترجمـة: محمـد عبـد الهادي أبو ريده ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ .
- المخزومي ، محمد باشا ، خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني ، دار الحقيقة، بيروت ، ط ١٩٨٠ .
- مروة ، حسين ، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، دار الفـارابي ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- المقريزي ت ٨٤٥ هـ ، تقي الدين أحمد بن علي ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، دار الجماهير، دمشق ، ١٩٥٦ .
- النوفي ، كمال ، الثقافة السياسية للفلاحين المصريين ، دار ابن خلدون ،بيروت،١٩٨٠.
- المهاجر ، عبد الحميد ، الإيديولوجية الإسلامية ، مؤسسة الوفاء ، بيروت،١٩٨١.

- الموسوي ، الامام عبد الحسين شرف الدين ، المراجعات ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، بدون تاريخ .
- نصر الله ، محمد علي ، تطور نظام ملكية الأراضي في الإسلام ، دار الحداثة ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- وفاء ، وأخ + ل . ر . تونسكيا ، الشرق أفكار ومفكرون ، دار الشبح ، دمشق ، ١٩٨٨ .
- ولي ، طه ، القرامطة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١٩٨١ .
- ياسين ، بو علي ، الثالوث المحرم ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٥ .

موسوعات:

- اخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ.
- أمين ، أحمد ، الموسوعة الإسلامية ، ومؤلفة من: - فجر الإسلام .
- ضحى الإسلام ، ٣ أجزاء .
- ظهر الإسلام ٤ أجزاء .
- البستاني ، فؤاد افرام ، دائرة المعارف ، بيروت .
- معهد الانماء ، الموسوعة الفلسفية ، بيروت .

معاجم وقواميس:

- معجم علم الأخلاق ، ترجمة: توفيق سلوم ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٤.
- معجم المنجد ، دار الشرق ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- معجم الوسيط ، دار أمواج ، بيروت ، ١٩٨٦ .

مجلات:

- الباحث ، العدد ٤٥ ، ٤٦ ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- بناة الأجيال ، العدد ١١٥ ، دمشق ، لعام ١٩٨٩ .
- الثقافة الإسلامية ، العدد ١٨ ، المستشارية الإيرانية بدمشق ، ١٤٠٨ هـ .
- دراسات عربية ، العدد ٢ ، لعام ١٩٨٨ .
- العدد ١٢ ، لعام ١٩٨٨ .

- العدد ١ ، لعام ١٩٩٠ .
- عالم المعرفة ، العدد ٤٨ ، الكويت ، ١٩٨٤ .
- العدد ١٥٠ ، الكويت ، ١٩٩٠ .
- الطريق اللبنانية ، العدد ٣ ، لعام ١٩٨٥ .
- العدد ١ ، لعام ١٩٩٠ .
- العدد ٦ ، لعام ، ١٩٩٠ . - قضايا فكرية ، الكتاب الثامن ، دار الثقافة الجديدة ، مصر ، ١٩٨٩
- المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، العدد ٨٦لعام١٩٨٦.
- العدد ١٣٠ لعام ١٩٨٩ .
- الوحدة ، العدد ٢٠ ، لعام ١٩٨٦ .
- العدد ٢٥ ، لعام ١٩٨٦ .
- العدد ٤٦ ، ٤٧ ، لعام ١٩٨٨ .

كشاف الاسماء والاعلام

١ - أ

ابن الأثير: ١ ، ٣٧ ، ٣٩ .

ابن حنبل:١٠٦ .

ابن أبي الحديد: ١٤ ، ١١٤ .

ابن الجوزي: ٦٢ ، ٩٢ ، ٩٣ .

ابن خلدون: ٩٨ ، ١٠٢ .

ابن خلدون (دار النشر): ٢٦ ، ٤١ ، ٦٤ .

أبي حنيفة: ١٠٦ .

اخوان الصفا: ٤٧ ، ٨٢ .

أبو ريده ، محمد عبد الهادي: ٣٨ .

أبو المجد ، أحمد كمال: ١١ .

الآداب (دار النشر) : ٤٠ .

آدم: ٧٢ .

أسبر ، محمد علي: ٩٩ .

الأصالة (دار النشر) : ٩٩ .

الأعلمي (مؤسسة النشر): ١٠٥ ، ١٠٨ .

الأفغاني ، جمال: ١٧ ، ١٨ ، ٢٧ .

الأفاق الجديدة (دار النشر) : ٧٠ .

آل ياسين ، محمد حسن : ٢٩ .

الإمام البخاري (دار النشر): ٩٠ .

الإمام ثقة: ٧٢ ، ٧٧ ، ٨٣ .

أمواج (دار النشر): ١٠١ .

الأهوازي ، حسين: ٥٢ .

أمين ، أحمد: ٦٣ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١١٠ .

أمين ، سمير : ١٤ .

أمين ، محمود: ٢٩ .
الأندلس (دار النشر): ٢١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ١٢٦، ١٢٩ ، ١٤٨ .
أوفست المياء (دار النشر): ١٠٤ .

٢ - ب

باتنورا: ٥٢ .
الباحث (مجلة): ١٧٤ .
الباطنية: ٩٨ .
الباقر ، محمد (إمام إسماعيلي): ٤٧ ، ١٠٠ ، ١١٠ .
بالكو فليفا: ٣٠ .
بدوي ، عبد الرحمن: ٦١ .
بريشكينا: ٣٠ .
برغسون ، هنري: ٩ .
بركات ، سليم: ١٨٣ .
بروكلمان ، كارل: ٧٧ .
بزون ، حسين: ٤١ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٧٦ ، ٩٣ .
البستاني ، فؤاد افرام: ٣٣ .
البعلبكي ، منير: ٧٧ .
البغدادي: ٤٠ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٥٦ ، ٧٦ ، ٩٣ .
بناة الأجيال (مجلة): ٨٣ .
البهروجي ، حسن بن نوح الهندي: ١٧٣ .
البهرة: ٤٦ .
بور ، ث ، ج ، دي: ٣٨ ، ٥٢ ، ١٧١ .
البوطي ، محمد سعيد رمضان: ١٥٧ .

٣ – ت

تامر ، عارف: ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٩، ٩٦، ١٠٠ ، ١١٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٤٩ ، ١٦٧ ، ١٧٣ ، ١٨٣ .

التراث الفاطمي (دار النشر): ٧١ .

التعارف (دار النشر): ٩٧ .

التميمي ، النعمان بن حيون: ٣٦ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩ .

تلمية ، عبد المنعم: ٢٨ .

تيزيني ، طيب: ١٣ ، ٤٧ ، ١٥٠ .

٤ – ث

الثقافة (دار النشر): ٦١ .

الثقافة الإسلامية (مجلة): ٢٦ .

الثقافة الجديدة (دار النشر): ٢٩ .

الثقفي ، الحجاج بن يوسف: ٣٩ .

٥ – ج

الجابري و محمد عابد: ١٩ ، ٨٤ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٥٠ ، ١٧٥،١٨٤

الجاني ، ميثم: ١٧ .

جعفر الصادق ، اسماعيل: ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ١٧٩ .

جعفر الصادق ، محمد بن اسماعيل: ٦٢ .

الجليل (دار النشر): ٣٣ .

الجماهير (دار النشر): ٣٣ .

الجندي ، عبد الحكيم: ١٦ ، ١٧ ، ٣٧ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٤٤ ، ١٦٥ .

الجواد ، محمد (إمام): ١٠٠ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ .

جوزي ، بندلي: ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٩٠ ، ١٢٢،١٨١.

٦ – ح

حجاب ، محمد فريد: ٥٦ ، ٥٧ ، ٨٢ ، ١٣٢ .

الحداثة (دار النشر): ١٥ ، ٦٤ .

الحسن (إمام): ١٠٠ ، ١٠٩ .

الحسين ، علي بن (داعية): ٤٧ ، ١٠٠ ، ١١٠ .
الحسيني ، سلطان محمد شاه: ١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٧،١٥٨، ١٦٦ ، ١٦٨ .
الحسيني ، كريم علي خان: ٤٧ ، ٧٠ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩،١٥٠، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٧ .
الحياة (دار النشر): ٢٩ ، ٤٧ ، ١٠٦ ، ١٨٣ .
الحشاشين: ٤٤ .
الحقيقة (دار النشر): ١١ ، ١٧ ، ٤١ .
الجنابي ، سليمان بن الحسين بن سعيد: ٥٠ .
حنفي ، حسن: ١٥٠ .
حنين ، اسحاق بن: ٦١ .
الحوار (دار النشر): ٨٩ .

٧ – خ

خالد بن الوليد (دار النشر): ١٥٧ .
الخالدي ، طريف: ٣٣ .
خان ، محمد عبد المعين: ٦٤ .
الخربوطلي ، علي حسني: ٤٠ ، ١٠٠ .
خسرو ، ناصر: ٥٣ ، ٦١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٣١ .
الخسروية: ٤٦ .
الخشاب يحيى: ٥٣ .
الخطابية: ٩٨ .
الخطيب ، محمد كامل: ١٨٢ .
خليفة ، لويس: ٣٤ .
خليل ، خليل أحمد: ١٢ .
الخليل ، إسماعيل بن ابراهيم: ٣٤ .
الخميني: ١٠٨ ، ١١٥ .

٨ – د

داود ، أحمد: ٢٤ ، ٤٠ .

داود ، جرجس داود: ٥٣ .

الداوودية: ٤٦ .

دراسات عربية (مجلة) ٢٤ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ١٨٤ .

دراز ، محمد عبد الله: ١٠ .

الدرزية: ٤٦ .

الحلبي (دار النشر): ٢٦ .

دياب محمد: ١٥ .

دياب ، محمد حافظ: ٢٩ ، ١٥٧ .

الدين: ٩ ، ١٠ .

٩ – ذ

ذبيان ، سامي: ١١٠ .

١٠ – ر

ربيع ، حامد: ٢٦ .

الرشاد الحديثة (دار النشر): ١٤ .

الرضا ، علي (إمام): ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ .

الرهيمي ، عبد الحليم: ١٠٠ .

ريمان : ١٠ .

١١ – ز

زيركين: ٣٠ .

زكريا ، فؤاد: ٢٤ ، ٢٨ .

زمزم (نبع ماء): ٣٤ .

زيادة ، معن: ١٧١ .

زيعور ، علي: ١٧٤ .

زين العابدين ، علي (إمام): ٦٧ ، ١١٠ .

الزيدية: ٩٨ .

١٢ – س

السبأية: ٩٨ .
السجستاني ، أبو يعقوب: ٧٨ ، ١٣٠ ، ١٣٥ .
السحمراني ، أسعد: ٢٥ .
سعيد ، خير الله: ٤٧ .
السعيد ، رفعت: ٤١ .
السلفية (مطبعة): ١٦٧ .
سلوم ، توفيق: ١٤ ، ٢٩ .
السليمانية: ٤٦ .
السيد ، رضوان: ١٧٢ .
السيد ، نجيب: ٢٦ .
سيف الدين ، برهان طاهر: ٤٧ .
سينا (دار النشر): ١٢ ، ١٥٩ .

١٣ – ش

الشافعي: ١٠٦ .
شاهين ، الياس: ٩ .
شتا ، ابراهيم الدسوقي: ٦١ .
الشريف ، عون: ٢٧ .
شعراني ، وفاء: ١٨٨ .
الشهرستاني: ٢٠ ، ٣٣ ، ٩٦ .
الشيخ: ١١ .
الشيخ (دار النشر): ٢٥ .

١٤ – ص

الصادق ، جعفـــــر: ١٦ ، ١٧ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٧،١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٤ .

الصالح ، صبحي: ١٦ ، ٢٠ .
صايغ ، يوسف: ١٥٦ .
الصباح ، حسن: ٥١ ، ١٧٦ .
الصباغ ، ليلى: ٣٥ .
صبحي ، أحمد محمود: ٣٥ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١١٤ .
الصدر ، محمد باقر: ٢٩ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١٥٤ .
صعب ، حسن: ١١ .

١٥ – ض

ضيف ، شوقي: ٦٤ ، ٦٥ ، ١١٣ ، ١٢٣ .

١٦ – ط

طاليس ، أرسطو: ٦١ .
الطريق (مجلة): ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٠ ، ١٠٢ .
الطبري: ١٨ ، ٦٣ ، ١٠٦ .
الطليعة (دار النشر): ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٣ .
الطهطاوي: ٢٧ .

١٦ – ظ

عالم المعرفة (مجلة): ٢٥ ، ١٧١ .
عبد الحميد ، محمد محي الدين: ٤٠ ، ٥٠ .
عبد الجبار ، فالح: ٢٥ .
عبدان: ٧٠ ، ٧٢ ، ١٦٥ .
عبده ، محمد: ١٢ ، ١٨ ، ٢٧ .
العراقي ، عاطف: ١٢ .
العروي ، عبد الله: ١١ ، ١٢ .
عز الدين (مؤسسة نشر): ٦٥ ، ١٣٣ .
العسكري ، حسن (امام): ١٠٠ ، ١١٠ .
العشماوي ، محمد سعيد: ١٥٩ .
العظم ، صادق جلال: ٢٣ .

علي (الإمام): ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ،١٠٩،١١٥،١٢٥.
علياه ، عبد الفتاح: ٤٩ ، ٥١ ، ٥٤ ، ١٢ ، ١٢١ .
عمارة ، محمد: ١٥ ، ١٥٦ .
عوض ، محمد: ١٠٨ ، ١٠٩ .
عويدات (دار النشر): ١٤ .
العوا ، عادل: ٨٠ ، ٨١ ، ١٧٣ ، ١٨٤ .
عيتاني ، محمد: ١١ .

١٩ – غ

غالب ، مصطفى: ٢١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٨٠ ،٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٤٨ ، ١٥٣.

٢٠ – ف

الفارابي (دار النشر): ١٢ ، ٤١ ، ٧٢ .
فارس ، أمين: ٧٧ .
فضل الله مهدي: ١٠ .
الفضل ، علي بن: ٦٥ .
الفكر العربي (دار النشر): ٧٢ .
فوده ، عز الدين: ٥٦ .
فيثاغورس: ٧٢ .

٢١ – ق

القاسمية: ٤٦ .
القاضي ، عبد الله: ١٣ .
القرشي ، عماد الدين: ٣٦ ، ٣٧ ، ٧١ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٣٤ .
قرمط ، حمدان: ٤٠ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٧٠ .
قرمطية: ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ١٢٢ ، ١٧٧ .
القرضاوي ، يوسف: ٩ .
قضايا فكرية (مجلة): ٢٩ ، ٤١ .

قطب ، سيد: ٢٩ .
القلم (دار النشر): ١١ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٦٣ ، ٩٨ .
القيروان ، عبيد الله بن الحسين: ٥٠ .

٢٢ – ك

الكاثوليكية (مكتبة): ٧٨ .
الكاظم ، محمد (امام): ١٠٠ ، ١١٠ .
الكتاب الجديد (دار النشر): ٥٣ .
الكتاب العربي (دار النشر): ٣٨ ، ٦٣ ، ١٠٠ .
الكتب العلمية (دار النشر): ١٣ ، ٣٧ .
الكردي ، أحمد الحجي: ٩٠ .
كرم ، يوسف: ١٩ ، ٦١ .
الكرماني ، أحمد حميد الدين: ٦١ ، ٧٩ ، ٨١ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٦٥ .
الكلمة (دار النشر): ١٨٦ .
الكواكبي : ٢٥ ، ٣٠ .
كوربان ، هنري: ١٤ ، ١٢٧ .
كوفالزون: ٢٤ .
الكيسانية: ٩٨ .
كيلاني ، محمد سعيد: ٢٠ ، ٦٣ .
كيللي ، ف: ٢٤ .

٢٣ – ل

لباد ، ميشيل: ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٥٧ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٤٣ .

٢٤ – م

ماسينون: ٨٠ .
مالك : ١٠٦ .
المأمون : ٩٩ .
مبارك ، علي : ١٨٦ .
المستقبل العربي (مجلة): ٢٧ ، ٢٨ ، ١٥٦ .

محمد (النبي): ٢٩ .
محمد ، النعمان بن: ١٢٦ ، ١٧٦ .
المخزومي ، محمد باشا: ١٧ ، ١٨ .
مركز دراسات الوحدة العربية: ١٩ ، ٢٧ ، ١٠٢ .
مرة ، الحارث بن (ابليس): ٧٤ .
مروة ، حسين: ٤١ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ١٠٦ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٨٠ .
معاوية: ١٠٩ .
المسعودي: ٨٣ ، ٩١ .
المسيرة (دار النشر): ١١٠ .
المعارف (دار النشر): ٣٥ ، ٥٠ ، ٦٤ ، ٩٧ .
المعرفة (دار النشر): ٢٠ ، ٣٣ ، ٦٣ .
المعري: ١٦٧ .
المتنبي (مكتبة): ٦٢ ، ٩٢ .
منصور ، جعفر بن: ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ١٢٨ .
المهدي: ٤٠ ، ١٠٤ .
المؤمنية: ٤٦ .
الموسوي ، عبد الحسين شرف الدين: ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ .
منوفي ، كمال: ٢٦ .

٢٥ – ن

الناقد (مجلة): ١٧٢ .
نجيب ، ناجي: ١٨٦ .
النزارية: ٤٦ .
النيسابوري ، أحمد بن ابراهيم: ١٢٩ .
نصر الله ، محمد علي : ١٥ .
نصر ، نبوخذ : ٣٤ .
النفائس (دار النشر): ٢٥ .

النهضة المصرية (دار النشر) : ١٥ ، ٢ .
نوح : ٧٢ .

٢٦ – هـ

الهادي ، علي (إمام) : ١٠٠ ، ١١٠ .
هـرقليطس : ١٩ .
هنيد : ٧٥ .

٢٧ – و

الوحـدة (دار النشر): ١٥٦ .
الوحدة لـ (الصحافة): ١٨٣ .
الوحدة (مجلة): ٢٦ ، ٤٣ .
الـوليـد ، علي بـن: ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٦،١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .
ولي ، طه (الشيخ): ١٧٧ ، ١٧٩ .

٢٨ – ي

ياسين ، بوعلي: ٨٩ .
الينبوع (دار النشر): ١٠٠ .
يهوشافط ، فؤاد : ٣٤ .

كشاف أسماء المدن

أ

ألموت: ٤٦ .

ب

باكستان : ١٥٣ .

بغداد : ١٠٤ .

بومباي : ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٦١ ، ١٦٤ .

بيـــروت : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠، ٢١، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٧، ٥٠ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٣، ٩٧ ، ٩٨، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠، ١١٥ ، ١٢٦، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٦ .

ح

حلب : ٤٤ .

حيدر ، أباد : ١٥٦ .

د

دار السلام : ١٥١ ، ١٦١ .

دمشق : ١٣ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٠ ، ٨٠ ، ٨٣، ٩٠، ١٠٨ ، ١٥٧ ، ١٨٢ ، ١٨٣ .

ر

راتفـون : ١٦٠ .

ز

زنجبـار : ١٤٥ ، ١٥١ .

س

السلمية : ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٧٩ ، ٨١ ، ١٣٢ ، ١٤٥.

سوريا : ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ٧٩ .

ع

العراق : ١٩ .

ق

القاهرة : ١٢ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٩٢ ، ١٥٩ ، ١٦٧.

ك

كراتشي : ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ .

كان : ١٦٦ .

كمبالا : ١٦١ ، ١٦٣ .

الكويت : ١٠ ، ٢٥ ، ٦١ ، ١٧١ .

كينش نكربور : ١٦٨ .

ل

اللاذقية : ١٩٠ .

لندن : ١٤٦ .

م

ماسيياكا : ١٦٤ .

مانجي : ١٤٥ ، ١٥١ .

مصر : ١٥ ، ٣٥ ، ٩٧ .

مصياف : ٣٨ .

مليان : ١٦٠ .

مباسا : ١٦١ ، ١٦٣ .

موسكو : ٩ ، ١٤ ، ٢٩ ، ٣٠ .

ن

نيروبي : ١٤٥ ، ١٦٤ .

هـ

الهند : ١٥٣ .

ي

يونا : ١٥٥ .

كشاف السور القرآنية:

أ

ابراهيم : ٣٤ .

الأحزاب : ٥٤ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٨٧ .

الأسراء : ١٣٧ ، ١٤٠ .

الأعراف : ٢١ ، ٢٢ ، ٥٦ .

الأنعام : ٢١ ، ٧٣ ، ١٣٦ .

الأنفال : ١٠٨ .

آل عمران : ١٢١ ، ١٣٦ .

ب

البقرة : ٣٤ ، ٨١ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .

ج

الجمعة : ٧٣ ، ١٢٠ ، ١٢٦ .

الجاثية : ١٣٥ .

ح

الحج : ٢٠ .

الحديد : ٦٨ .

ذ

الذاريات : ١٠ ، ٧٤ .

ر

الرعد : ١٢٧ .

س

سبأ : ١٢١ .

ش

الشورى : ٢٢ ، ٨٢ ، ١٣٥ ، ١٣٩ .

ص

الصافات : ١٣٥ .

ق

القصص : ٧٣ .

ك

الكهف : ١٣ .

م

المائدة : ٢١ ، ٧٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠

: ٧٤ ن ١٢٩ .

المؤمنين : ١٣٥ .

ن

النمل : ٧٣ .

النحل : ٢٢ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ .

النساء : ٢١ ، ٣٤ ، ٧٨ ، ١٢٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .

ي

يس : ١٣٦ .

يوسف : ٧ ، ١٣٦ .

نبذة عن أعمال المؤلف

علي نوح : باحث ، ومحاضر ، ومدرس لمادة الفلسفة في ثانويات مدينةحمص ، سوريا . ومن أبرز أعماله الفكرية المنشورة :

ـ كتب :

١ – مشكلات الشباب وحلولها لصالح منظمة اتحاد شبيبة الثورة ، وتم نشر المؤلف عبر جريدة العروبة ، حمص ، لعام ١٩٨٤ .

٢ – المكتبة المدرسية عبر مراحل التعليم لصالح نقابة المعلمين فيسوريا ، ومسجل تحت الرقم ١٠٢٦٢ تاريخ ١٩٨٤/٣/٢٧ .

٣ – الخطاب الإسماعيلي في التجديد الفكري الإسلامي المعاصر ، رسالةماجستير، اشراف : د . علي زيعور ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ١٩٩٣ .

ـ بحوث في دوريات :

– مجلة الوحده ، المجلس القومي للثقافة العربية .

١ – بحث بعنوان : التعليم المختلط من خلال روية اجتماعية تربوية العدد ١٤ ، لعام ١٩٨٥ .

٢ – بحث بعنوان : مشكلات الزراعة والانتاج الزراعي وعلاقته بالأمن الغذائي العربي ، العدد ٨٤ لعام ١٩٩١ .

– مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت .

١ – بحث بعنوان : العقل السياسي العربي ، العدد ١٥٣ ، لعام ١٩٩١ .

– مجلة الطريق اللبنانية ، بيروت .

١ – بحث بعنوان : رداً على موقف د . طيب تيزيني من الإسلام وإشكالية التقدم التاريخي ، العدد ٦ لعام ١٩٩٠ .

– مجلة دراسات عربية ، بيروت .

١ – بحث بعنوان : اخوان الصفا وخلان الوفاء : تراث وحضارة معاصرة ، العدد ١٢ ، السنة ٢٤ لعام ١٩٨٨ .

٢ – بحث بعنوان : مشروع رؤية لعلمنة الدولة ، العدد ٨ ، السنة ٢٦ ،

لعام ١٩٩٠ .

٣ – بحث بعنوان : إشكالية الضياع لدى الشباب العربي ، العدد ١٢ ،السنة ٢٦، لعام ١٩٩٠ .

٤ – بحث بعنوان : السلفية أنواعها وأهدافها في الفكر العربي ،العدد ١ ، السنة ٢٧ ، لعام ١٩٩٠ .

٥ – بحث بعنوان : صورة المثقف في الخطاب العربي المعاصر ، العدد ٢، السنة ٢٧ ، لعام ١٩٩٠ .

٦ – بحث بعنوان : جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث ، العدد٩/١٠ ، السنة ٢٧ ، لعام ١٩٩١ .

٧ – بحث بعنوان : خليل أحمد خليل : رؤية موضوعية ومنهج علمي فيالتعامل مع التراث الإسلامي العدد ١ ، السنة ٢٨ ، لعام ١٩٩١ .

– مجلة الفكر العربي ، معهد الإنماء ، بيروت .

١ – بحث بعنوان : بنية العقل العربي ، أهي رؤية تراثية أم رؤية عصروية ؟ العدد ٦٨ لعام ١٩٩٢ .

ـ بحوث تربوية :

١ – بحث بعنوان الخريطة التعليمية للوطن العربي وحلولها ، مجلة صوت المعلمين ، العدد ١١٢ دمشق ١٩٨٨ .

٢ – بحث بعنوان : إشكالية الأهداف السلوكية في التربية العربية ، مجلة بناة الأجيال ، العدد ١١٥ دمشق ١٩٨٩ .

– ندوات : مشاركة في أعمال الملتقى الفكري الاول (الوحدة والتاريخ)حمص ، سوريا ١٩٨٨ .

– مجموعة كبيرة من المحاضرات في العديد من المراكز الثقافية داخلالقطر العربي السوري .

الفهرس

- تقـــديـــم .. وإشكـــاليـــة بحث ١٣

- الفصل الأول:

إشكـاليـة تجـديـد الخطـاب الـديني ومسوغـاتـه.....١٧

الفصل الثـاني:

- الجـذور التـاريخـانيـة للحـركـة الإسماعيليـة.....٤٣

الفصل الثـالث:

مفهـوم الـديـن في الفكـر الاسماعيلي عبـر الخطـاب الإسماعيلي.....٧١

- الفصل الـرابـع:

صورة الإمام عند الشيعة الإثني عشرية/ أئمة الظاهر في الفكر الإسماعيلي ١١١

- الفصل الخـامس:

صورة إمـام الـزمـان الإسماعيلي في الخطـاب الإسماعيلي ١٣٧

- الفصل السادس:

واقـع وآفـاق التجـديـد في الخطـاب الإسماعيلي (الأغـاخـاني).....١٦٣

- الفصل السابـع:

مناقشة التفسيرات العربية الإسلامية الراهنة لـلإسماعيليـة ١٩١

- المصادر ٢١٣

هذا الكتاب

البحث في القضايا الدينية عامة، من البحوث التي تحمل اشكاليات عديدة، لا سيما إذا أخذنا في اعتبارنا أن البيئة العربية اجمالاً هي بيئة متدينة والبحث في الدين، والفكر الديني، انما يمثل البحث في العمق الوجداني والتاريخي للانسان في هذه المنطقة وهذا ما يجعل الباحث عرضة لمهاترات بعض الشخصيات الأصولية أحياناً أو الوصولية أحياناً أخرى (= تلك الشخصيات التي تنظر للدين كمطية بهدف تحقيق مصالحها).

البحث في تاريخ فرقة دينية معينة يحمل الكثير من التأويل والتفسير بل والتساؤل وسيكون هناك المؤيد، والمعارض، والباحث سوف يجد نفسه في نهاية بحثه عرضة للنقد، بين المدح والذم، والقبول والرفض، والحكم عليه بالموضوعية، أو الفئوية، وهذا يعني أنه على مفترق طرق، مهما حاول الحياد، والعلمية، والموضوعية، وبذلك يكون الباحث ضحية خيارين أحلاهما مرّ.

المؤلف

للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق ص.ب:٦٣١٨
☎ ٣٣٢٤٩١٤ - ٥١٢٨٤٦٨